المسيح هـــو الحـل

معقولية الإيمان المسيحي

دراسة تحليلية لأساسيات المسيحية

اعداد

شاكـر نعيـم

مقدمــة

خلق الله الإنسان لكي يعلن فيه مجده ويظهر غنى نعمته.

وهذا ما سجله أشعياء النبي " ولمجدي خلقته وجبلته وصنعته" أشعياء 7:43.

وميز الله الانسان عن الحيوان إذ جعل فيه روحا عاقله تتوق للحق والخير والجمال. ومصدر هذه الروح هو نسمة الحياة التي نفخها الله في أنف آدم عند خلقه. (تكوين 7:2).

وهذه الروح خالدة وعن طريقها يتواصل الإنسان مع الله.

ولما خلق الله الإنسان رأى أن هذا حسنا جدا. (تكوين31:1). إذ أنه باكورة خلائق الله his master plece (يعقوب 18:1) وخلقه على صورة الله (تكوين27:1) قدوسا بلا خطية. . عاقلا .. خالدا ذو إرادة حرة.

ولكن للأسف استخدم الإنسان الأول هذه الإرادة الحرة ليكسر وصية الله ويتعدى عليها عندما قال الله لآدم " من جميع شجرالجنة تأكل وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت". (تكوين 16:2- 17) فحق عليه الموت.. والموت هنا ليس فقط الموت الجسدي الذي هو انفصال الروح عن الجسد ولكن أيضا الموت الأدبي بالإنفصال عن الله نتيجة فقدان الإنسان الحالة الأدبية ومكانة القداسة التى خلقه الله عليها.

ليس هذا فقط بل وقع عليه أيضا قضاء الله بالموت الأبدي لولا تدبير الله لخلاصه. لأن مشروع الله لا يمكن أن يفشل وغرضه من خلق الإنسان لا بد أن يتم.

لم يكن سقوط الإنسان مفاجأة لله فهو العالم بكل شيء منذ الأزل ولهذا فإنه قد أعد طريقا لخلاص الإنسان.

اذا فالإنسان عنده مشكلة: الخطية.

والله عنده حل أو بمعنى آخر عنده خلاص من المشكلة : الصليب.

عن الله وخلاصه كتب خادم الله الأمين الأستاذ عوض سمعان مجموعة قيمة من الكتب تحدث فيها عن الله وطرق إعلانه عن ذاته وعن نوع وحدانيته وعن التجسد وعن الصليب .. وقد رأينا خدمة لكل نفس متعطشة لخلاص الله أن نقوم بتلخيص هذه الكتابات المتميزة في كتاب واحد راجين أن يكون سبب بركة للكثيرين.

الفهـرس

ص

1 - الله:

- صفـات الله. 4
- وحدانية الله. 4
- شهادة التوراة بأن وحدانية الله جامعة مانعة. 8
- شهادة الإنجيل بأن وحدانية الله جامعة مانعة. 14

2 - الخطية:

- ما هي الخطية؟. 33
- التجسد الإلهي. 40
- الطريق الإلهي للغفران. 42

3 - صلب المسيح:

- شهادة المسيح عن صلبه. 62
- شهادة تلاميذ المسيح في الإنجيل. 66
- شهادة رسل المسيح. 69
- شهادة أنبياء العهد القديم عن صلب المسيح. 73

4 - الإعتراضات والرد عليها:

- التجسد. 77
- ألوهية المسيح. 91
- الثالوث. 102
- الصليب. 113

اللـــــه

صفات الله

الله ذات . و ليس المقصود بهذا أنه شخص كالأشخاص المحدودة، أو أنه ذو جوهر مماثل للجواهر المخلوقة، لأننا نؤمن أن الله لا شبيه له ولا نظير. ولكننا نقصد أنه كائن له وجود ذاتي، يستطيع التعبير عن نفسه بكلمة " أنا " وهو ليس مجرد طاقة أو معنى.

بما أن الله ذات، والذات لها صفات، إذا فلله صفات. لكن نظرا لأن ذاته تفوق العقل والإدراك، كانت صفاته أبعد من أن نستطيع تحديدها أو تعيينها، ولذلك نكتفي هنا بالكتابة عما استطاعت عقولنا أن تدركه منها، وشهد الكتاب المقدس عن اتصافه بها:

1 - **وجوب الوجود**: الموجود كما يقول الفلاسفة نوعان: " ممكن الوجود" و " واجب الوجود". و" ممكن الوجود" هو الحادث الذي لا يوجد إلا بسبب ولا ينعدم إلا بسبب، ولذلك فهو لا يتقدم السبب ولا يلازمه، بل يكون بعده، ومن أمثلته الجماد والنبات والحيوان. أما " واجب الوجود" فهو وحده القديم الأزلي، الذي لا يحتاج في وجوده الى موجد، لأن وجوده من مستلزمات ذاته، ولذلك لا يجوز أيضا القول إنه أوجد ذاته، لأن قولا مثل هذا يدل على أنه كان متقدما على ذاته، وهذا محال. وهو ثابت الى الأبد لا يزيد ولا ينقص ولا يطرأ عليه تغيير ما. ولذلك فالله دون سواه هو واجب الوجود.

والكتاب المقدس يعلن هذه الحقيقة. ففضلا عن الآيات الكثيرة التي تشهد بها عنها، فهو ينبئنا أن الله قد أطلق على نفسه باللغة العبرية (وهي لغة التوراة) اسم " يهوه" أي " الكائن بذاته" واجب الوجود.

وبما أن الله واجب الوجود، فهو لم يكن مسبوقا بوجود أو عدم، وإذا فهو ليس منذ الأزل فحسب، بل أنه أيضا " الأزلي". وبما أنه الأزلي فهو أبدي كذلك، لأن ما لا بداية له، لا نهاية له.

والكتاب المقدس ينص على أزلية الله وأبديته بكل وضوح، فقد قال: إنه " الأول والآخر" (إشعياء 6:44) وإنه " مُنذُ الأبدِ اسمُه" (إشعياء 16:63) ولذلك خاطبه موسى النبي بالوحي:" مِن قَبل أن تُولد الجِبالُ أو أبدأتَ الأرض والمسكُونةَ، مُنذُ الأزل الى الأبد أنتَ اللهُ ". (مزمور 2:90).

2 - **القدرة:** بما أن الله هو خالق العالم وحافظه ومدبره، فهو قدير بقدرة لا حد لها. ويقول الكتاب المقدس:" عِندَ اللهِ كُلُّ شيءٍ مُستطاع" (متى 26:19). وقال أيضا:" اللهُ القادِرُ على كُل شيءٍ" (تكوين 3:48) ولذلك خاطبه أحد الأنبياء بالوحي:" لكَ ذِراعُ القُدرة. قويةٌ يَدُكَ. مُرتفِعةٌ يمينُكَ " (مزمور 13:89).

3 - **الإرادة:** بما أنه ليس من المعقول أن يكون الله قد خلق العالم مُرْغما (لأنه ليس هناك من يرغمه على القيام بعمل ما) إذا فهو مريد، ولذلك قال الوحي:" كُل ما شاء الربُ صنعَ في السماواتِ وفي الأرض، في البحار وفي كُل اللجج" (مزمور 6:135) وقال أيضا عنه:" الذي يعمَلُ كُل شيءٍ حَسبَ رأي مَشِيئتِهِ". (أفسس 11:1).

4 - **العلم:** بما أن صانع الشيء يعلم كل شيء عنه، وعما يمكن أن يطرأ عليه، إذا فالله على علم أزلي تام بجميع الأشياء التي في العالم. إذ فضلا عن كونه خالق العالم، ويعرف كل شيء يمكن أن يطرأ عليه في كل الأزمنة تبعا لذلك، فإنه لا يتأثر بالزمن على الإطلاق، لأنه أزلي أبدي. وينص الكتاب المقدس على علم الله بكل الأشياء، فقد قال: " مَعلُومَةٌ عِندَ الرب مُنذُ الأزل جميعُ أعمالِهِ" (أعمال 18:15). ولذلك خاطبه داود النبي بالوحي: " يا ربُّ، قد اختبرتني وعرفتني. أنت عرفت جُلوسي وقيامي. فهمت فكري من بعيد. مسلكي ومربضي ذريت، وكل طُرقي عرفت. لأنهُ ليس كلمة في لساني إلا وأنت يا ربُّ عرفتها كلها". (مزمور139:1- 4).وقال بولس الرسول:" يا لعُمق غِنى اللهِ وحكمتِهِ وعِلمِهِ. ما أبعد أحكامهُ عن الفحص وطرقهُ عن الإستقصاء." (رومية 33:11). وقال أيضا:" وليستْ خليقةٌ غير ظاهرةٍ قُدامَهُ، بل كُلُّ شيءٍ عُريان ومكشُوفٌ لِعيني ذلكَ الذي معهُ أمرُنا" (عبرانيين 13:4).

5 - **البصر والسمع والكلام:** بما أن المتصف بالعلم يكون بصيرا، والذي له علاقة مع غيره يكون سميعا وكليما، وبما أن الله عليم وله علاقة مع خلائقه، إذا فهو بصير سميع كليم، ولذلك قال الوحي منتقدا المعترضين على قدرة الله على السمع والبصر:" افهمُوا أيها البُلداءُ في الشعب، ويا جُهلاءُ متى تعقلُونَ؟ الغارسُ الأذُنَ ألا يسمعُ؟ الصانِعُ

العينَ ألا يُبصرُ؟ " (مزمور 8:94 - 9). أما عن كلامه بصوت مسموع، فقد نصت عليه آيات كثيرة يصعب حصرها، فإقرأ على سبيل المثال (تكوين 9:3 ، 22 وخروج 1:20).

6 - **الكمال:** بما أن الله هو الذي أوصانا أن نعمل الخير ونتجنب الشر، وهو الذي أودع فينا الضمير الذي نميز به بين هذا وذاك، إذا فهو كامل أيضا في صفات القداسة والمحبة، والعدالة والرحمة، وغيرها من صفات الكمال. وإذا رجعنا الى الكتاب المقدس وجدنا أن الإعجاب بكمال الله قد سبى عقول الأنبياء حتى عجزوا عن الإحاطة به عجزا تاما، فخاطبه داود النبي:" وبِرُّكَ (أي استقامتك) الى العَلياءِ يا اللهُ الذي صنعتَ العظائِم. يا اللهُ من مِثلك؟!" (مزمور 19:71). وأيضا:" يا ربُّ في السماواتِ رحمتُكَ. أمانتُكَ الى الغمام ... ما أكرمَ رحمتكَ يا اللهُ!! (مزمور 5:36 -7). كما خاطبه موسى النبي:" من مِثلكَ ... يا ربُّ؟ ... مُعتزا في القداسة؟!" (خروج 11:15). وقال يوحنا الرسول عن اتصاف الله بالمحبة:" الله محبة" (1يوحنا 8:4). أي أنه ليس محبا فقط، بل إنه أيضا محبة، أو بتعبير آخر إن محبته لا تنضب، أو تقل على الإطلاق.

ولا يُقصد بالقول " الله محبة" أن صفة المحبة هي ذات الله، كما يقول بعض الفلاسفة إن صفات الله هي ذاته، بل يُقصد به أن كيانه (إن جاز هذا التعبير) يفيض بالمحبة، وأن محبته لا حد لها.

7 - **الثبات أو عدم التغيُّر:** بما أن الله أزلي أبدي، إذا فهو لا يتغير في أية ناحية من النواحي. فمثلا لا تتغير صفاته كالعدل والرحمة والقدرة، فيصبح يوما ما متساهلا أو قاسيا أو عاجزا. ولا تتغير أقواله من نبوات ووعود وأوامر ونواهي، فيلغي بعضها ويأتي بغيرها، بل أنه يظل كما هو بذاته ومقاصده، الى الآبد. وقد شهد بهذه الحقيقة فقال:" لأني أنا الربُ لا أتغيرُ" (ملاخي 6:3). ولذلك كشف عن عيني بلعام فقال:" ليسَ اللهُ إنسانا فيكذب، ولا ابنَ إنسانٍ فيندمَ. هل يقُول ولا يفعل؟ أو يتكلمُ ولا يَفي؟!" (عدد 19:23).

فالله (كما أجمع الفلاسفة المؤمنون بوجوده الذاتي) لا ينتقل من العدم الى الوجود، لأنه لا علة لوجوده أصلا. ولا ينتقل من الوجود الى العدم، لأن وجوده واجب. ولا يتغير في أية صفة من صفاته، لأنه كامل في ذاته كل الكمال.

8 - **الحياة:** بما أن الصفات السابق ذكرها لا توجد في الجماد بل في الحي، إذا فالله حي. نعم بل وهو رب الحياة لأنه خالق العالم وكل ما فيه، والشرط الأساسي في الخالق أن يكون حيا. ولذلك كان الأنبياء عندما يتكلمون عنه يقولون:" حيٌّ هُو الربُّ " (2ملوك 16:5). كما قال أيوب الصديق عنه:" قد عَلِمتُ أن وليي حيٌّ" (أيوب 25:19) وقال بولس الرسول:" رَجَعتُمْ الى اللهِ من الأوثانِ لِتعبُدُوا الله الحي الحقيقي" (1 تسالونيكي 9:1). كما قال يوحنا الرسول:" يسجُدُونَ للحي الى أبد الآبدين" (رؤيا 10:4).

أخيرا نقول إن هذه الصفات لكونها صفات الله، فهي تمتاز بالآتي:

1 - **إنها غير محدودة** سواءً في قوتها أو في فعلها، لأنه تعالى لا يحده حد.

2 - **إنها متوافقة** معا كل التوافق، لأن من دواعي كمال الله ألا تطغى صفة فيه على صفة أخرى. فمثلا صفة الرحمة فيه لا تطغي على صفة العدالة، وصفة العدالة فيه لا تطغي على صفة الرحمة، بل إنهما متعادلتان كل التعادل ومتوافقتان كل التوافق، وهكذا الحال مع كل صفاته المتقابلة كالقوة والصبر، والعظمة والوداعة، وغير ذلك.

3 - **إنها أصليه فيه** فهو قدير عليم فريد سميع بصير كليم أزلا، قبل وجود أي مخلوق من المخلوقات، لأنه كامل في ذاته كل الكمال، ولا يكتسب شيئا من الخصائص أو الصفات، لأن الإكتساب يدل على التغير، وهو لا يتغير.

هذا بحث مختصر عن ذات الله وصفاته، وليس في وسعنا أن نكتب عنه أكثر مما كتبنا، لأنه ليس له شبيه حتى نستطيع وصفه وصفا كاملا، فقد قال لنا:" بمن تُشبهُونني وتُسوُّونني وتُمثلونني لِنتشابه؟" (إشعياء 5:46). والجواب: طبعا لا شبيه لك ولا نظير يا الله، لأنك القوي ولا حدذ لقوتك، والكامل ولا نهاية لكمالك، والحكيم ولا آخر لحكمتك، ولذلك لا يمكن الإحاطة بك على الإطلاق.

وحدانية الله

نحن المسيحيون نؤمن بالله الواحد الحى الحقيقى الذى لا تركيب فيه ولا تجزئة . فقد قال فى كتابه المقدس : "انا الأول وانا الآخر ولا اله غيرى" (اشعياء 44: 6) , وقال ايضا : " أنا أنا هو وليس اله معى" (تثنية 32 : 39).
وقال للذين اتخذوا غيره الها :" أليس أنا الرب ولا اله غيرى. اله بار ومخلص ليس سواى" (اشعياء 45 :21).
وخاطبه نحميا النبى بالقول : " أنت هو الرب وحدك" (نحميا 6:9). وقال عنه موسى النبى : "الرب هو الاله فى السماء من فوق,وعلى الأرض من أسفل ,ليس سواه". (تثنية 4: 39). وقال ايضا : "الرب الهنا رب واحد" (تثنية 6: 4). وقال بولس الرسول : "يوجد اله واحد" (1 تيموثاوس 2 : 5). وقال يعقوب الرسول : "الله واحد" (يعقوب 2 : 19).

الأدلة على وحدانية الله

1 - الأدلة العقلية:

- الكثرة لا توجد في الكائنات إلا حيث يوجد الضعف والإنقراض فيها، ليحل واحد من افرادها عوضا عن المنقرض حفظا لكيانها. وبما أن الله أزلي أبدي، ولا يضعف أو يتغير على الإطلاق، فلا يمكن أن يكون هناك سواه.
- لو فرضنا أن هناك إلهين، لكان كل منهما متحيزا بمكان. وبما أن المتحيز بمكان لا يكون أزليا بل حادثا، فلا يمكن أن يكون أيٌّ منهما هو الله، لأن الله لا يتحيز بحيز. فلا يمكن أن يكون هناك إلا إله واحد غير متحيز بمكان. وهذا الإله هو الله.
- ولو فرضنا أيضا أن هناك إلهين، لكانا إما قد اتفقا على خلق العالم أو اختلفا. فإن كانا قد اتفقا على أن يقوما معا بهذه المهمة، لما كان كل منهما مستقلا في عمله. وهذا يتعارض مع الألوهية، لأن من مستلزمات الألوهية الإستقلال بالعمل. وإن كانا قد اتفقا على اقتسام المهمة المذكورة بينهما لكانت سلطة كل منهما محدودة. وإن كانا قد اتفقا على أن أحدهما يعمل دون الآخر لكان أحدهما عاطلا، وهذا ما يتعارض مع الألوهية كذلك. أما إذا كانا قد اختلفا، لما كانت هناك وحدة أو انسجام في العالم، ولكان قد تلاشى وانعدم تبعا لذلك منذ تأسيسه. ولذلك ليس من المعقول أن يكون هناك إلا إله واحد، وهو الله.

الأدلة على عدم وجود أي تركيب في الله:

تبين لنا فيما سلف أن الله واحد لا شريك له. ولنبين الآن أن وحدانيته ليست الوحدانية المركبة، مثل الوحدانية التي تتصف بها المخلوقات، بل الوحدانية التي لا تركيب فيها على الإطلاق.

- الأدلة العقلية:

- بما أن المركب من أجزاء لا يتكون إلا بعد وجودها (إذاً أن وجود الأجزاء يسبق وجود الكل). وبما أن الله لم يكن مسبوقا بعدم أو وجود، لأنه هو الأزلي وحده، إذا فهو ليس مركبا.
- بما أنه لا بد للمركب من مركب يضم أجزاءه بعضها الى بعض حتى يصير كلا (لأن الأجزاء لا ينضم بعضها الى البعض الآخر دون علة). وبما أن الله لا علة له، لأنه موجود بذاته أزلا، إذا فهو ليس مركبا.
- بما أن كل مركب محدود بكمية أجزائه وقدرها، وبما أن الله غير محدود، إذا فهو ليس مركبا.

- الوحدانية " المجردة" والوحدانية " المطلقة"

يؤمن فلاسفة اليونان واليهود والمسيحيين والمسلمين أن الله واحد، لكنهم يختلفون فيما بينهم من جهة نوع وحدانيته. فيقول فريق منهم إنها وحدانية لا تتصف بصفه أي أنها " وحدانية مجردة". ويقول فريق آخر إنها " وحدانية مطلقة" وهذه تختلف عن تلك.

فالوحدانية " المجردة" لا تتصف بصفة، والقائلون بها ينزهون الله عن الأتصاف بأية صفة من صفات الكائنات،

بدعوى أن ذلك يجعله محدودا مثلها. ولذلك ينفون عنه حتى الوجود، بدعوى أن الوجود صفة من صفاتها. وليتمشى هذا النفي مع اعتقادهم في عظمة الله، يقولون عنه إنه فوق الوجود، وفوق العلم، وفوق الإرادة، وفوق ... وفوق ... وإن كانت صيغة هذا الوصف تبدو إيجابية، إلا أنها في الواقع سلبية. وكل ما في الأمر أنها سلبية بصيغة مهذبة، إذ أن من هو فوق الوجود هو في الواقع غير موجود.، لأنه خارج عن دائرة الوجود. وعلى هذا النسق: من هو فوق العلم غير عالم. ومن هو فوق الإرادة غير مريد. ولذلك فإن إلها مثل هذا لا يمكن أن يكون إلها حقيقيا.

والوحدانية " المطلقة" غير مقيدة، أو هي وحدانية لا حد لها. والقائلون بهذه الوحدانية يؤمنون أن لله وجودا واقعيا. لكنهم ينقسمون من جهة صفاته الى فريقين، فريق ينفي عنه صفة الإرادة وبعض الصفات الأخرى، كالإختيار والعلم بالجزئيات. وحجتهم في ذلك أنه إذا كان الله يريد، فإنه يريد أزلا. وإرادته أزلا تتطلب إما وجود كائنات أزلية معه كان يريدها، أو وجود تركيب في ذاته. وبما أنه لا تركيب فيه ولا شريك له، إذا فهو لا يتصف بالإرادة ولا بالصفات الأخرى التي تتطلب في ممارستها ما تتطلبه هذه الصفة.

وفريق آخر يسند الى الله جميع صفات الكمال اللائقة به، كالإرادة والعلم والقدرة والبصر والسمع والكلام. ولكن يتعذر عليه التوفيق بين إسناد هذه الصفات الى الله أزلا، واعتبار وحدانيته وحدانية مطلقة، لأن التوفيق بينهما محال. فمن كان الله يبصر ويسمع ويكلم فى الأزل وقبل أن يخلق؟!

والآن، بما أن الإيمان بالله يقتضي الإعتراف بأنه موجود بالفعل، وبما أن الموجود بالفعل يتصف بكل الصفات الإيجابية اللائقة به، فلا يُعقل أن تكون وحدانية الله " وحدانية مجردة" من الصفات الإيجابية. وبما أنه مع تفرده بالأزلية وعدم وجود تركيب في ذاته، يليق بكماله أن تكون كل صفاته فاعلة أزلا، إذا فلا يُعقل أن تكون وحدانيته وحدانية مطلقة تتصف بصفات لم يكن لها عمل أزلا.

الأدلة على أن وحدانية الله تتميز بمميزات خاصة:

1 - ان لكل ذات مميزات تبين حقيقتها. فمن المؤكد أن تكون لله مميزات (أو بتعبير أدق، أن يكون هو بذاته متميزا بمميزات) تبين حقيقته.

2 - بما أن صفات الله لم تكن عاطلة أزلا ثم صارت عاملة عندما خلق، بل كانت عاملة أزلا قبل وجود أي كائن من الكائنات لأن هذا ما يتناسب مع ثباته وعدم تعرضه للتغير.

3 - وبما أنه لا يُعقل أنه كان يمارس صفاته في الأزل مع غيره، لأنه لا شريك له. ولا يعقل أنه كان يمارسها مع جزء من ذاته لأنه لا تركيب فيه. إذا لا شك أنه كان يمارسها بينه وبين ذاته نفسها.
وإذا كان الأمر كذلك كانت ذاته مع وحدانيتها وعدم وجود تركيب فيها متميزة بمميزات متكاملة، تجعل ممارسته لهذه الصفات بينه وبين ذاته أزلا أمرا عمليا حقيقيا، لأنه لا سبيل لممارسة الصفات بين كائن وذاته إلا إذ كان متميزا بمميزات خاصة. أن صفة المحبة تدل على وجود روابط طيبة بين اثنين على الأقل، أحدهما محب والآخر محبوب. ولذلك فاتصاف الله بالمحبة أزلا، يدل على وجود علاقة خاصة بينه وبين ذاته. وهكذا الحال مع باقي الصفات. فإذا تأملنا في اتصاف الله بها أزلا وجدنا أنها تدل على وجود علاقات بينه وبين ذاته. وطبعا لا مجال لوجود علاقات لله بينه وبين ذاته، إلا إذا كان متميزا بمميزات خاصة يمكن أن تنشأ بسببها هذه العلاقات.

لو فرضنا أن الله لم تكن له علاقة بينه وبين ذاته أزلا، وقلنا إن له علاقة بالعالم لأنه خالقه والمعتني به، لكانت النتيجة الحتمية لذلك أنه دخل في علاقة لم يكن لها أساس في ذاته أزلا، فيكون قد تطور وتغير! وبما أنه لا يتطور ولا يتغير، إذا لا مفر من التسليم بأن له علاقة أزلية بينه وبين ذاته. وبما أن الأمر كذلك إذا فهو يتميز بمميزات خاصة يمكن بسببها أن تنشأ هذه العلاقة.

والآن بما أن الله مع وحدانيته وعدم وجود تركيب في ذاته يتميز بمميزات خاصة، إذا فهذه المميزات لا يمكن أن تكون غير ذاته، لأنه لا شريك له. ولا يمكن أن تكون عناصر أو أجزاء في ذاته، بل أن تكون هي عين ذاته، لأنه لا شريك له. ولا يمكن أن تكون عناصر أو أجزاء في ذاته، بل أن تكون هي عين ذاته، لأنه لا تركيب فيه. ولا يمكن أن تكون مادية بل أن تكون روحية، لأنه لا أثر للمادة فيه. ولا يمكن أن تكون محدودة بأي نوع من الحدود، بل أن تكون منزهة عن الحدود، لأن ذاته لا يحدها حد. كما أن العلاقات الناشئة بسببها، لا يمكن أن تكون متوقفة

على وجود الكائنات، بل أن تكون أولا وقبل كل شيء بينه وبين ذاته نفسها أزلا، لأنه كامل كل الكمال منذ الآزل الذي لا بدء له، ولا يكتسب شيئا من الأشياء، ولا يتغير أو يتطور على الإطلاق.

مما تقدم يتبين لنا أن وحدانية الله لا يمكن أن تكون وحدانية مجردة من الصفات الإيجابية، أو وحدانية مطلقة لا مجال لوجود صفاتها بالفعل أزلا. بل لا بد أن تكون وحدانية تتصف بكل الصفات الإيجابية اللائقة بها، وأن تكون هذه الصفات ليس بالقوة بل بالفعل أزلا. أو بتعبير آخر لا بد أن تكون وحدانية الله ذات كيان حقيقي، أو وحدانية لها مميزات خاصة بها، تنشأ بسببها بينها وبين ذاتها علاقات خاصة منذ الأزل الى الأبد، بصرف النظر عن وجود المخلوقات أو عدم وجودها. وإن كان لا بد من اسم تسمى به فمن الممكن أن نسميها " الوحدانية الجامعة المانعة" أو " الوحدانية الشاملة المانعة"، لأنها جامعة أو شاملة للمميزات المذكورة، ولأن الله بسبب هذه المميزات لم يكن يحتاج الى شيء سوى ذاته، لوجود صفاته وعلاقاته بالفعل أزلا. ولذلك لا يُقصد بوحدانية الله الجامعة المانعة أن هناك آلهة مع الله، أو أن هناك تركيبا في ذاته، بل يُقصد بها أن ذاته الواحدة التي لا تركيب فيها على الإطلاق، هي بنفسها جامعة مانعة، أو شاملة مانعة، أو بتعبير آخر أنها تتميز بالمميزات الروحية اللائقة بكمالها، واستغنائها عن كل شيء غيرها، منذ الأزل. وإذا كان الأمر كذلك فليس في إسناد هذه الوحدانية الى الله ما يُفهم منه أن له شريكا أو به تركيبا.

ماهية الجامعية في الوحدانية الإلهية:

يعتقد بعض الفلاسفة الذين أدركوا أن وحدانية الله هي وحدانية جامعة أو شاملة، أن هذه الجامعية أو الشمول هي ذاته وصفاته. لكن هذا الإعتقاد لا يتفق مع الخصائص اللائقة بالله، لأننا إذا فرضنا أن جامعية الله هي ذاته وصفاته، فان هذا يعنى أن صفاته كانت تكلمه وتسمعه وتبصره وتحبه وتريده أزلا، أو أنها كان يكلم بعضها بعضا ويسمع بعضها بعضا ويبصر بعضها بعضا أزلا، وكل ذلك باطل ـ لأن الله لا يتعامل مع الصفات، ولا الصفات تتعامل مع الله أو مع بعضها، لأن التعامل لا يكون إلا بين التعينات العاقلة، والصفات معان وليست تعينات، ولذلك فجامعية الله لا يمكن أن تكون هي ذاته وصفاته. وإذا كان الأمر كذلك، فماذا تكون جامعيته إذا؟

بما أن الصفات، كالسمع والبصر، والكلام والعلم، والإرادة والمحبة، لا يمكن أن تُمارس إلا بين كائنين عاقلين على الأقل، أو بين كائن عاقل وذاته إن كان مركبا. وبما أن الله مع تفرده بالأزلية وعدم وجود تركيب فيه، كان يمارس هذه الصفات أزلا بينه وبين ذاته، فمن المؤكد أن تكون ذاته عينها مع وحدانية جوهرها، هي بنفسها جامعة أو بتعبير آخر، تكون ذاته ليس تعينا واحدا، بل تعينات. وهذه التعينات هي ما يعبر عنها " بالمميزات"، التي تتميز بها وحدانية الله.

ولذلك كانت جميع صفات الله بالفعل، قبل وجود أي كائن سواه، أو بالحري منذ الأزل.

وإذا كانت ذات الله تعينات، فمن البديهي أن يكون كل تعين من هذه التعينات، ليس جزءا من ذات الله. بل أن يكون هو ذات الله، لأنه غير مركب من عناصر أو أجزاء، وأن يكون ذات الله نفسها بكل خصائصها وصفاتها لأن تعين الله هو عين جوهره، ولذلك يكون كل تعين من هذه التعينات هو الله الأزلي الأبدي، العالم المريد، القدير البصير السميع الكليم، الكامل كل الكمال، ومستغنيا بذاته كل الإستغناء، إذ يكون عالما ومعلوما ومريدا ومرادا وناظرا ومنظورا وسميعا وكليما ومحبا ومحبوبا، وهكذا، الى درجة الكمال الذي ليس بعده كمال، دون أن يكون هناك تركيب في ذاته أو شريك معه.

ونرجو أن يضع القارئ في ذهنه، أننا لا نقول إن كلا من هذه التعينات يكون إلها، بل نقول إن كلا منها يكون هو الله، أو اللاهوت معينا ـ لا شك أن هذه الحقيقة أسمى من أن تستطيع عقولنا تصورها، ولكنها تتوافق معها كل التوافق. لأنه بما أن الله أو اللاهوت لا تركيب فيه على الإطلاق، لذلك لا يكون أي تعين من تعيناته جزءا أو عنصرا فيه، بل يكون هو عين ذاته.

وطبعا ليس معنى ذلك، أن الله الواحد، قائم بآلهة مشابهة له، كلا، لأنه ليس له شريك أو شبيه على الإطلاق، وليس معناه أنه تعالى ذات في ذوات، أو ذوات في ذات. كلا، لأنه تعالى ذات واحدة لا تركيب فيها على الإطلاق. بل معناه أن ذاته الواحدة هي بعينها تعينات.

نعم إن العقل لا يستطيع أن يتصور هذه الحقيقة، ولا يسعه إلا أن يقول كما قال بعض الفلاسفة:" الأمر حيرة في حيرة:

واحد في كثرة، وكثرة مردها الى واحد". ولكن لا مفر له من التسليم بصدقها لأننا لم نختلقها من عندنا، بل استنتجناها من وجوب وجود صفات الله بالفعل أزلا.

تفرد الله دون سائر الكائنات بأنه مع وحدانيته وعدم وجود أي تركيب فيه، ليس تعيّنا واحدا بل تعينات. وكونه تعينات وليس تعينا واحدا أمر يتوافق مع كماله واستغنائه بذاته وعدم تعرضه للتطور أو التغير، لأنه يدل على أنه مع تفرده بالأزلية كانت جميع صفاته بالفعل أزلا، أي قبل وجود أي كائن سواه.

الأقانيم:

اصطلح معظم فلاسفة المسيحيين في الأجيال الأولى، على تسمية هذه التعينات بالأقانيم، والمفرد " أقنوم".

و" الأقنوم" كلمة سريانية يطلقها السريان على كل من يتميز عن سواه، على شرط ألا يكون مما شُخص وله ظل، ولذلك فإنه يُراد بالأقنوم " التعين". وقد وردت في اللغة اللاتينية كلمة تشبه هذه الكلمة في النطق تقريبا، وهي Before The Class" ومعناها "Aequanimitas" أي في الصدارة، أو " قبل كل هيئة أو نظام". وقد تعنى أيضا " الإنسجام في الفكر والشعور والصفات الطيبة ". أما القول إن كلمة أقنوم معناها " أصل" كما ورد في بعض كتب الفلسفة، فليس بصحيح، إذ فضلا عما تقدم من دليل لغوي، فإننا لا نؤمن أن الأقانيم هم أصول للعالم، بل نؤمن أنهم أصل العالم، لأنهم تعين الله أو الله معينا. والله دون سواه هو أصل العالم ومبدعه. والقول إن كلمة أقنوم معناها أصل منقول (كما أعتقد) من قاموس مختار الصحاح ص 553 فقد جاء فيه:" الأقانيم الأصول، وواحدها الأقنوم". ومع كل، فإن صاحب المختار نفسه اعترف أنه لم يتحقق من مصدر هذه الكلمة، فقد قال في الصحيفة المذكورة " وأحسبها رومية" والواقع أنها ليست كذلك، كما يتضح لكل من له إلمام باللغة اليونانية (التي يسميها صاحب المختار " الرومية". كما لا يزال يسميها بعض الناس الى الوقت الحاضر) لأن الكلمة اليونانية المقابلة أو التي تكاد تكون مقابلة، لكلمة " أقنوم" هي "إيبوستاسيس" وقد نُقلت الى اللغة الإنجليزية "Hypostasis " واستُعملت فيها بهذا المعنى عينه.

وليس لكلمة " أقنوم" مرادف في اللغة العربية أو غيرها من اللغات يؤدي معناها تماما، لأن كلمة "شخص" العربية وما يرادفها في اللغات الأخرى تدل على الذات المنفصلة عن غيرها، والأمر ليس كذلك من جهة كلمة " أقنوم".

فكلمة " الأقانيم" تختلف عن كلمة " الأشخاص" من ناحيتين رئيسيتين: (1) إن الأشخاص هم الذوات المنفصل أحدهم عن الآخر، أما " الأقانيم" فهم ذات واحدة، هي ذات الله. (2) إن الأشخاص وإن كانوا يشتركون في الطبيعة الواحدة إلا أنه ليس لأحدهم ذات خصائص أو صفات أو مميزات الآخر. أما الأقانيم فمع تميز أحدهم عن الآخر في الأقنومية، هم واحد في الجوهر بكل صفاته وخصائصه ومميزاته، لأنهم ذات الله الواحد.

فالأقانيم بالمسيحية هم تعينات اللاهوت، أو تعين اللاهوت الخاص، ،أو هم اللاهوت معينا، فإن جوهر الله هو عين تعينه، وهم تعينه أو إياه معينا، لأن الأقانيم ليسوا تعينات في الله، بل هو ذات تعينه أو بالحري هم عين ذاته (لأنه تعالى لا تركيب فيه)، لذلك لا يُقال إن الأقانيم في الله، أو إن الله يشتمل على الأقانيم، بل يقال إن الأقانيم هم الله، والله هو الأقانيم.

الأقانيم إذا هم اللاهوت معلنا في ذاته وصفاته، ولذلك فإن اللاهوت في تعينه أو أقانيمه لا يكون هو الله المبهم الغامض، كما يتصوره بعض الناس، بل الله المعين الواضح، الذي نستطيع إدراكه والرجوع إليه، فنجد فيه مقصدنا، الذي تسكن إليه نفوسنا وتطمئن إليه قلوبنا.

هذه الأقانيم، أو التعينات، أو ... أو ... هي خصائص الله الذاتية. ولذلك كان الله مع لا نهائيته وتفرده بالأزلية، وعدم وجود أي تركيب فيه ليس الإله المجرد من الصفات، أو الذي يتصف بصفات لم يكن لها عمل أزلا، بل الإله المتصف بكل صفات الكمال اللائقة به، ليس بالقوة بل بالفعل، وذلك منذ الأزل الى الأبد، بغض النظر عن وجود المخلوقات أو عدم وجودها، الأمر الذي يتوافق كل التوافق مع كماله التام، واستغنائه عن كل شيء في الوجود، وعدم تعرضه للتطور أو التغير.

ولذلك فكون وحدانية الله جامعة مانعة، ليس حقيقة معقولة فحسب، بل وجديرة أيضا بكل تقدير وقبول، لأنها تعلن لنا أن الله كامل كل الكمال، الأمر الذي يتوافق مع ذاته كل التوافق، ويبعث في نفوسنا روح الإعجاب والإعتزاز به، وروح التعبد والسجود له.

مما تقدم يتضح لنا ما يأتي:

1- بما أنه لا يُراد بوحدانية الله الجامعة أنه واحد في تعينه وجامع أيضا في تعينه، بل يُراد بها أنه واحد في جوهره وجامع في تعينه، إذا ليس هناك أي تناقض في القول إن وحدانيته هي وحدانية جامعة.

2- بما أنه لا يُراد بوحدانية الله الجامعة أنه جامع في جوهره وواحد في تعينه، بل بالعكس يراد بها أنه واحد في جوهره وجامع فى تعينه، إذا لا سبيل للظن بأنها تدل عن وجود أي تركيب في ذاته.

3- وبما أنه لا يُراد بجامعية تعينه، ذاته وغيرها من الذوات، بل يراد بها ذاته وحدها، إذا لا سبيل للظن بأن هذه الوحدانية تدل على وجود أي شريك له. وبذلك فإن وحدانية الله الجامعة لا تتعارض مع عدم وجود تركيب فيه، أو مع تفرده بالأزلية، بل تتوافق مع هاتين الحقيقتين كل التوافق.

شهادة التوراة بأن وحدانية الله جامعة مانعة

1 ـ قبل أن يخلق الله الإنسان، قال:" نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تكوين 26:1). وطبعا ليس المقصود بهذا المعنى الحرفي لها، بل المعنى المجازي، لأن الله ليس له صورة مادية يُصاغ أحد على شكلها. والمعنى المجازي المناسب لهذه الآية، هو أن الإنسان خُلق في حالة التوافق مع الله (قابل هذه الآية مع تكوين 8:2، من جهة مشابهة حواء لآدم، من الناحية المعنوية).

وقد اختلف الناس فيما تدل عليه صيغة الجمع، المستعملة في الكلمات:" نعمل الإنسان على صورتنا كشَبَهنا". فقال فريق منهم إنها تدل على تعظيم الله لذاته، وقال فريق آخر إنها تدل على أن وحدانيته هي وحدانية جامعه. ولكي تتضح الحقيقة للقارئ نقول: إن استعمال صيغة الجمع للدلالة على التعظيم لم يكن معروفا في اللغة العبرية التي كُتبت بها التوراة أو غيرها من اللغات القديمة ـ فالملوك والعظماء كانوا يتحدثون عن أنفسهم، كما كانوا يُخاطبون بصيغة المفرد (إقرأ مثلا الخطابات القديمة الواردة في كتاب النيل في عهد الفراعنة، للأستاذ أنطون ذكري : ص 13،14، 101، 112، وفي كتاب الفلسفة الشرقية، للدكتور محمد غلاب: ص37، 38، 69، 72، 73، 75، 76، وفي كتاب مصر القديمة، للأستاذ سليم حسن: ص370ـ 372، 378، 388). والكتاب المقدس يؤيد هذه الحقيقة، فقد قال فرعون ليوسف:" إني كنت في حلمي واقفا على شاطئ النهر" (تكوين 17:41) مستعملا صيغة المفرد. وقال نبوخذ نصر ملك بابل لدانيال:" كنت مطمئنا في بيتي وناضرا في قصري" (دانيال 4:4)، مستعملا صيغة المفرد أيضا. فضلا عن ذلك، فقد سجل الكتاب المقدس أن الله نفسه لم يتكلم عن ذاته، بضمير الجمع " نحن" بل بضمير المفرد " أنا". فقد قال لإبراهيم:" أنا ترس لك" (تكوين 1:16)، كما قال لإسرائيل:" أنا الرب، وليس آخر" (إشعياء 6:45). وهذا دليل على أن صيغة الجمع المستعملة مع اسمه في بعض الآيات، لا يُراد بها التعظيم، بل يُراد بها التعبير عن جامعية وحدانيته كما ذكرنا.

وبما أنه ليس من المعقول أن يستعمل الله في أقواله مع البشر اصطلاحا لغويا غير معروف لديهم، لئلا يسيئوا فهم الغرض منه، فمن المؤكد أنه لا يقصد بهذه الصيغة تعظيما لذاته. وبما أنه لا يقصد بها تعظيما لذاته، وفي الوقت نفسه هو وحده الخالق للإنسان، فمن المؤكد أيضا أنه لا يقصد بها ذاته وغيرها من الذوات، بل يقصد بها ذاته وحدها. وإذا كان الأمر كذلك كانت ذاته ليست مجردة أو مطلقة، بل شاملة أو جامعة .

فإذا أضفنا الى ذلك، أن الله عظيم كل العظمة في ذاته. ومن هو عظيم كل العظمة في ذاته، لا يلجأ الى تعظيمها ـ إذ لا يفعل ذلك إلا المخلوق الذي يشعر بوجود نقص في نفسه، فيدفعه مُركبُ النقص الى تعظيمها، لكي يغطي ما فيها من نقص ـ لا يبقى مجال للشك في أن صيغة الجمع المستعملة مع " الله" في هذه الآية وغيرها من الآيات، تدل على أن وحدانيته وحدانية جامعة.

2 ـ وبعد أن خالف آدم وصية الله، قال الله:" هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا، عارفا الخير والشر" (تكوين 22:3). ولا يمكن أن يكون الغرض من قوله " صار كواحد منا" التعظيم على الإطلاق، فهذا مستحيل للأسباب السابق

ذكرها. ولو كان غرض الله من قوله هذا أن يُعظم ذاته، لقال:" هوذا الإنسان قد صار مثلنا". ولذلك فقوله:" كواحد منا" بهذا النص، يدل على أنه جامع، أو بتعبير آخر على أنه أكثر من تعين واحد.

3 ـ وعندما كثر شر الناس على الأرض، قال أيضا:" هلم (أو دعنا) ننزل ونبلبل هناك لسانهم" (تكوين7:11) ـ والتأمل في هذه الآية، يتضح لنا أن قول الله " هلم" أو "دعنا"، لا يدل على تعظيمه لذاته إطلاقا، بل يدل على حدوث تداول بينه وبين آخر. فتُرى من هو هذا الآخر الذي كان الله يتداول معه!؟

الجواب: بما أن الله واحد لا شريك له، وفي الوقت نفسه هو كافٍ للقيام بكل أعماله بمفرده، إذن فهو لا يضع ذاته جنبا الى جنب مع أحد من خلائقه ويخاطبه بالقول:" هلم نعمل كذا وكذا..." وإذا كان الأمر كذلك، فإن التداول المذكور، يكون قد حدث بين الله وبين ذاته وحدها. وحدوث تداول بين الله وبين ذاته دليل قاطع على أنه جامع، أو بتعبير آخر على أنه أكثر من تعين واحد.

4 ـ وعندما ظهر الرب لإشعياء النبي في الرؤيا قال: " من أرسِل، ومن يذهب من أجلنا؟" (إشعياء 8:6) ـ ولا يمكن أن يكون الغرض من قوله " من أجلنا" التعظيم على الإطلاق، فليس من المعقول أن يعظم الله ذاته تارة ولا يعظمها أخرى، لأنه قال قبل هذه العبارة مباشرة " من أرسل " بصيغة المفرد. ولا يمكن أن يكون الغرض من قوله " من أجلنا " ذاته والملائكة الذين معه، لأنه لا يرسل رسولا الى البشر من أجله ومن أجل الملائكة معا، بل من أجله وحده، لأن البشر يجب أن يرجعوا إليه دون سواه. وإذا كان الأمر كذلك، فإن صيغة الجمع في هذه العبارة لا يمكن أن تدل إلا على أن وحدانية الله جامعة. أو بتعبير آخر لا تدل على أن ذاته ليست تعينا واحدا، بل تعينات، وأن المتكلم هو تعين من هؤلاء التعينات.

5 ـ فضلا عما تقدم من أدلة، فإننا إذا رجعنا الى اللغة العبرية، التي هي اللغة الأصلية للتوراة، وجدنا أن " الله" يُسمى فيها باسمين رئيسيين: الأول " إلوهيم" (تكوين 1:1)، وهو اسم جمع معناه الحرفي " الآلهة". والثاني " يهوه" (خروج 15:3) وهو اسم مفرد، معناه الحرفي " يكون باستمرار" أو " الكائن بذاته على الدوام". ولا شك في أن الله بإطلاقه على نفسه اسم " إلوهيم" الجمع، بجانب اسم " يهوه" المفرد، لا يقصد تعظيما لذاته، لأنه لو كان الأمر كذلك، لما استعمل الإسم المفرد إطلاقا، إذ ليس من المعقول أن يُعظم ذاته تارة ولا يعظمها أخرى، بل يقصد التعبير عن نوع وحدانيته في مجال خاص. وهذا النوع لا يمكن أن يكون سوى الوحدانية الجامعة، أو الوحدانية المتميزة بأكثر من تعين واحد كما ذكرنا. ومما يثبت كذلك أن الجمع في كلمة " إلوهيم"، لا يقصد به تعظيم الله لذاته، بل الإعلان عن أن وحدانيته وحدانية جامعه، الدليلان الآتيان:

(أ) لا يُقال مطلقا " رؤساء" أو " سادة" للدلالة على تعظيم " رئيس" أو " سيد"، بل للدلالة على وجود أكثر من " رئيس" واحد، أو " سيد" واحد. وعلى هذا المقياس لا يُراد بكلمة " إلوهيم" تعظيم الله، بل يُراد بها أنه أقانيم.

(ب) الإسم " إلوهيم" لم يُستعمل عند ورود اسم الجلالة كالمتكلم والمخاطب فحسب، بل وعند وروده كالمتكلم عنه أيضا. فكلمة " الله" في الآية " في البدء خلق الله السموات والأرض" (تكوين 1:1) هي في الأصل العبري " إلوهيم". وبما أن القاعدة العامة هي أن صيغة الجمع لا تُستعمل للتعظيم، إلا إذا ورد الفاعل كالمتكلم أو المخاطب فحسب، إذن ف " إلوهيم" تدل قطعا على أن الله أكثر من تعينٍ واحد.

وأمام هذه الحقيقة، يسأل البعض: **وما غرض الله من إطلاق إسمين مختلفين على نفسه، وفي أي مجال يُطلق كلا منهما عليها؟**

والجواب: لولا وجود الخلائق العاقلة، لما كان هناك داع لأن يطلق الله على نفسه اسما ما. ولكن عندما خلقها، استلزم الأمر أن يطلق على نفسه اسما لتعرفه به، يُراعى في اختياره أن يكون ذا معنى يمكن لخلائقه أن تعرف به شيئا عنه، لأن كل اسم يُراد به تعريف المسمى به لدى غيره. ولما كان المخلوق، بسبب قصوره الذاتي، لا يستطيع أن يعرف شيئا عن الله، من حيث ما هيته. وكل ما يستطيع معرفته عنه هو صفاته وأعماله الظاهرة، كان من البديهي أنه عندما يطلق الله على نفسه اسما، يختار اسما يدل على صفاته أو أعماله الظاهرة لخلائقه. فإذا رجعنا الى سفر التكوين، الذي هو أول إعلان للبشر عن الله، وجدنا أن أول اسم عُرف به في بدء الخلق وأثناء الخلق، هو " إلوهيم" الجمع. وعندما أكمل خلق العالم، وأخذ في خلق الإنسان والإتصال به، عُرف باسم " يهوه إلوهيم"، أو حسب الترجمة الحرفية " الآلهة الكائن بذاته" (إقرأ تكوين 1:1، 2، 3، 4، 5 مع تكوين 4:2، 5، 7، 8). ومن هذا نستنتج:

(1) يُراد باسم " إلوهيم" الجمع،" الله مع ذاته"، أو " الله بصرف النظر عن علاقته مع غيره". فكان من البديهي أن يُعرف الله بهذا الإسم، قبل الخلق وأثناء الخلق، لأن الإسم المذكور يدل في معناه، وفي جامعيته، على كفاية الله الذاتية، واستغنائه بذاته عن كل شيء سواه، كما يدل على وجود صفاته بالفعل، بصرف النظر عن وجود الكائنات أو عدم وجودها.

(2) يُراد باسم " يهوه" المفرد، " الله في علاقته مع غيره"، ولذلك كان من البديهي أن يُعرف الله بهذا الإسم عندما خلق الإنسان وبعد خلقه إياه، لأن الإسم المذكور يدل على العهد وما يتبع ذلك من المرافقة والمساعدة.

(3) لم يكن يُقصد بالإسم " إلوهيم" الله وبعض الآلهة معه، كما أنه لم يكن يُطلق عليه بواسطة اليهود بعد تأثرهم بالوثنية، كما يقول بعض المتهكمين من رجال الفلسفة، بل كان يُقصد به الله وحده، كما كان يُطلق عليه قبل تأثر اليهود بالوثنية بسنين كثيرة، والدليلان الآتيان خير شاهد على ذلك:

أ - يستعمل الوحي اسم " إلوهيم" الجمع مرادفا لإسم " يهوه" المفرد. وهذا دليل قاطع على أنه يُقصد به " إلوهيم"، ذات الله الواحد، فقد قال موسى النبي (حسب الترجمة الحرفية للنص العبري) لبني إسرائيل:" إسمع يا إسرائيل، يهوه (مفرد) آلهتنا (جمع) يهوه (مفرد) واحد" (تثنية 4:6). وقد ورد اسم " إلوهيم" مرادفا أيضا لإسم " يهوه"، في آيات كثيرة مثل (تكوين 7:2، 8، 9، 15، 18، 19، 1:3، 8، 9، 13، 4:4، 6، 9، 1أخبار الأيام 8:28). ونظرا لأن " يهوه" هو " إلوهيم" و " إلوهيم" هو " يهوه"، تُسند الصفات الخاصة بـ " يهوه" الى " إلوهيم"، وتُسند الصفات الخاصة بـ " إلوهيم" الى " يهوه"، سواء بسؤاء (إقرأ مثلا 2صموئيل 23:7).

ب - موسى النبي هو أول من استعمل هذا الإسم، ليس في كتابة متأخرة بل في أول كتابته عن الله والخليقة (تكوين1:1).

مما تقدم يتضح لنا أن التوراة، مع إعلانها أن الله واحد لا شريك له، تُعلن أيضا أن وحدانيته جامعة، أو بالحري وحدانية جامعه مانعه.

التوراة وماهية الجامعية في الوحدانية الإلهية

توجد آيات كثيرة تدل على أن جامعية الله ليست ذاته وصفاته، بل أنها ذاته وحدها. أو بتعبير آخر تدل على أن ذاته ليست أقنوما واحدا بل أقانيم، ولكن للإختصار نكتفي بالآيات التالية:

1 - قال الرب " **يهوه**" على لسان هوشع النبي سنة 700 ق.م.:" وأخلصهم بالرب " **يهوه إلههم**" (هوشع 7:1) - فبالتأمل في هذه الآية، يتضح لنا أن المتكلم وهو " الرب" سيخلص شعبه بمن يدعوه " الرب إلههم". وبما أن المتكلم أو المخلص لا يكون صفة بل أقنوما (لأن الصفة معنى، والمعنى لا يتكلم ولا يقوم بعمل ما) وبما أن الرب هو بعينه الرب الإله (لأنه ليس هناك رب أو إله سواه). وبما أن الرب الواحد، أو الرب الإله الواحد، متكلم ومتكلم عنه في نفس الوقت، إذن فهذه الآية تدل أيضا على أن الله أكثر من أقنوم واحد.

2 - وعندم استفحل شر سدوم وعمورة، قيل بالوحي " فأمطر الرب " يهوه" على سدوم وعمورة كبريتا ونارا، من عند الرب "يهوه" من السماء " (تكوين 24:19). وبالتأمل في هذه الآية يتضح لنا أن المتكلم وهو " الرب"، أمطر كبريتا ونارا من عند آخر يدعى " الرب". وبما أن الممطِر أو الممطَر من عنده لا يكون صفة بل أقنوما (لأن الصفات معانٍ، والمعاني ليس لها وجود ذاتي، ولا تعمل عملا ما) وبما أن " الرب" (يهوه) هو " الرب" (يهوه) بعينه (لأنه ليس هناك رب سواه) وبما أن الرب الواحد متكلِّم ومتكلَّمَ عنه في نفس الوقت، إذن فهذه الآية تدل كذلك على أن الله أكثر من أقنوم واحد.

3 - وقال داود النبي بالوحي سنة 1000ق.م.: " قال الرب لربي، إجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك" (مزمور1:110) وقال أيضا مخاطبا المولى " كرسيك يا الله الى دهر الدهور ... من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الإبتهاج "(مزمور 6:45، 7). وبما أن المتكلم أو المخاطب و" الماسح" أو" الممسوح"، لا يكون صفة "

(لأن الصفة لا تقوم بعمل) وبما أنه ليس هناك إلا رب واحد وإله واحد، وهذا الرب الواحد هو بعينه الله الواحد، وبما

أن الرب الواحد متكلم ومخاطب في نفس الوقت، والله الواحد ماسح وممسوح في نفس الوقت، إذن فهذه الآيات تدل أيضا على أن الرب أو الله، ليس أقنوما واحدا بل أقانيم.

4 - وقال الله بفم إشعياء النبي سنة 700 ق.م.:" إسمع لي يا يعقوب .. أنا الأول وأنا الآخر"، " والسيد الرب أرسلني وروحه" (إشعياء 48:12-16). وبالتأمل في هذه الآيات، نرى أن " الأول والآخر" أو بتعبير آخر " الله الأزلي الأبدي" قد أرسل بواسطة اثنين، هما " السيد الرب" و" روحه". وبما أن " الأول والآخر" المرسِل والمرسَل لا يكون صفة (لأن الصفة لا تُرسِل ولا تُرسَل) وبما أن " الأول والآخر" (المرسَل) و "السيد الرب" و "روحه" (المرسِلين) ليسوا كائنات مختلفة، بل هم كائن واحد، هو " الله" (لأنه هو الأول والآخر. وهو بعينه السيد الرب، وروحه ليس كائنا غيره، بل هو أيضا عين ذاته، إذ أن الله لا تركيب فيه)، وبما أن الله الواحد مرسل ومرسَل في نفس الوقت، إذه فهذه الآيات تدل كذلك على أنه ليس أقنوما واحدا بل أقانيم، لأن الأقانيم يمكن أن يرسل أحدهم الآخر، للقيام بأعمال اللاهوت الخاصة بأقنوميته.

أسماء الأقانيم وعددهم ووحدتهم

1 - قال موسى النبي سنة 1500ق.م. عن بدء الخليقة:" في البدء خلق الله السموات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظُلمة، وروح الله يرف على وجه المياه" (تكوين 1:1 ،2). فمن هاتين الآيتين، يتضح لنا أن اثنين قد اشتركا في القيام بالخلق، هما " الله" و " روح الله"، فالأول خلق السموات والأرض، والثاني كان يرف على وجه المياه، ليبعث الحياة فيها. و " روح الله" وإن كان يبدو أنه غير الله، إلا أنه في الواقع ليس سوى الله في جوهره، وذلك لسببين (أ) إن الله لا تركيب فيه (ب) إن الله هو وحده خالق السموات والأرض، وباعث الحياة في كل الكائنات.

2 - وقال داود النبي سنة 1000ق.م.:" بكلمة الرب صُنعت السموات" (مزمور 6:33)، وقال في موضع آخر مخاطبا المولى:" ترسل روحك فتُخلق" (مزمور 30:104) - ومن هاتين الآيتين يتضح أن اثنين قاما بالخلق: هما " كلمة الرب" و " روح الرب". و" كلمة الرب" بمعنى علم الرب وقوته. وإن كانت تبدو أنها غير " روح الرب" إلا أنهما في الواقع ليسا سوى الرب في جوهره، وذلك لسببين (أ) إن الرب لا تركيب فيه (ب) إنه وحده هو خالق السموات والأرض.

3 - وخاطب أجور، أحد حكماء إسرائيل الأتقياء صديقا له سنة 1950 ق.م. قائلا له بالوحي:" من ثبت جميع أطراف الأرض؟ ما اسمه وما اسم إبنه، إن عرفت؟" (أمثال 4:30).

وقد كانت هذه الآية موضع جدال بين علماء اليهود زمنا طويلا، لكنهم انتهوا بعد دراسة التوراة دراسة دقيقة، الى أنه يقصد بهذا " الإبن"، المسيا أو المسيح. ومعنى " الإبن هنا، ليس هو المعنى الحرفي، بل المعنى الروحي الذي يتوافق مع روحانية الله وخصائصه الأخرى.

ومن قول أجور هذا في أمثال 4:30 يتضح لنا أن الله (أو بالحري اللاهوت) ليس مجردا، بل متميز بـ " ابن". و" ابن الله"، وإن كان يبدو أنه غير الله، إلا أنه ليس سوى الله في جوهره، إذ أنه هو " كلمة الله" أو " المعلِن لله".

وقال على لسان إشعياء النبي سنة 700 ق.م. كما ذكرنا فيما سلف " أنا الأول وأنا الآخر ... والآن السيد الرب أرسلني وروحه" (إشعياء 48:12- 16). ومن هذه الآية يتضح أيضا أن " الأول والآخر"، قد ارسل بواسطة اثنين، هما " السيد الرب" و " روحه". والأول والآخِر، والسيد الرب، وروح الرب. وإن كان يبدو أن أحدهم غير الآخر، إلا أنهم في الواقع كائن واحد، هو " الرب".

مما تقدم يتضح لنا أن التوراة لا تعلن فقط أن جامعية الله هي أقانيم، كما ذكرنا في الفصل السابق، بل تعلن أيضا أن هؤلاء الأقانيم هم ثلاثة: إذ أن " الكلمة" و" الإبن" هما واحد، و" الرب" و " السيد الرب" هما واحد، والثالث هو المسمى " الروح" أو " روح الرب". والأقانيم ليسوا كائنات غير الله أو كائنات معه، بل هم عين ذاته كما ذكرنا.

الأدلة على صدق شهادة التوراة

فضلاعن أن الآيات السابق ذكرها مسجلة بالوحي الإلهي، الأمر الذي لا يدع مجالا للشك في صدقها، فهناك أدلة عقلية كثيرة تؤيد أيضا صدقها، نكتفي منها بما يأتي:

1 ـ الذين كتبوا هذه الآيات، وهم موسى وداود وإشعياء، لم يكونوا من الوثنيين، بل من المؤمنين الذين يعتقدون اعتقادا راسخا بوحدانية الله وعدم وجود أي تركيب فيه، كما يتبين لنا من أقوالهم في التوراة.

فموسى هو الذي سجل قول المولى:" أنا الرب إلهك ... لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" (خروج 1:20، 2). وداود هو الذي قال:" قلت للرب، أنت سيدي خيري لا شيء غيرك. تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء آخر" (مزمور2:16، 4) وإشعياء هو الذي سجل قول المولى " أليس أنا الرب، ولا إله آخر غيري؟" (إشعياء 21:45).

وبما أنهم بجانب هذه الأقوال، قد شهدوا في الآيات التي ذكرناها الآن، ما يُستنتج منه أن الله ليس أقنوما واحدا بل أقانيم، إذن لا سبيل للظن أنهم نقلوا هذه الآيات عن الوثنيين، بل من المؤكد أنهم نقلوها من الله رأسا، كإعلان تفصيلي عن ذاته.

2 ـ هذه الآيات ونظائرها، لا ترد في بعض أجزاء التوراة دون البعض الآخر، بل ترد في جميع أجزائها بلا استثناء، رغم كتابتها في عصور متباينة ومتباعدة، وبواسطة أشخاص يختلف بعضهم عن البعض الآخر في الثقافة والسن والنشأة والبيئة اختلافا عظيما. وهي لا ترد مصحوبة بأية إشارة لإثبات صحتها، أو توجيه النظر إليها بصفة خاصة، بل ترد في سياق الكلام العادي دون أية إشارة من هذا النوع، إذن فلا مجال للظن بأنهم لم يكتبوها بوحي الله، لأن وحيه واحد لجميع الأنبياء على اختلاف عصورهم وظروفهم، ولأن الله لا يحتاج الى برهان بشري يُثبت صدقه، إذ أنه يحمل في ذاته طابع الصدق، الذي لا يأتيه الباطل من ناحية ما.

3 ـ أخيرا، لو كانت هذه الآيات مدونة في توراةٍ يحتفظ بها المسيحيون فحسب، لكان هناك مجال للطعن في صدقها، بدعوى احتمال تأليف بعض المسيحيين لها، لتأييد عقيدة التثليث التي يؤمنون بها. لكن التوراة التي يحتفظ بها المسيحيون والمدونة فيها هذه الآيات، هي بعينها التوراة التي يحتفظ بها اليهود أنفسهم. لذلك فالطعن أو التشكك في صدق الآيات المذكورة، لا يقوم على أساس.

شهادة الإنجيل بأن وحدانية الله جامعة مانعة

هناك آيات كثيرة في الإنجيل تدل على أن وحدانية الله هي وحدانية جامعة مانعة، أو بتعبير آخر: إن الله ليس أقنوما واحدا بل أقانيم، متى 16:3، 17 ومرقس 9:1- 11، ولوقا 21:3، 22 ويوحنا 16:14، 17، 26:15، 2كورنثوس 14:13، وغلاطية 6:4، وأفسس 18:2، ويهوذا 21,20.

لكن للإختصار نكتفي هنا بالآية التالية، على سبيل المثال:

قال المسيح لتلاميذه في أواخر خدمته على الأرض:" فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والأبن والروح القدس" (متى 19:28).

والعماد في المسيحية، هو خدمة دينية، يغطس بها المؤمن في الماء، ثم يُقام منه ثانية، للدلالة على موته عن الخطية وقيامته بحياة روحية جديدة يحيا بها لمجد الله دون سواه. أما اعتماد بني إسرائيل لموسى في البرية، فيُراد به خضوعهم له وانقيادهم وراءه (1كورنثوس 2:10، وغلاطية 27:3، رومية 3:6، 4).

كما أن معنى الأبوة والبنوة هنا، ليس هو المعنى الحرفي، بل المعنى الروحي الذي يتوافق مع خصائص الله، كما سيتضح لاحقا فى هذا الكتاب.

وبالتأمل في هذه الآية يتبين لنا:

1 ـ إنها لا تقول بأسماء الآب والابن والروح القدس؛ بل " باسم الآب والابن والروح القدس". وكلمة " باسم"

المفردة، تدل بكل وضوح على أنه لا يقصد بالأقانيم " الآب والابن والروح القدس" ثلاثة كائنات، بل كائن واحد، هو بذاته واحد، هو بذاته " الآب والابن والروح القدس"، أو بتعبير آخر، هو الله دون سواه. ورُبَّ قائل يقول، إن استعمال كلمة " اسم" ليس دليلا قاطعا على أن " الآب والابن والروح القدس" كائن واحد، فمن المحتمل أن يكونوا ثلاثة كائنات منفصلة، وكل منهم مضاف على حدة الى كلمة " اسم" ولكن لا مجال لمثل هذا الإعتراض، إذا ذكرنا الحقيقة اللغوية، الواردة بعد ذلك في البند الثاني. كما يدعي بعض المعترضين أن الآب وحده هو الله، وأن الإبن والروح القدس منبثقان منه. لكن هذا الإدعاء لا نصيب له من الصواب إطلاقا، وذلك لسببين رئيسيين (أ) إن المراد بـ" الآب والابن والروح القدس" (كما يتضح لاحقا فى هذا الكتاب) كائن واحد فحسب، وبما أن المعترضين يعتقدون أن " الآب" هو الله، وجب عليهم التسليم بأن " ابن والروح القدس" واحد معه في الجوهرأو الذاتية، وبالتالي بأن " الآب والابن والروح القدس" هو الله. (ب) إن الغرض الروحي من العماد هو الخضوع المطلق والتكريس الكامل، وبما أن هذا لا يكون إلا لله، ولله وحده، لذلك لا جدال في أن " الآب والابن والروح القدس"، الذين نعتمد باسمهم، هم الله. ونظرا لأننا سنرد على جميع الإعتراضات في الباب الخامس، نكتفي هنا بهذه الملاحظة.

2 ـ إن حرف العطف المترجم من اليونانية "و"، والموضوع بين كلمتي " الآب" و " الإبن"، دليل لغوي على أنه يُقصد بالأقانيم الثلاثة، كائن واحد، لأنهم لو كانوا غير ذلك، لاستعمل بدلا من حرف العطف المذكور، العلامة التي تُدعى في العربية " الفاصلة" "،".

ولزيادة الإيضاح نقول: إذا أريد التعبير عن مجيء ثلاثة أشخاص أحدهم محام، وثانيهم طبيب، وثالثهم مهندس، فإنه بحسب قواعد اللغة اليونانية يُقال " جاء محام، طبيب ومهندس" بوضع فاصلة بين الإسمين الأول والثاني، وحرف عطف بين الإسمين الثاني والثالث. أما إذا أريد التعبير عن مجيء شخص واحد، هو محام وطبيب ومهندس في نفس الوقت، فإنه يُقال:" جاء محام وطبيب ومهندس"، بوضع حرف عطف بين كل من الإسمين الأول والثاني، والإسمين الثاني والثالث. وهذه هي نفس الصيغة المستعملة في الآية " باسم الآب والابن والروح القدس"، الأمر الذي يدل على أنه يقصد بهم كائن واحد، ليس سواه.

وحقيقة وحدانية الله وعدم وجود تركيب فيه يعبر عنها كما ذكرنا ، بـ" التوحيد". ويُعبر عن حقيقة تميزه بثلاثة أقانيم بـ" التثليث". ولذلك فالتثليث ليس معناه أن هناك ثلاثة آلهة، كما يظن بعض الجهلاء، بل معناه أن الله الذي لا شريك له ولا تركيب فيه، هو بذاته ثلاثة أقانيم، لأنه هو بذاته المقصود بـ"الآب والابن والروح القدس".

وأول استعمال للفظة " التثليث" كان في القرن الثالث بعد الميلاد. وهي باللغة اليونانية " ترياس" ومعناها، كما يقول أساتذة اللغة اليونانية " واحد وثلاثة". فكلمة " واحد"، يُشار بها الى جوهر الله، وكلمة " ثلاثة"، يُشار بها الى أقانيمه وليس معنى ذلك أن عقيدة التثليث ظهرت في القرن الثالث، لأن هذه العقيدة كانت معروفة كل المعرفة لدى المسيحيين منذ القرن الأول، كما سنوضح في الأبواب التالية، إنما لم تكن في أيامهم حاجة الى إطلاق اسم عليها، إذ كانوا في بساطة إيمانهم يكتفون بالإعتقاد أن الله هو " الآب والابن والروح القدس"، وأن " الآب والابن والروح القدس" هم الله. ولكن لما اعتنق المسيحية كثير من الفلاسفة في القرن الثالث، عبروا عن هذا الإعتقاد بـ" التثليث".

توافق التثليث مع وحدانية الله، وعدم وجود تركيب فيه

اتضح لنا مما سبق، أن وحدانية الله الجامعة المانعة تتفق كل الإتفاق مع وحدانيته وعدم وجود تركيب فيه. لكن نظرا لأن البعض يظن أن التثليث يتعارض مع هاتين الحقيقتين، رأينا من الواجب أن نثبت في هذا الفصل خطأ هذا الظن، ومخالفته للحقيقة كل المخالفة، ولذلك نقول:

1 ـ لو كان المراد بالتثليث أن هناك ثلاثة آلهة، أو إلهين ثانويين مع الله، لكان هناك مجال للطعن في صحة التثليث، لأنه يكون في هذه الحالة إشراكا. لكن الأمر ليس كذلك، لأن المراد به، هو أن الله الذي لا شريك له، هو بعينه ذات الأقانيم الثلاثة، وأن هؤلاء الأقانيم الثلاثة هم بعينهم ذات الله الذي لا شريك له، لأنهم لم يخرجوا عن كونهم تعينات

اللاهوت (أو الله) واحد ووحيد، لا ينقسم أو يتجزأ على الإطلاق. ولذلك فالتثليث لا يتعارض مع وحدانيته، بل يتوافق معها كل التوافق.

ولقد قلنا إن الله واحد ووحيد، لأن الواحد هو الفرد في العدد، والوحيد هو الفرد في النوع. فبطرس مثلا واحد، لكنه ليس وحيدا، لأن هناك كثيرين مثله من بني جنسه. أما الله أو اللاهوت، فواحد ووحيد، لأنه ليس له نظير على الإطلاق.

2 ـ ولو كان المراد بالتثليث، أن هناك ثلاثة أجزاء في الله، أو ثلاثة عناصر فيه، أو أن هناك ثلاثة أشكال له، لكان هناك أيضا مجال للطعن في صحته، لأن الله يكون في هذه الحالة مركبا، والحال أنه غير مركب. لكن الأمر ليس كذلك، لأن الأقانيم ليسوا أجزاء في الله، أو عناصر فيه، أو أشكالا له، بل أنه كما ذكرنا آنفا، هم تعيُّنه، أو بتعبير آخر هم عين ذاته، لأن تعينُّ الله ليس شيئا سوى ذاته. ولذلك فاتثليث لا يتعارض مع حقيقة عدم تكون الله من أجزاء أو عناصر، بل يتوافق معها أيضا كل التوافق.

مما تقدم، يتضح أن الكتاب المقدس يعلن لنا بالتثليث، أن الله لا شريك له، لأنه ينص على أن الأقانيم هم ذات الله، وليسوا كائنات غيره أو معه. وأنه أيضا لا تركيب فيه، لأنه ينص على أن الأقانيم هم عين ذاته، وليسوا أجزاء أو عناصر فيه، أو صورا أو أشكالا له. ولذلك ليس هناك مجال للطعن في عقيدة التثليث على الإطلاق. فضلا عن ذلك فإننا إذا تأملناها مليا، وجدناها على أعظم جانب من الأهمية، للأسباب الآتية:

1 ـ إنها البينة على أن الله مع تميزه بصفات وعلاقات متكاملة، ليست وحدانيته الوحدانية المجردة أو الوهمية، كما اضطر الى القول بذلك رجال الفلسفة الذين نزهوا الله عن كل شيء سوى اسمه، بل الوحدانية الحقيقية التي هو بها ذو كيان حقيقي أو وجود حقيقي.

2 ـ إنها البينة على أن الله مع تميزه بصفات وعلاقات متكاملة، ليست وحدانيته الوحدانية الشكلية التي تبدو واحدة في ظاهرها، لكنها في الحقيقة الأمر مركبة من عناصر أو أجزاء مثل وحدانية المخلوقات، بل هي الوحدانية الجوهرية التي تثبت أنه ـ مع تميزه بمميزات خاصة، لا يوجد فيه تركيب أبدا.

إن وحدانية المخلوقات جميعا، هي وحدانية شكلية أو ظاهرية، لأن كل مخلوق مكون من عناصر أو أجزاء. والمكون من عناصر أو أجزاء، لا تكون وحدانيته وحدانية بمعنى الكلمة. وإذا كانت الذرة نفسها، التي لا يمكن تقسيمها الى أجزاء، مكونة كما يقول العلماء من بروتونات ونيوترونات والكترونات، كان الله مع تميزه بمميزات خاصة، هو وحده الذي لا تركيب فيه بأي وجه من الوجوه.

ولذلك كان الله هو وحده الذي مع جامعيته، متوافق مع ذاته كل التوافق الذي يليق بكماله واستغنائه بذاته عن كل شيء في الوجود ـ أما الإنسان (مثلا)، فإنه مع وحدانيته، معرض للنزاع الداخلي بينه وبين نفسه، لأنه مكون من عناصر مختلفة ـ (هي الجسد والنفس والروح).

3 ـ إنها لا تدع مجالا لأية مشكلة من المشكلات الفلسفية أو الدينية التي تقوم في وجه الذين يؤمنون أن وحدانية الله هي وحدانية مجردة أو مطلقة، لأنها تبين لنا أن الله، مع تفرده بالأزلية، كان ولا يزال مستغنيا بذاته عن كل شيء كل الإستغناء. كما أنه لم يتعرض لأي تطور أو تغير بسبب خلقه للعالم ودخوله في علاقة مع كائنات لم يكن لها وجود من قبل، لأنه بسبب كونه ثلاثة أقانيم، تكون صفاته بأسرها فاعلة، منذ الأزل الذي لا بدء له الى الأبد الذي لا نهاية له، بصرف النظر عن وجود هذه الكائنات أو عدم وجودها، كما ذكرنا.

ولذلك فكون الله ثلاثة أقانيم، هو، إن جاز التعبير، من مستلزمات وجوده الذاتي وكماله التام.

توافق ظهور أقنوم دون آخر، مع ثبات الله وعدم تعرُّضه للتغير

اتضح لنا مما سلف أن الأقانيم واحد في واحد اللاهوت، وأن اللاهوت واحد ووحيد ولا ينقسم أو يتجزأ على الإطلاق، ولذلك فمن البديهي ألا ينفصل أحدهم عن الآخر بأي حال من الأحوال. لكن الذين لا يدركون هذه الحقيقة، يعترضون

عليها بالقول: كيف ينفق مثلا مجيء أقنوم " الإبن" الى الأرض، مع الاعتقاد بعدم قابلية الأقانيم للإنفصال، أو بالحري مع الإعتقاد بثبات الله وعدم تعرضه للتغير؟

وردا على ذلك نقول:

1 - لو أن الأقانيم عناصر أو أجزاء في الله. لكان مجيء أحدهم الى الأرض، أو بتعبير أدق ظهوره عليها، دون الأقنومين الآخرين، يؤدي الى حدوث تفكك في الله، لأن مثله في هذه الحالة، يكون مثل الإنسان الذي عندما تخرج روحه من جسمه بالموت، يتعرض للتفكك والتغير. ولكن الأقانيم ليسوا عناصر في الله أو أجزاء فيه، بل هم عين ذاته. وذاته واحدة لا تتعرض للتجزئة أو الإنقسام على الإطلاق. ولذلك فلا يمكن أن يتعرض الله لأي شيء من التغير، بظهور أحد الأقانيم في مكان دون الأقنومين الآخرين.

2 - لو أن اللآهوت متحيز بمكان، لكان ظهور أقنوم على الأرض أو في أي مكان آخر، دون الأقنومين الآخرين، يؤدي الى حدوث تفكك في الله، لأنه لا يمكن في هذه الحالة أن يكون أقنوم ظاهرا بمفرده في مكان ما، ويكون في الوقت نفسه واحدا مع الأقنومين الآخرين في اللاهوت، لأن مثل الله في هذه الحالة، يكون مثل الإنسان الذي عندما تخرج روحه من جسمه لوقت ما، لا يمكن أن تكون منفصلة عن جسمه ونفسه، وفي الوقت ذاته تكون متحدة بهما، لأنها محدودة كنفسه وجسمه، وفي الوقت ذاته هي قابلة للإنفصال عنهما. لكن اللاهوت ليس كذلك، لأنه لا يتحيز بمكان أو زمان، ولا يتعرض للتجزئة أو الإنقسام. ولذلك عندما يظهر أحد الأقانيم في مكان، للقيام بأي عمل من أعمال اللاهوت، لا يكون قد انفصل عنه لأن اللاهوت هو عين جوهره، ولا يكون قد انحصر في حيز خاص لأن اللاهوت لا يتحيز بمكان أو زمان، ولا يكون قد افترق عن الأقنومين الآخرين لأن اللاهوت لا ينقسم أو يتجزأ على الإطلاق، بل يظل قائما بكل اللاهوت (إن جاز هذا التعبير)، وفي وحدة كاملة مع الأقنومين الآخرين.

وقد أشار السيد المسيح أقنوم الإبن، الذي ظهر على الأرض، ليعلن لنا ذات الله ويقربنا إليه - أشار الى حقيقة عدم تحيز أي أقنوم بمكان أو زمان حينما تحدث عن نفسه أثناء وجوده بالجسد على الأرض، إذ قال:" وليس أحد صعد الى السماء، إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء" (يوحنا 13:3)، ومعنى ذلك أنه مع وجوده بالجسد على الأرض في وقت ما، كان في نفس هذا الوقت بلاهوته في السماء، وفي كل مكان أيضا تبعا لذلك.

مما تقدم يتضح لنا، أنه نظرا لأن اللاهوت لا يتجزأ ولا ينحصر في مكان أو زمان، وفي الوقت نفسه هو جوهر الأقانيم معا وجوهر كل أقنوم على حدة، فإن الأقانيم واحد بوحدانية غير قابلة للإنفصال على الإطلاق. ولذلك فمنذ الأزل الذي لا بدء له، الى الأبد الذى لا نهاية له، لا ينفصل أقنوم عن الأقنومين الآخرين بأي حال من الأحوال. وقد وصف القديس أثناسيوس الرسولي وحدانية الأقانيم هذه، فقال:" إنها اتحاد بلا اختلاط، وتميز بلا انفصال"، وحقا إنها كذلك. أخيرا نقول، إننا لا ننكر أن التثليث يفوق العقل والإدراك، ولكنه مع ذلك يتوافق مع كمال الله كل التوافق. وليس هناك مجال لإعتراض عليه بأي وجه من الوجوه، لأن وحدانية الله، كما اتضح لنا، ليست وحدانية مجردة أو مطلقة، بل هي وحدانية جامعة مانعة. وجامعيتها ليست صفات بل أقانيم، والأقانيم متميز أحدهم عن الآخر. وفي الوقت نفسه هم واحد في اللاهوت، ولا انفصال لأحدهم عن الآخر إطلاقا، لأنهم ذات الله عينها. وطبعا كما أننا لا نتصور الله في وحدة لاهوته كالله الواحد، شخصا واحدا جالسا على عرش واحد، كذلك لا نتصوره في ثالوثه كالآب والابن والروح القدس، ثلاثة أشخاص جالسين على ثلاثة عروش، لأن هذا االتصور تحديد وتجسيم لله، مع أنه لا حد ولا جسم له. فهو في ثالوث وحدانيته ووحدانية ثالوثه روح لا يدخل تحت حصر أو شكل، ولذلك فهو أسمى من أن يخوض فيه الفكر أو يتصوره الخيال. وقد حاول البعض تشبيه ذات الله بأمثلة من الطبيعة، لكي يقربوا ثالوث وحدانيته الى عقول العامة التي لا تفهم الروحيات إلا بالمحسوسات. ولكن جميع الأمثلة التي أتوا بها، تقصر دون الإفصاح عن حقيقة ذات الله، لأنها لا تشبه الإنسان الواحد المكون من نفس وروح وجسد، أو عقل ونطق وحياة، ولا تشبه الإنسان الواحد الذي يشغل ثلاث وظائف في وقت واحد، ولا تشبه النفس الواحدة التي فيها مع وجودها الذاتي النطق والحياة، ولا تشبه الشمس الواحدة التي فيها مع وجودها الذاتي الأشعة والحرارة، ولا تشبه ... ولا تشبه ... لأن الأقانيم ليسوا عناصر أو أجزاء من الله، أو صورا أو وظائف له، بل هم عين ذاته التي لا تركيب فيها على الإطلاق، الأمر الذي لا يوجد له نظير بين الكائنات.

أسماء الأقانيم
" الإبن" أو " الكلمة"

أولا: " الإبن":

1 - السبب في تسميته " الإبن":

بما أن الكتاب المقدس ينص على أن الله روح لا أثر للمادة فيه، وأنه لا يولد ولا يلد، وأنه لا شريك له أو نظير، وأنه ليس قبله أو بعده إله، وأنه ثابت لا يزيد ولا ينقص عل الإطلاق. إذن فمن المؤكد أنه لا يُراد بأقنوم " الإبن"، " ابن" بالمعنى الحرفي الذي يتبادر الى ذهن الإنسان الجسدي، بل " ابن" بالمعنى الروحي الذي يتوافق مع روحانية الله وخصائصه السامية الأخرى. ويعرف كل المسيحيين هذه الحقيقة تمام المعرفة. ولذلك ليس هناك واحد منهم يظن أن أقنوم " الإبن " قد دُعي بهذا الإسم، لأنه وُلد بواسطة " الآب"، أو لأنه أحدث منه زمانا، أو لأنه أقل منه مقاما، لأنهم جميعا يعلمون من الكتاب المقدس، أن الإبن واحد مع الآب والروح القدس في اللآهوت بكل خصائصه وصفاته، كما ذكرنا فيما سلف. ولذلك إذا سمع أحدهم شخصا يقول إنه يراد ببنوة أقنوم " الإبن"، معنى من هذه المعاني المادية، اعتبر ذلك تجديفا شنيعا على الله، يصم أذنية دونه، ويقاومه بكل ما لديه من حزم وعزم.

ذلك أن كلمة " ابن" تُستعمل في غير معناها الحرفي، ليس في هذا الموضع فحسب، بل وفي مواضع كثيرة أيضا. فنحن نقول عن إنسان ما إنه " ابن مصر" أو " ابن هذا الجيل"، للإشارة الى موطنه أو زمن وجوده. ولكن بنوة أقنوم " الإبن" لا يُراد بها معنى من هذين المعنيين أو غيرهما من المعاني المادية، لأن اسم " الإبن" واسمي الأقنومين الآخرين أيضا، هي أسماء روحية منزهة عن الزمان والمكان، لأنها خاصة بالله دون سواه، ولذلك قال " الإبن" مرة: " وليس أحد يعرف الإبن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الإبن". (متى 27:11)، فالعلاقة التي بينهما، ليس لها نظير في الوجود على الإطلاق.

وهنا يسأل البعض: إذا لم يكن المراد ببنوة " الإبن" معنى من هذه المعاني، فلماذا سُمي بهذا الإسم؟

الجواب: ليس في الكتاب المقدس آية خاصة عن سبب تسمية هذا الأقنوم بـ" الإبن" لأن الله لم يقصد بوحيه عن كنه ذاته بحثا عقليا، فيصوغه في قالب العلة والمعلول أو السبب والنتيجة، بل قصد به إعلانا عن حقيقة لا يدركها إلا هو، ولذلك علينا أن نقبلها ونؤمن بها كما هي، فإن " الإبن" دُعي بهذا الإسم، لأنه هو الذي يعلن الله، فهو صورة الله غير المنظور (كولوسي 15:1) وهو الذي أعلن الله الذي لم يره أحد قط (يوحنا 18:1).

وليست لله صورة بالمعنى المعروف لدينا، لأن الله جوهر لا عرض له. ولكن من المؤكد أن تكون له صورة خاصة، روحية لا مادية، لأنه وإن كان جوهرا لا عرض له، إلا أنه ذو تعين خاص، وكل من له تعين خاص له مظهر أو صورة. أما سبب تسمية " الإبن" بـ" صورة الله"، فهو نفس السبب في تسميته بـ" ابن الله" لأنه يعلن الله منذ الأزل، كما يتضح فيما يلي. و" الإبن" لم يحصل على هذا الإمتياز عن طريق الخلق، كما كان الحال مع آدم الذي خُلق على صورة الله، بل إن الإبن هو بأقنوميته صورة الله منذ الأزل الذي لا بدء له. ولذلك لا يقول الوحي عن هذا الأقنوم إنه خُلق على صورة الله، أو إنه صار على صورة الله، بل يقول إنه " صورة الله"، أي أنه في ذاته هو " صورة الله" أو " المعلن لله".

فضلا عن ذلك فان " صورة الشيء" قد وردت أحيانا في الكتاب المقدس بمعنى " ذات الشيء" أو " نصه". قال الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس:" تمسك بصورة الكلام **الصحيح**" أي " بذات الكلام الصحيح" (2تي 13:1)، وقال للعبرانيين:" لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء" أي" لا نفس **حقيقة** الأشياء أو **ذاتها**" (عبرانين 1:10)، ولذلك لا غرابة إذا كان المراد بـ" صورة الإبن"، " ذات الله" أو " الله معلنا".

ويظن البعض أنه نظرا لأن الإصطلاح " ابن الله" أطلق على بعض خلق الله من الناس والملائكة، فإن هذا الأقنوم (حسب زعمهم) يُعتبر واحدا من خلق الله. ولكن هذا الظن لا نصيب له من الصواب، لأنه بالرجوع الى الكتاب المقدس يتضح لنا أن الناس والملائكة دُعوا بوجه عام أبناء لله، لأن الله خلقهم، وأن المؤمنين قد دُعوا بهذا الاسم، بمعنى أقرب الى الله، لأنهم نالوا بالإيمان حياة روحية منه (غلاطية 26:3)، جعلتهم في حالة التوافق معه في أفكاره وصفاته. أما أقنوم " الإبن"، فلم يُدع بهذا الاسم لسبب من هذين السببين، بل لسبب يختلف عنهما كل الاختلاف، هو أن الإبن يعلن الله ويظهره منذ الأزل الذي لا بدء له، قبل وجود أي مخلوق من المخلوقات. فهو من هذه الناحية، فريد في

شخصه، وفريد في مركزه، وفريد في مهمته (إقرأ عبرانيين 1:1- 8). ولذلك أشير إليه بالوحي بأنه (1) " ابن الله الوحيد" أي الذي ليس له نظير في بنوته لله على الإطلاق ـ فلا يكون ملاكا أو إنسانا أو مخلوقا، لأن كل واحد من هؤلاء ليس وحيدا، بل له نظير. و (2) بأنه ابن الآب بالحق والمحبة (2 يوحنا 3)، أي أن بنوته ليست شيئا مكتسبا أو منعما بها عليه، بل أنها حق من حقوقه الذاتية. وشخص مثل هذا لا يكون ملاكا أو إنسانا أو مخلوقا ما، لأن كلا من هؤلاء، إن أطلق عليه اسم " ابن الله" فإنما يُطلق من باب النعمة وليس من باب الإستحقاق.

فالإصطلاح " ابن الله" ليس إذن لقبا للمسيح، بل هو اسمه بعينه، بينما الإصطلاح " أبناء الله" هو مجرد لقب للملائكة والبشر، لأنهم ليسوا في ذواتهم أو في جوهرهم أبناء الله. و" اللقب" يُراد به الإشارة الى علاقة من العلاقات أو صفة من الصفات، أما " الإسم" فيُراد به التعبير عن الشخصية نفسها. ولذلك لا يجوز الخلط بين بنوة المسيح لله، وبنوة الخلائق له، بأي وجه من الوجوه.

فتسمية المسيح بـ" الإبن" إذا ليست بالأمر الغريب، لأن البنوة في لغتنا تدل فيما تدل عليه، على المشابهة. فإذا رأينا إنسانا يتصرف مثل أبيه في شكله أو أو أخلاقه، قلنا إنه ابن أبيه. وعلى هذا القياس (مع الفارق الذي لا بد منه) يكون أقنوم " الإبن" قد دُعي بهذا الإسم، ليس لأنه يشبه الله، لأن الله لا شريك له ولا شبيه، بل لأنه صورته الذي يعلنه ويُظهره، إذ أن الصورة هي الشيء المنظور الذي يمثل حقيقة كائنة، ظاهرة لنا أم غير ظاهرة. فالابن هو " بهاء مجد الله ورسم جوهره" (عبرانيين 3:1). أي أنه الضوء المرئي الذي يُظهر مجد الله غير المرئي، والرسم المدرك الذي يعلن جوهر الله غير المدرك.

كما أن هذه التسمية تدل على المقام لأننا نقرأ في (متى 37:21) عن الغني الذي أرسل ابنه الى الكرامين قائلا:" إنهم يهابون ابني" لأن " الإبن" يحمل اسم أبيه ومقامه، ولا تدل مطلقا على الطاعة والخضوع، لأننا نقرأ في (عبرانيين 8:5) عن المسيح أنه " مع كونه ابنا تعلم الطاعة"، أي أن صفة الطاعة والخضوع لم تكن من صفاته كـ" الإبن الأزلي"، ولكنه شاء بمحض اختياره أن يطيع، ليتمم مقاصد اللاهوت السامية التي لا يستطيع أن يتممها سواه.

2 ـ " ابن الله" هو " ذات الله":

بما أنه ليس هناك مجد إلا ويلازمه بهاؤه منذ وجوده، وليس هناك جوهر حقيقي إلا ويلازمه رسمه منذ وجوده أيضا، وبما أن الله أو اللاهوت لا حد له في ذاته، وفي الوقت نفسه ليس له شريك أو نظير، حتى يستطيع إظهاره أو إعلانه منذ الأزل، إذن لا يمكن أن يُظهره أو يُعلنه سواه. وبما أن " الإبن" هو الذي يقوم بهذه المهمة منذ الأزل الذي لا بدء له، لأنه بهاء مجد الله ورسم جوهره، إذن فهو الله، أو اللاهوت معلنا.

فالمسيحية، على العكس مما يظن بعض الناس، لا تعلن أن اللاهوت أو الله كان بدون " ابن " أزلا، ثم اتخذ له " ابنا" في وقت من الأوقات، بل تعلن أنه متميز بهذا " الابن" أزلا، وهذا هو عين الصواب، لأنه لا يتفق مع كمال الله، ألا يكون متجليا لذاته أزلا، ثم يتجلى لها بعد ذلك تجليا عاما أو كليا. كما يقول بعض الفلاسفة، لأن تصرفا مثل هذا ـ لو حدث ـ لكان دليلا على طروء التغير على الله، والحال أنه لا يتغير على الإطلاق.

الإصطلاح " ابن الشيء" في اللغة العبرية كثيرا ما يرد بمعنى " ذات الشيء". فمثلا قول الله " بنت شعبي" أو " ابنة شعبي" (إرميا 11:8) لا يُراد به إلا ذات شعبه، وقوله " ابنة متبددي" (صفنيا 10:3) يُراد به ذات الناس المتبددين من شعبه، ولذلك ترجم هذا القول الى العربية " متبددي" فقط، بينما تُرجم الى الإنجليزية، كما هو بحرفيته " The Daughter of My Dispersed". كما أن هذا الإصطلاح عينه قد يدل أيضا في اللغة العربية على " ذات الشيء مُدركا وواضحا"، فالاصطلاح "بنات الفكر" يُراد به الفكر معلنا وواضحا، و" ابن الإنسانية" يُراد به الإنسانية متجسمة وظاهرة.

وكما أن " روح الله" ليس عنصرا في الله، بل هو ذات الله، لأن الله لا تركيب فيه، كذلك فان " ابن الله" ليس كائنا مولودا من الله، بل هو ذات الله، لأن الله لا يولد ولا يلد. وكل ما في الأمر أن " روح الله" دُعي بهذا الإسم، لأنه هو الذي يعلن اللاهوت مع مقاصده بوسيلة روحية. و" ابن الله" دُعي بهذا الاسم، لأنه هو الذي يعلن اللاهوت مع مقاصده بوسيلة ظاهرية.

والحق، أن الأمر لم يكن يتطلب منا مجهودا لإيضاح معنى الإصطلاح " ابن الله" أو إثبات أن المسمى به هو عين الله، لو أن الإصطلاحات الدينية كانت شائعة بيننا الآن كما كانت وقت وجود المسيح على الأرض، لأن الناس كانوا

يفهمون بكل سهولة معنى " ابن الله" أو " الله متجليا". والدليل على ذلك أن المسيح الذي هو أقنوم الابن، عندما قال لليهود:" أبي يعمل حتى الآن، وأنا أعمل" فهموا من قوله هذا أنه جعل نفسه معادل لله (يوحنا17:5، 18)، فاضطهدوه أشر اضطهاد إذ اعتبروه مجدفا ودعيا. ولكنه في الواقع لم يكن مجدفا ولا دعيا، لأنه لم يكن يجدف أو يدعي، بل كان دائما أبدا يقول الحق، والحق وحده، كما يشهد أصدقاؤه وأعدائه على السواء.

وعندما يقول الإنجيل إن المسيح معادل لله، كان الغرض من ذلك، أنه في أقنوميته هو " الله" أو " المعلن لله"، فإن " الله" لا معادل له إطلاقا، لأنه لا شريك له أو نظير.

3 - الإصطلاح " ابن الله" في التوراة:

يظن البعض أن المسيحية هي أول من قال بوجود أقنوم " الإبن" لكن الحقيقة غير ذلك، لأنه بالرجوع الى التوراة، نرى إشارات واضحة عن هذا الأقنوم. فقد قال الله على فم داود النبي سنة 1000ق.م. عن شخص يجب أن تخضع له كل ملوك الأرض " أنت ابني " (مزمور 7:2)، كما خاطب أجور، أحد رجال الله الأتقياء، صديقا له سنة 950ق.م. قائلا له بالوحي:" من ثبت جميع أطراف الأرض ... ما اسمه وما اسم ابنه، إن عرفت؟" (أمثال 2:30- 5).

ولذلك كان علماء التوراة يعرفون تمام المعرفة أن لله ابنا، وهذا الإبن هو المعلِن له، أو هو ذاته مُعلنا وظاهرا، كما ذكرنا في البند الثاني.

4 - ظهور الله لنا في " الإبن":

بما أن هذا الأقنوم هو الذي يُظهر الله أو اللاهوت، كان أمرا بديهيا أنه إذا أراد الله أن يعلن ذاته يتمم ذلك بواسطة أقنوم " الإبن" لأن اعتزال الله عن خليقته، وعدم إعطائه إياها فرصة لتعرفه معرفة حقيقية واضحة، لا يتفق مع الكمال الذي يتصف به. فالله الذي لا يُرى ولا يُعرف، يصبح من الميسور لنا رؤيته ومعرفته في هذا الأقنوم. وهذا هو ما حدث فعلا، فقد ظهر هذا الأقنوم في شخص المسيح، إذ قيل بالوحي:" الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب، هو خبر" (يوحنا 18:1).

وكلمة " حضن" لا يُقصد بها المعنى الحرفي بل الروحي، لأن الله ليس له حضن بالمعنى المادي. والمعنى الروحي للحضن هو التوالف والحب والإتحاد، وما يتبع ذلك من الإحاطة بكل الأسرار والمقاصد الباطنية. والآية لا تقول: إن الإبن كان في حضن الآب، أو سيكون في حضنه، بل تقول:" الذي في حضن الآب" ومعنى ذلك أن حضن الآب هو مركز " الإبن" الدائم. فهو مركزه قبل ظهوره على الأرض، وأثناء وجوده عليها، وبعد انتقاله منها ـ وهذا دليل واضح على أن وحدة الأقانيم هي وحدة متصلة غير منفصلة.

كما أن كلمة " خبر" هنا، ترد في اللغة اليونانية بمعنى " كشف" أي " كشف ما أغلق على البشر فهمه من جهة اللاهوت".

وقيل أيضا عن المسيح إنه الله الظاهر في الجسد (1تيموثاوس 16:3)، وإن فيه يحل كل ملء اللآهوت جسديا (كولوسي 9:2). وتعبير " ملء اللاهوت" اصطلاح ديني يُراد به التعبير باللغة التي نفهمها، عن اللاهوت في كامله، إن جاز أن تستعمل عبارة " في كامله" مع اللاهوت. والقول إنه يحل فيه جسديا هو كما كان يحل فيه روحيا " الإبن" الأزلي، إن جاز أن نستعمل الفعل " يحل" في هذه المناسبة.

ثانيا: " الكلمة":

يُدعى أقنوم " الإبن" أيضا " الكلمة" فقد قال الوحي عن المسيح إن اسمه " كلمة الله" (رؤيا 13:19)، وقال أيضا عنه " في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان" (يوحنا 1:1، 2).

والقول " في البدء كان الكلمة" يختلف في المقصود منه عن كلمة " البدء" الواردة في الآية " في البدء خلق الله السموات والأرض" (تكوين 1:1)، فإنها في التكوين يُقصد بها بدء خليقة الله، بينما في يوحنا 1:1 يُقصد بها تاريخ سابق لبدء خليقته، أو بتعبير آخر سابق لكل شيء يمكن أن يُتخذ قياسا للزمن في نظر الناس وغير الناس، لأن هذا هو ما **يُستنتج** من قول الوحي بعد ذلك " **كل شيء** به (أي الكلمة) كان، **وبغيره لم يكن شيء** مما كان". ولذلك يُقصد بـ " البدء" هنا الأزلية بعينها. ومما يؤكد لنا صحة ذلك (أ) يشهد كل جزء من الكتاب المقدس أن " الإبن" أو " الكلمة"

أزلي، (ب) أن الكلمة المترجمة " البدء" هي في الأصل اليوناني " أرخي"، ويُراد بها عادة " قبل أول كل شيء" ولذلك تُرجمت في بعض نسخ الكتاب المقدس الإنجليزية (originally) أي " في الأصل" و (in the very beginning) أي " في ذات البدء" أو " في البدء الذي لا بدء قبله". وطبعا لا مجال للإعتراض على أن معنى " البدء" الوارد في (تكوين 1:1)، يختلف عن معنى " البدء" الوارد في (يوحنا 1:1)، لأن الكلمة الواحدة تُستعمل أحيانا لأكثر من معنى واحد، ويُفهم كل معنى بالقرينة الملازمة لهذه الكلمة.

مما تجدر ملاحظته في هذه الآيات (أ) أنه لا يقال فيها: في البدء **خُلق** " الكلمة" أو في البدء **وُجد** " الكلمة"، بل يقال " في البدء **كان** الكلمة"، أي أن البدء (أو الأزل) لم يكن، حتى كان " الكلمة" موجودا، ولذلك فإن البدء هنا ليس هو بدء وجود الكلمة أو ظهوره. وإذا كان الأمر كذلك، فإن " الكلمة" لا يكون منذ الأزل فحسب، بل يكون أزليا، أو بالحري يكون هو الأزلي، لأنه ليس هناك أزلي إلا واحد لا سواه. (ب) أن العبارة " والكلمة كان عند الله" تدل على أن " الكلمة" كان ملازما لله أو اللاهوت. وبما أن الله أو اللاهوت لا بدء له، فمن البديهي أن يكون " الكلمة" الملازم له لا بدء له أيضا. (ج) يختلف الفعل " كان" في الأربع فقرات الأولى، في اللغة اليونانية القديمة عن الفعل " كان" الوارد في الفقرتين الأخيرتين. فالأول هو " إين"، ويراد به الكينونة الدائمة أو الوجود الدائم أي " كان ولا يزال"، أما الثاني فهو " اجنتو"، ويُراد به الكينونة التي تمت في الزمان أو الحدوث والصيرورة فيه (.Liddel and Scott Dict) الأمر الذي يدل على أن " الإبن" لم يوجد كمخلوق، بل كان موجودا منذ البدء أو الأزل، ولا يزال موجودا الى الآن، كما سيكون موجودا الى الأبد.

" والكلمة كان عند الله" هنا لا يُقصد بها المكانية أو الملكية، بل يُقصد بها الصلة الأزلية التي بين الله (أو اللاهوت) وبين كلمته. وإذا رجعنا الى اللغة اليونانية القديمة، وجدنا أنه يعبر عن " عند" هذه (بكلمتين) هما " بروس، تون"، ومعناهما كما يقول أساتذة هذه اللغة، يدل على الإرتباط والتوافق. ولذلك إذا رجعنا الى النسخة الإنجليزية مثلا، وجدنا أنه يعبر عنها بكلمة "with " أي "مع" وهي تدل أيضا على الإرتباط والتوافق. وفي اللغة العربية تدل " المعية" معنويا على هذا المعنى بعينه، فنحن نقول مثلا " الشعب مع الحكومة" بمعنى أنه متوافق معها في أفكارها ومقاصدها.

ومن هذه الآية يتضح لنا أن " الكلمة" هناليس كائنا غير الله ,بل هو الله, أو بالحرى هو أقنوم من أقانيمه.

ولكى نعرف شيئا عن "الكلمة" , علينا أن نتأمل في النقط الآتية:

1 - معنى الإصطلاح " الكلمة" أو " كلمة الله":

" الكلمة" بمعنى اللفظ أو العبارة أو المقالة وفي هذه الحالة تكون مؤنثة، وتكون الأفعال والصفات والضمائر الخاصة بها مؤنثة أيضا. لكن المراد بـ" الكلمة" هنا، ليس معنى من هذه المعاني، بل المراد، كما يتبين من نص الآية، هو الله ذاته، أو بالحري أقنوم من أقانيمه. ولذلك لا يأتي الفعل المستعمل مع " الكلمة" مؤنثا بل مذكرا. كما أننا إذا رجعنا الى اللغة اليونانية، التي هي اللغة الأصلية للعهد الجديد، وجدنا أن اللفظ، المترجم الى العربية بـ" الكلمة" للدلالة على هذا الأقنوم، هو " لوغوس". و" لوغوس" اصطلاح يوناني يُراد به " المعلن لله" أو " العقل المنفذ لمشيئة الله والقائم بتدبير العالم". أما اللفظ المترجم بـ" الكلمة" للدلالة على " القول" العادي، فهو " لكسيز"، ولذلك ليس هناك مجال للظن بأن كلمة " الكلمة" هنا، يُراد بها معنى من معاني الكلمة العادية.

2 - الفرق بين " الكلمة" و " أثر الكلمة":

يقول البعض إن كل شيء خُلق بكلمة الله، يُدعى كلمة الله، ولذلك يظنون أن المسيح دُعي " كلمة الله" لأنه حسب رأيهم خُلق بكلمة الله. لكن هذا الظن لا نصيب له من الصواب لسببين:

(أ) إن لفظ " الكلمة"، اسم من الأسماء التي ينفرد بها المسيح، فموسى لم يُدع " كلمة الله"، بل دُعي " كليم الله"، وداود لم يُدع " كلمة الله"، بل دُعي " نبي الله"، وإبراهيم لم يُدع " كلمة الله"، بل دُعي " خليل الله". وإذا تأملنا سير جميع الرسل والأنبياء، لا نرى واحدا منهم سُمي " الكلمة" أو " كلمة الله"، حتى أن آدم الذي خُلق بكلمة الله رأسا، لم يُدع بهذا الاسم أو يلقب به.

ونلاحظ أن " الكلمة" ليس لقبا من ألقاب المسيح، بل إنه نفسه هو " الكلمة"، ولذلك لو فرضنا جدلا أن شخصا غيره لُقب بـ" الكلمة"، يظل المسيح وحده هو الكلمة الذي لا شبيه له، لأنه هو الذي يعلن الله منذ الأزل الذي لا بدء له.

(ب) هناك فرق كبير بين " كلمة الله" و " أثر كلمة الله"، فالمخلوقات ليست " كلمة الله"، بل هي " أثر كلمة الله"، لأنها خُلقت بكلمة الله، ولذلك ليس هناك شخص عاقل، يقول إن كلا من الإنسان والحيوان والنبات والجماد، هو " كلمة الله". كما أن الكتاب المقدس يفرق بين " كلمة الله" و"أثر كلمة الله"، فلا يقول إن الخليقة هي كلمة الله، بل يقول إنها خُلقت بـ" كلمة الله" (مزمور 6:33)، أو بتعبير آخر إنها أثر من آثار " كلمة الله".

3 - اللوجوس:

إن من يدعوه فلاسفة الفرس والمصريين بـ" الكلمة" ويدعوه فلاسفة اليونان بـ" اللوغوس" أو " العقل الإلهي"، ويدعوه فلاسفة اليهود بـ" اللوغوس" أو " البرزخ الكائن بين الله والعالم"، ويدعوه فلاسفة المسيحيين بـ" الكلمة" أو " العقل الإلهي"، ويدعوه فلاسفة المسلمين بـ" كلمة التكوين" أو " القطب" أو " الكلمة" أو" الهو" أو" المطاع"، هو ما يدعوه الكتاب المقدس " الإبن" أو" الكلمة". وقد اختلف الفلاسفة في تحديد شخصية هذا الكائن اختلافا عظيما، أما الكتاب المقدس فقد أعلن بوضوح أنه أقنوم الكلمة الذي تجسد في " المسيح"، فقد قال الرسول يوحنا بالوحي:" والكلمة صار جسدا وحل بيننا. ورأينا مجده، مجدا كما لوحيد من الآب، مملوءا نعمة وحقا، ومن ملئه نحن جميعا أخذنا، ونعمة فوق نعمة" (يوحنا 14:1، 16).

لم تقتبس التوراة الحقائق الخاصة بـ" الكلمة" من الفلاسفة، لأنها كانت قد أشارت إليه والى صفاته وخصائصه وأعماله قبل ظهورهم في العالم، كما أن الإنجيل الذي أتى بعدهم، لا يقصد (كما لم تقصد التوراة من قبل) بـ" الكلمة"، ذات اللوجوس أو العقل الإلهي الذي كانوا ينادون به، بل استخدم فقط من لغتهم واصطلاحاتهم ما اتفق أن كان صحيحا حسب الحق الإلهي، وذلك لإظهار الحقيقة التي كانوا يجهلونها أو يُلتبس عليهم فهمها. وكأنه يقول لهم: إن اللوجوس الحقيقي الذي يعلن الله غير المُعلن، والذي به خلق الله العالم، والذي عن طريقه نستطيع الإتصال به، ليس مجرد عقل، أو كائنا وسطا بين الله والناس، أو تجليا انتقل إليه الله في دور من الأدوار ليتصل بنا ويصلنا به، إنما هو أقنوم الكلمة الأزلي، أحد أقانيم اللاهوت، لأنه لا يستطيع القيام بهذه الأعمال سواه، ولأن الله لا شريك له أو نظير، ولأنه لا يتغير أو يتطور على الإطلاق.

وهذه هي الطريقة التي اتبعها بولس الرسول مع أهل أثينا، فعندما رأى أحد مذابحهم مكتوبا عليه " لإله مجهول"، قال لهم:" إن الذي تتقونه وأنتم تجهلونه، هذا أنا أنادي لكم به، الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه"، (أعمال23:17، 24). وطبعا لجأ الرسول الى هذه الطريقة ليجتذبهم من الأوثان الى الله الحي، مستخدما اعترافهم بالجهل وسيلة لإرشادهم الى الحق.

أما الأسباب التي بنى عليها المسيحيون اعتقادهم بأن المسيح هو " ابن الله"، أو " الكلمة"، أو " الله متجليا"، فهي:

1 - إن أنبياء العهد القديم ورسل العهد الجديد شهدوا بالوحي عن هذه الحقيقة بآيات واضحة كل الوضوح، في التوراة والإنجيل معا. أي ليس عند مجيء المسيح الى الأرض فقط، بل وقبل مجيئه إليها بآلاف السنين أيضا، كما اتضح فيما سلف، وتدل كل القرائن على أن شهادتهم صادقة كل الصدق.

2 - إن المسيح وُلد من عذراء، وصعد بجسده حيا الى السماء، الأمر الذي يدل على أن أصله سماوي لا أرضي (لوقا: 34:1، لوقا51:24).

3 - كان المسيح معصوما من الخطيئة، كما كان كاملا كل الكمال في سلوكه، والعصمة والكمال لله وحده. فضلا عن ذلك، فإنه عاش كل حياته على الأرض، دون أن يسعى لاقتناء شيء من متاعها، أو الحصول على شيء من ملذاتها، الأمر الذي يدل على عدم خضوعه لناموس الطبيعة البشرية، الذي يخضع له الناس قاطبة.

4 - كان المسيح يقوم بالأعمال التي لا يستطيع القيام بها إلا الله وحده. فمثلا كان يقول للأبرص:" أريد فأطهر"، فيطهر (متى 3:8)، ويقول للأعمى أبصر، فيبصر (لوقا 42:18)، ويضع يده على المريض، فيبرأ (متى 15:8)، ويقول للميت:" قم"، فيقوم (يوحنا 34:11، 44)، وينتهر الأمواج والرياح فتهدأ وتسكن (لوقا 24:8)، ويمشي على الماء دون أن يغرق (متى 28:14)، ويدخل البيوت والأبواب مغلقة (يوحنا 19:20)، ويطعم آلاف الناس من أرغفة قليلة (متى 20:14)، وينبئ سامعيه بكل ما سيحدث في المستقبل القريب والبعيد على السواء (متى 15:24- 41).

5 - أخيرا فإن المسيح نفسه قد شهد بكل صراحة أنه هو " ابن الله" و " المعلِن لله" (يوحنا 35:9، 9:14، 18:1)، وأنه الكائن (يوحنا 58:8)، والبداية والنهاية (رؤيا 8:1) والموجود في كل مكان (متى 20:28)، والطريق والحق

والحياة (يوحنا 6:14)، والديان للأحياء والأموات (يوحنا 25:5)، كما كان يغفر للناس ذنوبهم (مرقس 5:2)، ويقبل منهم العبادة والسجود (متى 33:14)، والإعتراف بأنه الرب والإله (يوحنا 29:20)، وبذلك قد وضع نفسه موضع الله ذاته. وكانت النتيجة المباشرة لتصرفه هذا أن عرض نفسه ليس الإضطهاد فحسب، بل وللصلب أيضا. وبما أنه لا يضع ذاته في هذا الموضع من دون الله، إلا كل دعي راغب في العظمة الدنيوية، ولا يعرض نفسه للإضطهاد والموت، بسبب شهادة يعلم قبل غيره أنه ليس لها نصيب من الصواب، إلا كل مستهتر فاقد للوعي والإدراك. وبما أن المسيح كان على العكس، متواضعا كل التواضع، وحكيما كل الحكمة، ومحتقرا للعظمة الدنيوية كل الإحتقار، كما كان طول حياته على الأرض في منتهى اليقظة والإنتباه، والتدقيق التام في كل أقواله وأعماله، لذلك لا شك في أنه كان صادقا في شهادته عن نفسه كل الصدق.

ظهور أقنوم الإبن في المسيح

بما أن أقنوم الإبن هو الذي يعلن الله أو اللاهوت بطريقة منظورة كما ذكرنا فيما سلف، لذلك كان أمرا بديهيا أنه إذا أراد الله أن يظهر ذاته لنا (وعمل مثل هذا يتوافق مع كماله كل التوافق، لأن من دواعي هذا الكمال أن لا يكون في عزلة عنا، بل أنه يظهر ذاته لنا لكي ندركه ونتوالف معه)، أن يتم هذا الظهور بواسطة أقنوم الإبن. ومن ثم فالله الذي لا يمكن رؤيته أو إدراكه في ذاته، يصبح من الميسور لنا أن نراه وندركه في أقنوم الإبن. وهذا ما حدث فعلا، فقد اتحد الأقنوم المذكور بالمسيح اتحادا تاما، ولذلك استطعنا به أن ندرك قداسة الله وقدرته ومحبته ومعرفته التى لا حد لها.

أما قبل ظهوره في المسيح، فكان تارة يظهر في هيئة ملاك وتارة أخرى في هيئة انسان، ولكن تدل كل القرائن على أنه لم يكن في ذاته هذا أو ذاك، بل كان هو الرب نفسه الذي يستحق كل اكرام وسجود. (تكوين 17:21 - 20 وقضاة 11:6-24). وفيما يلي بعض الأدلة التي تثبت هذه الحقيقة.

(أ) الأدلة الكتابية على شخصية المسيح:

1 - شهادته عن ربوبيته وبنوته لله ووحدته الجوهرية مع الآب وإعلانه له: فقد قال المسيح إنه الرب (متى 3:21)، وإنه رب داود (متى42:22-45)، ورب الرسل (متى 42:24). كما قال إنه ابن الله (يوحنا 35:9- 38، 36:10)، وإن الله أبوه بمعنى أنه معادل له، أو بالحري واحد معه (يوحنا18:5)، وإنه والآب واحد (يوحنا30:10، 22:17)، وإنه في الآب والآب فيه. وإن كل من رآه فقد رأى الآب (يوحنا9:14، 10)، وإنه يجب على جميع الناس أن يكرموه كما يكرمون الآب (يوحنا 23:5).

2 - شهادته عن أزليته وأبديته: فقد قال إن له مجدا خاصا قبل إنشاء العالم (يوحنا 5:17)، وإنه قبلما ولد إبراهيم على الأرض، هو كائن أو بالحري كائن بذاته (يوحنا 58:8)، وإنه الألف والياء. والبداية والنهاية. والأول والآخر (رؤيا 8:1 و17).

3 - شهادته عن عدم تحيزه بزمان أو مكان: فقد أعلن إبان وجوده على الأرض، أنه كان وقتئذ في السماء أيضا (يوحنا 13:3)، وأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمه على الأرض، يكون في وسطهم (متى 20:18)، وأنه يظل مع تلاميذه، أو بالحري المؤمنين الحقيقيين به، الى انقضاء الدهر (متى 20:28).

4 - شهادته عن كونه الحياة والمُحيي: فقد شهد أنه الحياة (يوحنا25:20)، وأنه يحيي من يشاء (يوحنا 21:5)، وأنه أتى لكي تكون لنا حياة وحياة أفضل (يوحنا 10:10)، وأن من يؤمن به إيمانا حقيقيا له الحياة الأبدية (يوحنا 16:3).

5 - شهادته عن سلطانه في غفران الخطايا وإدخال التائبين الى الفردوس: قال للمفلوج " مغفورة لك خطاياك" (لوقا 20:5)، وقال عن المرأة الخاطئة " قد غفرت لها خطاياها الكثيرة" (لوقا 47:7)، وقال للص الذي إلتجأ إليه نادما عما فعله من شر " اليوم تكون معي في الفردوس" (لوقا 43:23).

6 ـ شهادته عن سلطانه في قبول السجود: فقد سجد له المجوس وهو بعد طفل صغير (متى 1:2ـ 11)، وسجد له الأبرص (متى2:8)، والأعمى (يوحنا 38:9)، ورئيس المجمع (مرقس 22:5)، والكنعانية (متى 25:15)، وبطرس الرسول (لوقا 8:5)، وكل الذين كانوا في السفينة (متى 23:14)، وأخيرا سجد له الرسل جميعا (متى 17:28).

7 ـ شهادته عن محاسبته للناس وقضائه على الشيطان: فقد قال إنه متى جاء في مجده يجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم عن البعض الآخر، ويقيم الأبرار عن يمينه والأشرار عن يساره، ويقول للفريق الأول " تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم". ويقول للفريق الثاني " اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الأبدية" (متى 31:25ـ 46). كما أعلن أن الشيطان سقط أمامه كما يسقط البرق من السماء (لوقا 18:10).

(ب) الأدلة العقلانية على شخصية المسيح

1 ـ لو كان المسيح يسعى وراء العظمة الدنيوية، أو لو كان ذا بطش وقوة، أو لو كانت شهادته قد وجدت قبولا لدى الكثيرين من الناس، لكان هناك مجال للطعن في شهادته السابق ذكرها، بدعوى أنه كان متكبرا، أو أن الناس هم الذين شجعوه على الإدعاء بالالوهية. لكن المسيح على النقيض من كل ذلك. كان وديعا كل الوداعة وحكيما كل الحكمة وصادقا كل الصدق (متى 29:11)، فضلا عن ذلك، كان معاصروه يقاومونه بسبب شهادته المذكورة (يوحنا 32:10، 33)، فإذا أضفنا الى ذلك أنه كان يصر على الشهادة عن نفسه أنه ابن الله على الرغم من إهانة الناس له (يوحنا 17:5ـ23، 30:10ـ 38)، وأنه لو كان قد تنحى عن هذه الشهادة لما أصابوه بسوء ما، اتضح لنا أنه لا بد أنه ابن الله كما قال.

2 ـ إن اليهود كانوا قد التفوا حول المسيح في أول الأمر ليجعلوه ملكا عليه لأنهم وجدوا فيه المسيا الذي كانوا يحلمون به (يو 15:6). ولو كان المسيح أراد أن يؤله نفسه لكان قد أجابهم الى رغبتهم، لأن الملوك كانوا وقتئذ يعاملون معاملة الآلهة (أعمال 22:12). لكن المسيح رفض رغبتهم هذه، وفي الوقت نفسه ظل يشهد أنه ابن الله وهو في حالة الوداعة والفقر التي اختارها لنفسه، الأمر الذي يدل على أنه لم يكن مدعيا بل صادقا كل الصدق في شهادته عن نفسه.

3 ـ كما أن المسيح لم يفرض على الناس الإعتقاد بأنه ابن الله، حتى كان يجوز الشك في صدق شهادته عن نفسه، بل تركهم يستنتجون هذه الحقيقة من تلقاء أنفسهم (يوحنا 66:6ـ 71، متى 13:16ـ 18)، ولذلك لم يطلب منهم أن يؤمنوا بشهادته المذكورة إيمانا أعمى، بل كان يثبت لهم بالدليل العملي صدقها. فمثلا عندما أعلن لهم أن له سلطانا على غفران الخطايا، الذي يتفرد به الله، أظهر أحقيته في ممارسة هذا السلطان إذ شفى بكلمة واحدة مفلوجا لم يكن يستطيع حراكا على الإطلاق. ولذلك كان يقول للناس: " الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي" (يوحنا 25:10)، و " صدقوني أني في الآب والآب فيَّ. وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها" (يوحنا 11:14)، وشخص حياته وأعماله تحت الإختبار لكي يفحصها الناس بأنفسهم ويحكموا بواسطتها على حقيقة أمره، هو شخص صادق كل الصدق في شهادته عن نفسه.

4 ـ ولادته من عذراء: إن ولادة المسيح من عذراء لم تعرف رجلا على الإطلاق، دليل على أن له وجودا ذاتيا قبل ولادته منها ودليل أيضا على أن له حياة ذاتية تجعله في غنى عن بذرة حياة من رجل ما ـ وكائن له وجود ذاتي وله حياة ذاتية، هو الله، أو أقنوم من أقانيمه.

أما القول:[إن الله خلق آدم دون أب أو أم، وأخذ حواء من أب دون أم، لكي يبين قدرته سمح بأن يولد المسيح من أم دون أب، ومن ثم لا يكون إلا واحدا من البشر]، فلا يجوز الأخذ به. لأن الله خلق آدم دون أب أو أم، لأنه لم يكن قبله رجل وامرأة يولد منهما. وأخذ حواء من آدم فقط لكي يكونا واحدا فلا ينفصل أحدهما عن الآخر (متى 5:19)، وفي الوقت نفسه لأنه لم يكن قبل حواء امرأة لتولد منها. لكن بعد وجود الذكور والإناث على الأرض، لم يبق هناك داع لأن يأتي إنسان من أم بدون أب، أو من أب دون أم، أو من دونهما معا، لأن الله أوجد الجنسين في بدء الخليقة لكي يتناسل منهما البشر جميعا. ولذلك لو كان المسيح مجرد إنسان، لما ولد إلا من أب وأم مثل باقي الناس ـ حقا إن الله أظهر قدرته في ولادة المسيح من عذراء، ولكن يجب أن لا يفوتنا أن إظهار قدرته في ولادة المسيح من عذراء، دليل على أنه ليس له مثيل أو نظير بين البشر على الإطلاق.

5 ـ عصمته: مع أن المسيح عاش في جسد من لحم ودم، وسكن في ذات العالم الذي نعيش فيه، وكانت كل مغريات هذا العالم تحيط به مثلنا سواء بسواء، لكنه لم يتجه الى واحدة منها (على النقيض من كل الرسل والأنبياء، فقد عثروا جميعا وتلوثت حياتهم بخطايا متنوعة). ولذلك لما اجتمع اليهود حول المسيح محاولين اختلاق علتهم التي تبرر في نظرهم القبض عليه، وقف بينهم عالي الرأس وقال لهم:" من منكم يبكتني على خطيئة؟" فلم يقدر أحد أن يذكر له خطية واحدة في أي دور من أدوار حياته. أما عن شهادة الأصدقاء عنه فكثيرة. ولذلك نكتفي بالقول: إن بولس الرسول الذي كان ألد أعداء المسيح فيما سلف، قال عنه عندما عرفه، إنه قدوس بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات في الطهر والقداسة (عبرانيين 26:7).

6 ـ عمل المعجزات بسلطانه الذاتي: كان أنبياء الله يعملون المعجزات ليس بناء على إرادتهم الشخصية بل بناء على إرادة الله، أما المسيح فكان يعملها بإرادته الذاتية، ولذلك كانت بالنسبة له أمرا عاديا. فكان يقول للأبرص " أريد فاطهر" فيطهر في الحال (متى 3:8). ويقول للمفلوج " قم واحمل سريرك وامش"، فتزول علته كما تدب فيه العافية ويحمل سريرة ويمشي (مرقس 9:2). ويقول للميت " قم"، فيقوم على الفور وليس به عرض من أعراض الموت أو الضعف (لوقا 14:7). فضلا عن ذلك كان يمشي على الماء لينقذ أشخاصا كانوا مشرفين على الغرق، ويدخل البيوت والأبواب مغلقة لكي يهدئ روع أشخاص تملكهم الخوف والفزع (متى25:14، يوحنا 26:20)، وكان ينتهر العواصف فتهدأ في الحال ويعود السلام الى قلوب الذين فيها (مرقس 39:4). فضلا عن ذلك فقد استطاع أن يمنح تلاميذه سلطانا على عمل المعجزات، فكانوا يعملونها **باسمه** (متى 1:10)، الأمرالذي لم يفعل مثله نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل.

7 ـ علمه بالغيب: فقد كان يعرف أسماء الناس دون أن يكون قد التقى بهم من قبل، كما كان يعرف الأعمال التي كانوا يقومون بها في الخفاء (يوحنا 61:6). والأسرار التي كانت تكمن في أعماق نفوسهم (يوحنا 18:4)، فضلا عن ذلك كان يعرف ما جاء في الكتب دون أن يدرسها (يوحنا 15:7)، وما يحدث في الأماكن التي تبعد عنه كثيرا (مرقس 13:14)، وما يوجد في أعماق البحار وما ابتلعه السمك من أشياء (متى 27:17)، كما كان يعرف ما يخبئه المستقبل من مختلف الأحداث. فعرف أن أورشليم سيحل بها الخراب والدمار (لوقا 6:21)، وأن لعازر سيموت وأنه سيقيمه من الأموات (يوحنا 11:11، 14)، وأن يهوذا سيسلمه لليهود (متى 23:26)، وأن بطرس سينكره ثلاث مرات (متى 34:26)، وأنه هو نفسه (أي المسيح) سيُصلب ويقوم من بين الأموات في اليوم الثالث (متى 21:16). اضف الى ذلك أن علمه بهذه الأمور لم يكن مرتبطا بزمان ما، بل كان لديه علم المستقبل (يوحنا 64:6)، الأمر الذي ينفرد به الله دون سواه.

8 ـ قيامته من بين الأموات: بالرجوع الى الكتاب المقدس نرى أن الناس الذين قاموا من بين الأموات بقوة معجزية، ماتوا بعد ما عاشوا على الأرض فترة من الزمن. أما المسيح ففضلا عن أنه لم يمُت بعد قيامته، بل بعد ما عاش على الأرض مدة من الزمن يثبت فيها إيمان تلاميذه، ارتفع الى السماء (لوقا 24)، فإنه له المجد قام من بين الأموات بقوته الذاتية وبإرادته الشخصية. فقد قال لليهود قبل صلبه عن جسده:" انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه" (يوحنا 19:2) وقال لهم أيضا عن نفسه:" أنا هو القيامة والحياة" (يوحنا 25:11)، وشخص تكون نفسه ملكا له، يسلمها إذا أراد ويستردها إذا أراد، ويكون أيضا هو القيامة والحياة لا يكون مخلوقا.

أخيرا نقول: (أولا) لو كان الله قد ظهر لنا في مجده الخاص لكي يعلن لنا ذاته ويقربنا إليه، لما استطاع واحد منا أن يقف في حضرته، بل لسقط ميتا في الحال أمامه فقد قال الله لموسى:" الإنسان لا يراني ويعيش" (خروج 20:33)، وبما أن الله لا يريد أن يرعبنا، بل يريد أن ندنو منه حبا فيه وشوقا إليه، فمن ثم كان من البديهي أن يظهر لنا في ناسوت مثل ناسوتنا. وكل ما في الأمر يكون هذا الناسوت خاليا من خطية، لكي يكون متوافقا مع قداسته المطلقة.

(ثانيا) إن الله بظهوره في المسيح لم يتحيز بحيز، بل ظل كما هو المنزه عن الزمان والمكان. وقد أشار المسيح من جهة لاهوته الى هذه الحقيقة، فقال عندما كان بالجسد على الأرض إنه كان في نفس هذا الوقت، في السماء عينها (يوحنا 13:3).

(ثالثا) كما أنه بظهوره في المسيح ظل هو الله بكل خواصه. كما ظل ناسوت المسيح هو الناسوت بكل خواصه. لأنه لم يحدث بين اللاهوت وبين الناسوت اختلاط أو امتزاج يؤدي الى طروء تغيير في أيهما.

ومع كل فقد ظهر من خلال حياة المسيح الناسوتية مجد أدبي لا يقل في شيء عن ذاك الذي ينتظر ظهوره من الله نفسه، ومن ثم استطاع الأتقياء من البشر أن يؤمنوا أنه " ابن الله" أو " الله الظاهر في الجسد" كما يتضح من (يوحنا 49:1 و 11:2، 23 و 39:4- 42 و 31:7 و27:11 ومتى 16:16).

الآب

بما أن الكتاب المقدس ينص على أن الله روح لا أثر للمادة فيه، وأنه لا يلد، وأنه لا شريك له أو نظير، وأنه ليس قبله أو بعده إله، وأنه ثابت لا يزيد أو ينقص على الإطلاق، إذن فمن المؤكد أنه لا يُراد بأقنوم " الآب"، "أب" بالمعنى الحرفي الذي يتبادر الى ذهن الإنسان الجسدي بل " أب" بالمعنى الروحي الذي يتوافق مع روحانية الله وخصائصه السامية الأخرى. الوحي ينص على أن " الآب" واحد مع " الابن" في اللاهوت بكل صفاته وخصائصه. فقد قال الإبن:" أنا والآب واحد" (يوحنا 30:10)، كما أنه عندما سأله تلميذه فيلبس:" يا سيد أرنا الآب وكفانا"، قا له:" أنا معكم زمانا هذه مدته، ولم تعرفني يا فيلبس! الذي رآني فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت أرنا الآب! ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب فيَّ!. ثم قال لتلاميذه جميعا:" صدقوني أني في الآب والآب فيَّ، وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها" (يوحنا 8:14 - 11). ولو لم يكن المسيح واحدا مع الآب في اللاهوت، لأجاب فيلبس إن الآب لا يُرى، لأنه الله غير المنظور، والمسيح رسوله الذي أتى الى العالم ليخبر الناس عنه ... لكن رده بالصيغة المذكورة، لا يدع مجالا للشك في أنه واحد مع الآب في اللاهوت: كما ذكرنا.

فأسماء الأقانيم، كما قلنا فيما سلف، هي أسماء إلهية روحية خاصة بالله دون سواه، والغرض الوحيد منها، هو الإعلان عن أنه جامع لكل الصفات والخصائص اللازمة لكماله واستغنائه بذاته أزلا، ووجود علاقات متكاملة بينه وبين ذاته حينذاك، دون أن يكون هناك تركيب في ذاته أو يكون هناك شريك معه.

المحبة الأزلية بين " الآب" و" الإبن":

قال " أقنوم الإبن" مرة، عندما كان بالجسد على الأرض، في خطاب له مع " الآب": " لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم" (يوحنا 24:17). وبذلك كشف لنا عن سر من الأسرار التي كانت في اللاهوت، أو بالحري، بين أقانيم اللاهوت، قبل خلق أي شيء في الوجود، أو بتعبير آخر في الأزلية السحيقة التي لا يعرف الفلاسفة عن الله (أو غيره) شيئا فيها، فوصفوها بالغيب، ووصفوا الله فيها باللاتعين والعُزلة والتجرد من كل علاقة. لكن في هذه الأزلية السحيقة المجهولة لديهم، أعلن لنا " الإبن" أن المحبة كانت متبادلة بين " الآب" وبينه. ولا شك أنها كانت متبادلة، وعاملة وقتئذ بكل كمالها، كما تعمل في جميع الأوقات، لأن صفاته ثابتة كاملة، وغير قابلة للزيادة أو النقصان.

- تبادل المحبة بين الأقانيم الثلاثة:

ومما تجب ملاحظته في هذه المناسبة، أن الوحي لا يسند المحبة الى أقنوم أو أقنومين، بل الى الثلاثة أقانيم معا، أو بالحري الى الله أو اللاهوت في ذاته، فقد قال " الله محبة" (1 يوحنا 8:4)، ومعنى ذلك أن اللاهوت الذي هو جوهر كل أقنوم، وجوهر الأقانيم معا، هو محبة. ولذلك فإن " الآب" يحب " الإبن"، و" الإبن" يحب " الآب" (يوحنا 31:14)، والروح القدس هو روح المحبة (رومية 30:15، 2تيموثاوس7:1). وتبادل المحبة بين الأقانيم، دليل على التوافق التام بينهم، أو بتعبير آخر على التوافق التام بين الله وذاته، الأمر الذي يلائم كماله كل الملائمة.

لكن الوحي يدعو أحد الأقانيم بـ" الآب" لأن أقنوميته تُبطن كل معاني المحبة في الله، ويدعو أقنوما آخر بـ" الإبن" لأن أقنوميته تظهر كل معاني المحبة في اللاهوت، ولذلك فإن كلا من الأبوة والبنوة، هي نسبة إلهية أزلية روحية، ليس لها نظير في العالم على الإطلاق.

ويدعو الوحي أقنوما آخر بـ" الروح القدس" أو " روح المحبة" (رومية 30:15). ولذلك فهو الذي يسكب محبة الله في قلوبنا (رومية 5:5)، وحتى نستطيع إدراكها والإفادة منها، لأننا من تلقاء أنفسنا لا نستطيع الى ذلك سبيلا بسبب قصورنا الذاتي. والروح القدس هو مجرى محبة اللاهوت المقدسة وحاملها.

وبما أن المحبة متجلية في الآب للإبن، وفي الإبن للآب، وأن الروح القدس هو روح المحبة وحاملها، لذلك لا جدال في أن الله كامل كل الكمال، ومستغن بذاته كل الإستغناء، منذ الأزل الذي لا بدء له، لأن حياة المحبة هي في الواقع أسمى نوع من أنواع الحياة، ومن يحياها لا يشعر أنه في حاجة الى شيء على الإطلاق، لأن المحبة هي " رباط الكمال". ومن هذا يتضح أن خلق الله للعالم لم يكن نتيجة لشعوره بحاجة الى إظهار ذاته أو استثمار صفاته، كما قال بعض الفلاسفة وعلماء الدين، لكنه شاء منذ الأزل (والمشيئة إحدى الصفات العاملة فيه أزلا، لأن وحدانيته هي

وحدانية جامعه مانعة)، ألا تكون محبته أمرا ذاتيا لا ينعم بها سواه، بل أن يعبر عنها في صورة خارجية موضوعية، فينعم بها غيره أيضا، لأن هذا هو ما يتوافق مع خصائص المحبة الإيثارية التي يتصف بها، ولذلك قام بخلق الكائنات حسب مقاصده الأزلية من نحوها. وإذا كان من المحال أن يكون غرض الله من الخلق هو إظهار ذاته واستثمار صفاته، لأنه كامل كل الكمال في ذاته وصفاته، ومستغن كل الإستغناء عن كل شيء سواه، ألا تكون عقيدة التثليث، التي تبين أن الخلق كان نتيجة طبيعية للمحبة الكائنة بين الله وذاته أزلا، هي عقيدة صادقة تتفق مع كماله كل الإتفاق؟!

فأبوة الآب للإبن، لا يُراد بها إذن أن الآب أفضل من الإبن مقاما، أو أقدم منه زمانا، بل يراد بها التعبير باللغة التي نفهمها عن نسبة من نسب المحبة السامية الكائنة بينهما، فأقنوم " الآب" يبطن محبة اللاهوت التي لا حد لها، وأقنوم " الإبن" يعلن هذه المحبة ويظهرها بتمامها، لأنه واحد مع الآب في اللاهوت. ولذلك دُعي المسيح " ابن محبة الله" (كولوسي 13:1). وهذا الإسم فضلا عن دلالته على أن المسيح هو المعلن لمحبة الله، فإنه يدل أيضا على أن بنوته لله هي بنوة روحية محض، لا يُراد بها سوى إعلان الله واظهاره، كما ذكرنا فيما سبق.

- أبوة الآب للمؤمنين:

وقد شاء الله في نعمته ومحبته اللتين لا حد لهما، أن يدعو المؤمنين الحقيقيين به أبناءً وأولادا له فقال يوحنا الرسول لهم:" انظروا أية محبة أعطانا الآب، حتى نُدعى أولاد الله! من أجل هذا لا يعرفنا العالم، لأنه لا يعرفه" (1 يوحنا1:3).

وهذا يرينا أن الإيمان الحقيقي بالله، ليس هو مجرد الإعتراف بوجوده، أو معرفة صفاته وأعماله، أو محاولة الخضوع لوصاياه وأحكامه، بل هو الإدراك الروحي له الذي لا يتأتى إلا بمعرفة ذاته. وهذه بدورها لا تتأتى إلا عن طريق " الإبن" لأنه هو الذي يعلن ذات الله. ولذلك فالإتحاد الروحي بـ" الإبن" والخضوع التام له بواسطة عمل الروح القدس في القلب، هو السبيل لمعرفة الله، وبالتالي هو السبيل للإيمان به إيمانا حقيقيا. ولذلك قال الوحي عن " الإبن":" وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون بإسمه"(يوحنا 1: 12), وقال له المجد عن نفسه : "انا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتى الى الآب الا بى" (يوحنا 6:14).

ولولا ذلك، لكنا ننظر الى الله، كما لو كان فقط الكائن المتعالي عنا، المترفع عن الإتصال بنا، والذي لا عمل له سوى تسجيل خطايانا ليعاقبنا عليها يوم الدين، ولكنا لا نحيا تبعا لذلك إلا حياة القلق والخوف، دون أن يخطر ببالنا أنه من الممكن أن يكون لنا أو لغيرنا حق الإقتراب إليه والتمتع به، بالحرية التي يتمتع بها الأبناء بأبيهم الطيب الصالح. نعم كنا نخشى بإسمه وسلطانه، ونعمل كل ما نعتقد أنه كاف لإسترضائه، وجلب غفرانه ورضوانه، لكن كنا لا نعرف كيف نتمتع بحبه وحنانه، أو ننعم بالإتصال به والتوافق معه في صفاته وأفكاره، بل وكنا لا نضمن ونحن بشر خطاة، أن يكون لنا نصيب في سمائه الطاهرة.

وقال بولس الرسول للمؤمنين:" ثم بما أنكم أبناء، أرسل الله روح ابنه الى قلوبكم، صارخا: يا أبا الآب"(غلاطية 6:4). وليس معنى ذلك أنهم أصبحوا واحدا مع الإبن في أقنوميته، أو في نسبته الفريدة مع الآب. كلا، بل إنهم يُعتبرون فقط أولادا لله، بسبب إيمانهم القلبي بـ" الإبن" واتحادهم الروحي به. فهم أبناء بالتبني والنعمة، أما هو فإبن بجوهره وحقه الذاتي غير المكتسب، ولذلك فإنهم مع تمتعهم بهذا الإمتياز، لا يزالون كما كانوا من قبل إيمانهم واتحادهم به، خلق الله وعبيده، ولا يزال هو بالنسبة لهم، خالقهم وسيدهم.

وكلمة " آبا" أرامية، وهي اللغة التي كانت متداولة في فلسطين أثناء القرون الأولى للمسيحية. ونظرا لشيوع استعمال هذه الكلمة بين المسيحيين وقتئذ، نُقلت بحرفيتها الى اللغة اليونانية وغيرها من اللغات، وكُتب معناها بعدها، فمعنى هذه الآية إذن، هو فقط " صارخا أيها الآب". وبهذه المناسبة نقول، إن الأديان قد انقسمت من جهة الإعتقاد بمعاملة الله للناس الى أربعة أقسام: (1) قسم يعتقد أن الله يقسو في معاملته مع البشر، فهو الذي يجلب عليهم المتاعب والآلام. (2) وقسم يعتقد أنه لا يبالي بالبشر، فهو يتركهم وشأنهم في هذه الحياة. (3) وقسم يعتقد أنه شفوق رحوم، يعطف عليهم ويهتم بهم. (4) أما القسم الأخير وهو المسيحية، فينادي بأن الله لا يعطف على البشر فقط، بل ويحبهم أيضا، فهو بمثابة الآب الطيب الصالح لهم. وهناك فرق كبير بين العطف والمحبة، فقد يعطف غني نبيل على شرير معوز، فيمده ببعض المال أو الطعام، ولكنه لا يستطيع مع عطفه عليه أن يرحب به في بيته ويجد لذة في السكنى معه، فهذا الغني النبيل يعطف على الشرير المعوز، ولكنه لا يحبه أو يميل إليه. أما الله فبرغم خطايانا وحقارة شأننا بالنسبة إليه،

لا يعطف فقط علينا، بل ويحبنا أيضا بمحبة لا حد لها، فقد قال الوحي عنه:" هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا 16:3). وقال أيضا:" الذين أحبهم، أحبهم الى المنتهى" (يوحنا 1:13)، وأيضا إنه محبة أبدية أحبهم، ولذلك أدام لهم الرحمة (إرميا 3:31) - وهذا هو ما يُنتظر طبعا من إله كامل كل الكمال.

5 - اسم " الآب" في التوراة والفلسفة:

اسم الله كـ" الآب"، لم يرد في الإنجيل فقط، بل وفي التوراة أيضا، فقد خاطبه النبي مرة قائلا:" والآن يا رب أنت أبونا. نحن الطين وأنت جابلنا. وكلنا عمل يديك" (إشعياء 8:64). لكن بالتأمل في هذه الآية، والآيات المشابهة لها، يتضح لنا أن الله لم يكن معروفا وقتئذ كـ" الآب"، بالمعنى المعروف به في المسيحية، بل كان معروفا كالآب، بمعنى الخالق والمحسن فحسب، وهو من هذه الناحية آب لكل الناس على السواء. وإذا رجعنا الى الفلسفة، وجدنا أيضا أن اسم الله " كالآب"، قد استُعمل فيها بمعنى الخالق للعالم والمدبر له والمعتني به، كما كان يُقصد به في التوراة من قبل.

ولذلك إذا رجعنا الى تاريخ البشر الذين عاشوا في العهد القديم، لا نجد واحدا منهم كان يتمتع بالله كالآب، بما في هذه الكلمة من معاني الحب والحنان والنسبة الكريمة السامية، بل كانوا يقشعرون جميعا من حضرته، بسبب شعورهم بنقائصهم وخطاياهم المتعددة. أما المؤمنون الحقيقيون بالإبن، فلهم أن يتمتعوا بالله، كما يتمتع الأبناء البررة بأبيهم الطيب الصالح، لأنه بفضل إدراكهم الروحي لكفارة الأبن وقبولهم إياها، تزول كل مخاوفهم من جهة قصاص خطاياهم، وبفضل عمل الروح القدس في نفوسهم، يحصلون على حياة روحية تؤهلهم للتمتع بالله والتوافق معه في أفكاره وصفاته.

6 - أعمال الآب الخاصة بنا:

بما أن " الآب"، بوصفه " الآب"، هو الذي يُبطن محبة الله الأزلية، لذلك لا غرابة إذا علمنا أنه هو الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، وأنه هو الذي اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة (أفسس 3:1، 4)، وأنه هو الذي ولدنا ولادة روحية لرجاء حي (1بطرس 3:1)، وأنه هو الذي أهلنا لشركة ميراث القديسين في النور (كولوسي 12:1)، وغير ذلك من الأعمال الخاصة بعلاقة الله الآب بنا.

الروح القدس

1 - السبب في تسميته بـ" الروح":

لم يُدع هذا الأقنوم بهذا الإسم لأنه يشبه الروح أو الريح. كلا، إذ هو مثل الأقنومين الآخرين، لا شبيه له ولا نظير على الإطلاق. وليس لأنه يتميز عنهما بروحانية الجوهر. كلا، لأن للأقانيم جوهرا واحدا كما مر بنا، فقد أعلن الوحي بعبارة صريحة أن الله (بأقانيمه الثلاثة) هو روح (يوحنا 24:4). وليس لأنه حياة الآب والإبن. كلا، لأن الأقانيم الثلاثة واحد في اللاهوت بكل خصائصه وصفاته. إنما دُعي بالإسم المذكور، لأنه يقوم بأعمال اللاهوت بوسيلة روحية، أو بوسيلة غير منظورة، كما يتضح من اسمه.

كما أنه لم يوصف بالقدُس لأنه يتميز بالقداسة دون الأقنومين الآخرين. كلا، لأن الأقانيم الثلاثة يتصفون معا بهذه الصفة، وبكل صفات الكمال الأخرى بدرجة واحدة. ولكنه وُصف بالقُدُوس لأنه هو الذي بعمله الروحي في نفوسنا يقدسها ويجعلها في حالة التوافق مع الله. ومما يؤكد لنا أنه واحد مع الأقنومين الآخرين في اللاهوت بكل صفاته وخصائصه، أنه لم يوصف بالقداسة فحسب، بل وُصف أيضا بالأزلية، والوجود في كل مكان، والعلم، والقدرة، وغير ذلك من الصفات التي يتصف بها هذان الأقنومان، كما يتضح بالتفصيل فيما سيلى.

2 - أقنـوميتـه:

يظن البعض أن تسمية هذا الأقنوم بـ" الروح"، تدل على أنه مجرد قوة إلهية يمنحها الله لمن يريد، لكن الحقيقة غير ذلك. لأن الوحي يُسند إليه الأعمال التي لا يقوم بها إلا الكائن العاقل، مثل الكلام والفحص والإرشاد والتعليم. كما يسند إليه الصفات التي لا يتصف بها إلا الكائن العاقل، مثل المحبة والصلاح والمشيئة، ولذلك يعلن أن الذين لا يطيعونه يقفون إزاءه موقفهم إزاء الكائن العاقل، فإنهم في جهلهم يكذبون ويجدفون عليه. وإليك الأدلة:

قال مرة لبعض الأنبياء والمعلمين:" إفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه" (أعمال2:13). كما قال السيد المسيح عنه:" وأما متى جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم الى جميع الحق ... ويخبركم بأمور آتية"،(يوحنا 13:16، 14)، وأيضا:" الروح القدس ... يعلمكم كل شيء ويُذكركم بكل ما قلته لكم" (يوحنا 26:14)، وقيل بالوحي عن الروح القدس إنه " يفحص كل شيء حتى أعماق الله" (1كورنثوس 10:2).

ومكتوب عنه أنه روح المحبة (2تي 7:1)، وأنه الروح الصالح (نحميا 20:9) وأنه يوزع المواهب كما يشاء (1كورنثوس 11:12).

كما أن حنانيا وسفيرة لما لم يقولا الصدق، اعتُبرا أنهما كذبا عليه (أعمال 3:5)، واليهود كانوا يُجدفون عليه (متى31:12)، إذ كانوا في جهلهم يقولون عنه إنه رئيس الشياطين.

3 - " الروح القدس" في التوراة:

لم يرد ذكر "الروح القدس" أو " روح الله" في الإنجيل فحسب، بل وفي التوراة أيضا، ومن أول صحيفة فيها فقد قال الوحي عن تكوين الخليقة " روح الله يرف على وجه المياه" (تكوين 2:1). كما قال عندما استفحل شر الإنسان في العهد القديم " لا يدين روحي في الإنسان الى الأبد" (تكوين 3:6)، كما قال على لسان حجي النبي " روحي قائم في وسطكم، لا تخافوا" (حجي 5:2). وقال موسى النبي:" جعل الرب روحه عليهم" (عدد29:11). وخاطب داود النبي المولى قائلا:" روحك القدوس لا تنزعه مني" (مزمور 11:51)، وخاطبه مرة أخرى قائلا:" ترسل روحك فتُخلق، وتُجدد وجه الأرض" (مزمور 30:104) .

4 - أعمال الروح القدس الخاصة بنا:

أقنوم " الروح" يقوم بأعمال الله بطريقة روحية، وقد ذكرنا فيما سلف طرفا من هذه الأعمال، ولذلك نكتفي هنا بالقول إنه هو الذي بعث الحياة الجسدية الى الكائنات الحية (مزمور30:104)، وهو الذي منح القدرة على التنبؤ وعمل المعجزات للرسل والأنبياء (أعمال 6:19)، وهو الذي يساعد المؤمنين على القيام بالصلاة، ويمنحهم المواهب الروحية اللازمة لهم (رومية 17:8، 1كورنثوس 4:12- 12)، وهو الذي يُبكت ضمائر الخطاة ويرشدهم في الباطن الى طاعة الله، وهو الذي يعطي من يطيعون صوته حياة روحية، يستطيعون بها الإرتقاء فوق أهواء الجسد وشهواته،

والسلوك في حالة التوافق مع الله في صفاته وأفكاره (يوحنا 8:16، غلاطية 16:5)، وغير ذلك من الأعمال الخاصة بعلاقة الله الروحية فينا.

5 - مجيئه الى العالم:

قبل انتقال المسيح من العالم، أوصى تلاميذه ألا يبرحوا أورشليم بعد صعوده عنهم، حتى يحل الروح القدس عليهم (لوقا 49:24). وطاعة لهذه الوصية، انتظروا في حالة الإتصال الروحي بالله والتضرع المتواصل إليه، فحل عليهم الروح القدس بهيئة واضحة في اليوم العاشر من صعود المسيح عنهم، ومنحهم المواهب الروحية التي هيأتهم للقيام برسالتهم في العالم، كوعد المسيح السابق لهم. والمقصود بمجيء الروح القدس هو ظهوره، وليس التحرك من مكان الى مكان.

وهنا يسأل سائل: كيف يكون الروح القدس قد ظهر بعد صعود المسيح بعشرة أيام، وقد كان يعمل في نفوس الأنبياء قبل مجيء المسيح الى العالم بمئات السنين؟

وللإجابة على ذلك نقول: هناك فرق بين عمل الروح القدس وظهوره فهو بوصفه أحد أقانيم اللاهوت كان يعمل أزلا وفي الخلق وبعد الخلق، مثله في ذلك مثل الأقنومين الآخرين. ولكن ظهوره، مثل ظهور الإبن، هو تجليه بهيئة واضحة، ليفتح الباب أمام جميع الناس حتى يستفيدوا من عمله الروحي فيهم، كما أستفادوا من ظهور الإبن من قبل، بعمله الفدائي لأجلهم.

6 - حلوله على المؤمنين:

بما أن حاجتنا الى الروح القدس ليست أقل من حاجة الرسل إليه، كان من البديهي ألا يكون حلوله قاصرا عليهم. فإذا رجعنا الى الكتاب المقدس، وجدنا أنه حل أيضا على جميع المؤمنين الذين عاشوا في العصر الرسولي، ويحل وسيحل كذلك في جميع المؤمنين الحقيقين في كل العصور والأجيال (أعمال 44:10، 15:11، أفسس 13:1)، ليقدرهم بواسطة الحياة الروحية التي يبعثها فيهم، على التوافق مع الله والسلوك معه بالقداسة التي يريدها.

وبالطبع لا يُقصد بحلول الروح القدس في المؤمنين تحيُّزه فيهم، أو اختلاطه بطبيعتهم، لأنه غير متحيز بحيز، ومنزه عن التأثر بأي مؤثر، بل يُقصد به ملازمته لنفوسهم في كل حين، ليحفظهم في حالة الإتصال بالله والطاعة المستمرة له. وهذا العمل لا يتعارض مع خصائصه، بل يتوافق معها، كما يتوافق مع خصائص الأقنومين الآخرين. ولزيادة الإيضاح إقرأ (يوحنا 17:14، 1كورنثوس 19:6، 2تيموثاوس 14:1، مع يوحنا 23:17، أفسس 17:3).

مما تقدم يتضح لنا أن كل أقنوم سُمي باسم خاص، ليس لأن أحدهم أقدم من الآخر زمانا، أو أفضل منه مقاما، أو لأنه يختلف عنه جوهرا، بل لأن كلا منهم يقوم بعمل يتناسب مع أقنوميته، ولأن بين أحدهم والآخر نسبا روحية خاصة، بها للاهوت علاقات متكاملة بينه وبين ذاته، منذ الأزل الذي لا بدء له، الأمر الذي بسببه هو في غنى عن كل شيء في الوجود. وسيتضح لنا فيما سيلى أنه وإن كان كل أقنوم يقوم بعمل خاص، إلا أنهم جميعا واحد في كل الصفات والتصرفات، الأمر الذي يدل على أن وحدانية الله في ثالوثه، هي وحدانية حقيقية، كما ذكرنا مرارا وتكرارا.

وحدانية الأقانيم في اللاهوت
بكل خصائصه وصفاته

تبين لنا أن الأقانيم هم ذات الله الواحد لأنهم تعين اللاهوت، واللاهوت واحد ووحيد ولا ينقسم أو يتجزأ على الإطلاق. ولما كان البعض يظن أن هذه الحقيقة تتعارض مع بعض الآيات الكتابية، رأينا من الواجب أن نبين في هذا الفصل أن وحدانية الأقانيم في اللاهوت، بكل خصائصه وصفاته، هي حقيقة كتابية قبل أن تكون حقيقة فلسفية أو منطقية. وفيما يلي بعض الآيات التي تدل على ذلك:

1 - **وحدانية الأقانيم في اللاهوت**: قال الوحي عن الآب إنه " الله" أبونا (2تسالونيكي 16:2)، وعن الإبن إنه " الله" الذي يظل كرسيه الى دهر الدهور(مزمور 6:45، 7)، وعن الروح القدس أيضا إنه " الله" (أعمال 3:5- 5).

2 - **وحدانيتهم في الربوبية**: قال الوحي عن الآب إنه " رب السماء والأرض" (متى 25:11)، وعن الإبن إنه " رب الكل" (أعمال 36:10)، وعن الروح القدس أيضا إنه هو " الرب" (2كورنثوس 17:3).

3 - **وحدانيتهم في الأزلية والأبدية**: قال الوحي عن الآب إنه " القيوم الى الأبد" (دانيال 26:6)، وعن الإبن إنه " الأزلي والأول والآخر" (رؤيا 8:1)، وعن الروح القدس إنه " أزلي" كذلك (عبرانيين 14:9).

4 - **وحدانيتهم في عدم التحيز بمكان أو زمان**: قال الوحي عن الآب إن له الكل، وإنه على الكل، وبالكل، وفي كل المؤمنين (أفسس 6:4)، وعن الإبن إنه يوجد في كل مكان يجتمع فيه المؤمنون بإسمه للعبادة والصلاة (متى 20:18)، وعن الروح القدس إنه لا يحده حد ولا يدركه قياس (إشعياء 13:40). أي أن كلا منهم لا يتحيز بحيز.

5 – **وحدانيتهم في خاصية الحياة**: قال الوحي عن الآب إنه الحي (يوحنا 57:6)، وعن الإبن إنه الحي (رؤيا 18:1)، وعن الروح القدس ‘نه الحي ايضا (2كورنثوس 3:3).

6 - **وحدانيتهم في الإستحقاق لقبول العبادة والسجود**: قال الوحي عن الآب إن الساجدين الحقيقيين يسجدون له بالروح والحق (يوحنا 20:4)، وعن الإبن إنه هو الذي تعبده كل الشعوب وتسجد له (فيلبي 10:2)، وعن " الله" بأقانيمه الثلاثة إنه هو الذي له وحده يُقدم السجود (يوحنا 24:4)، وعن الروح القدس إنه هو العامل في المؤمنين لتقديم السجود الحقيقي لله (رومية 26:8).

7 - **وحدانيتهم في صفات اللاهوت الخاصة**: قال الوحي عن الآب إنه القدوس (يوحنا 11:17) وعن الإبن إنه القدوس (لوقا 35:1)، وعن الروح القدس إنه روح القداسة (رومية 4:1). وعن الآب إنه الحق (يوحنا 17:17)، وعن الإبن إنه الحق (يوحنا 6:14)، وعن الروح القدس إنه الحق (يوحنا 26:15). وعن الآب إنه القادر (عبرانيين 7:5)، وعن الإبن إنه القدير (إشعياء 6:9)، وعن الروح القدس إنه روح القدرة (2تيموثاوس 7:1). وعن الآب إنه المحب (يوحنا 27:16)، وعن الإبن إنه المحب (يوحنا 27:16)، وعن الروح القدس إنه روح المحبة (2تيموثاوس 7:1). وعن الآب إنه يعلم أصغر الأمور (متى 26:6)، وعن الإبن إنه يعلم الجميع (يوحنا 24:2)، وعن الروح القدس إنه يعلم كل شيء في السموات وعلى الأرض (1كورنثوس 10:2).

وحدانية الأقانيم في أعمال اللاهوت وتصرفاته

1 - **وحدتهم في إبداع الخليقة**: قال الوحي إن الله خلقها بالإبن (عبرانيين 2:1)، وإنها خُلقت بالكلمة (يوحنا 3:1)، وبالروح القدس (مزمور 6:33)، إن الله (بأقانيمه الثلاثة) قد خلقها (تكوين 1:1).

2 - **وحدتهم في إرسال " الإبن"**: قال الوحي إن الآب أرسل الإبن الى العالم (يوحنا 37:5)، وإن الإبن جاء من تلقاء ذاته إليه (1تيموثاوس 15:1)، وإن الروح القدس أرسله (إشعياء 16:48).

3 - **وحدتهم في عمل الفداء**: قال الوحي إن الله بذل ابنه (يوحنا 16:3). وإن الإبن بذل نفسه (يوحنا 11:10)، وإنه بالروح الأزلي قدم نفسه أو بذلها (عبرانيين 14:9).

4 - **وحدتهم في إقامة المسيح من بين الأموات**: قال الوحي إن الله أقامه (أعمال 24:2)، وإن المسيح قام بنفسه (مرقس 6:16)، وإن الروح القدس أقامه (رومية 11:8).

5 - **وحدتهم في العمل لأجل خلاصنا**: قال الوحي إن الآب يجتذب الخطاة الى المسيح (يوحنا 44:6)، وإن المسيح يطهرهم ويجعلهم أهلا للإقتراب الى الله (1بوحنا 7:1)، وإن الروح القدس يسكن فيهم بعد ذلك، ليقدرهم على السلوك في المستوى السامي الذي يتناسب مع علاقتهم الجديدة بالله (1بطرس 2:1).

6 - **وحدتهم في الوجود معنا**: قال الوحي إن الإبن يوجد مع المؤمنين في كل حين (متى 20:28)، وإنه والآب يسكنان معهم (يوحنا 23:14)، وإن الروح القدس يحل في قلوبهم ويسكن فيها (1كورنثوس 19:6).

7 - **وحدتهم في إرسال الروح القدس**: قال الوحي إن الآب أرسل الروح القدس (يوحنا 26:14)، وإن المسيح أرسله (يوحنا 26:15)، وإن الروح القدس حل من تلقاء ذاته (أعمال 2:2- 4).

8 - **وحدتهم في إعلان أحدهم للآخر**: قال الوحي إن الآب يعلن الإبن للمؤمنين (متى 17:16)، وإن الإبن يعلن ذاته لهم ويعلن الآب أيضا لهم (لوقا 22:10، يوحنا 21:14)، وإن الروح القدس يأخذ مما للإبن ويخبرهم (يوحنا 14:16، 15)، وبذلك فإنه يعلنه لهم أو يعرفهم به.

ولذلك قيل بالوحي إنه لا يستطيع أحد أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس (1كورنثوس 3:12)، ولا يستطيع أحد أن يُقبل الى الإبن إلا إذا اجتذبه الآب أولا (يوحنا 44:6)، ولا يستطيع أحد أن يأتي الى الآب إلا بواسطة الإبن والروح القدس (يوحنا 16:14، 17، 8:16، 23:4، 24)، ولا يستطيع أحد أن يتمتع بالروح القدس إلا بواسطة الآب والإبن (لوقا 11:11- 13، يوحنا 7:16- 16).

9 - **وحدتهم في عمل المعجزات**: قال الوحي إن الآب الحال في الإبن كان يعملها (يوحنا 10:14)، وإن الإبن كان يعملها بإرادته الشخصية (متى3:8)، وإن الروح القدس كان هو العامل في إجرائها (متى 28:12).

10- **وحدتهم في جميع الأعمال والأقوال**: قال الوحي إنه مهما عمل الآب يعمل الإبن أيضا (يوحنا 17:5)، وإن الإبن لا يعمل من ذاته شيئا، بل كما يرى الآب يعمل (يوحنا 19:5)، وإن الآب يحب الإبن، ويريه كل شيء (يوحنا 20:5)، وإن جميع أمور الله يعرفها روح الله (1كورنثوس 10:2، 11)، كما أنه لا يتكلم من ذاته بل كما يسمع يتكلم (يوحنا 13:16- 15).

وطبعا إن عدم قيام أقنوم بالعمل مستقلا عن الأقنومين الآخرين، ليس معناه عجزه عن القيام به بمفرده، بل معناه وحدته الكاملة معهما في القيام به، وذلك لوحدة جوهرهم.

مما تقدم يتضح لنا أن الأقانيم واحد في اللاهوت بكل خصائصه وصفاته، وأنهم مع قيام كل منهم بعمل خاص، متحدون اتحادا تاما في جميع الأعمال والتصرفات، ولذلك نلاحظ أن الوحي الإلهي:

1 - يسجل أسماءهم دون ترتيب يُفهم منه أن لأحدهم أسبقية أو أفضلية على الآخر. فبينما يقول مرة: " الآب والإبن والروح القدس" جاعلا الآب أولا، والإبن ثانيا، والروح القدس ثالثا، يقول مرة أخرى:" نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله (الآب) وشركة الروح القدس" (2كورنثوس 14:13). ومرة ثالثة " مصلين في الروح القدس، واحفظوا أنفسكم في محبة الله (الآب) منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح للحياة الأبدية" (يهوذا 20).

2 - ويذكر أسماءهم مقترنة بعضها بالبعض الآخر، فمثلا يدعو الروح القدس " روح الإبن" (غلاطية 6:4) و" روح المسيح" (رومية 9:8) و" روح الآب" (متى 20:10) و" روح الله" (رومية 9:8). فالروح القدس فضلا عن أقنوميته الخاصة، هو روح الله، وهو نفسه روح الإبن، وهو نفسه روح الآب، لأن جوهره هو نفس جوهر الأقنومين الآخرين، وهذا الجوهر هو " اللاهوت".

3 - ويعلن أنهم متحدون اتحادا تاما في الذاتية، وبالأحرى أنهم واحد فيها، فيقول إن الإبن والآب واحد (يوحنا 30:10)، وإن الإبن في الآب والآب فيه (يوحنا 19:17)، وإن من رأي الإبن فقد رأى الآب (يوحنا 9:14)، وإن الروح القدس كما ذكرنا آنفا هو " روح الإبن" و" روح الآب" و" روح الله"، الأمر الذي يدل على أن الأقانيم واحد في الذاتية، أو بتعبير آخر أنهم ذات الله الواحد.

الأدلة على صدق شهادة الإنجيل

فضلا عن الآيات السابق ذكرها المكتوبة بالوحي الإلهي، الأمر الذي لا يدع مجالا للشك في صدقها، فهناك أدلة عقلية تثبت هذه الحقيقة، نذكر منها ما يلي:

1 - بما أن الذين كتبوا هذه الآيات، لم يكونوا من الوثنيين الذين يؤمنون بتعدد الآلهة، بل من الأنبياء والرسل الذين يؤمنون أن لا إله إلا الله، وأن الإشراك به جريمة تستحق الرجم في الحال (تثنية 10:13)، فمن المؤكد أنهم لم ينقلوا الآيات المذكورة عن الوثنية، أو عن تصوراتهم الشخصية، بل تلقوها من الله رأسا كإعلان تفصيلي عن ذاته.

2 - وبما أن هذه الآيات لا ترذ في أماكن معينة من الكتاب المقدس، بل في أماكن متفرقة منه، الأمر الذي لا يُعرف بسببه لاهوت كل أقنوم ووحدة الأقانيم معا إلا بدراسة مئات من الصفحات فيه ومقابلة بعضها بالبعض الآخر، كما أنها لا ترد مصحوبة بأية إشارة لتوجيه النظر إليها بصفة خاصة، بل ترد في سياق الكلام العادي وفي حالة التوافق التام معه، إذن ليس هناك مجال للظن بأن بعض الناس قد أدخلها في الكتاب المقدس لأي غرض من الأغراض الشخصية، بل أنهم هم الذين قاموا بتسجيلها في الأوقات والمناسبات التي كان يوحى بها إليهم فيها، دون أن يكون لهم أي تدخل في موضوعها أو أسلوبها.

الخطية

ما هي الخطيئة؟:

معناها:" لم يُصِب الهدف أو انحرف عنه"ـ فمن هذه العبارة يتضح لنا أن الخطيئة ليست هي الشر الشنيع فحسب كما يظن بعض الناس، بل إنها أيضا الإنحراف عن حق الله بوصفه القاعدة التي وضعها لسلوكنا في العالم الحاضر. ولما كان حق الله ينهي عن الشر ويأمر بالخير، لذلك فالخطيئة لا تكون بالإنحراف الى الشر فحسب، بل وبالإنحراف عن الخير أيضا.

قال الوحي أيضا:" فكر الحماقة خطيئة" (أمثال 9:24). و" كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس" (1يوحنا 15:3). و" كل من ينظر الى إمرأة ليشتهيها. فقد زنى بها في قلبه" (متى 28:5). و" من قال يا أحمق، يستوجب نار جهنم" (متى 22:5). و" كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس. سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين" (متى 36:12).

وقد عرف الأنبياء شر الخطايا الباطنية، ولذلك صرخ مرة أحدهم (داود) لله قائلا:" من الخطايا المستترة ابرئني"

(مزمور 12:19). كما قال له:" اختبرني يا الله واعرف قلبي. امتحني واعرف أفكاري. وانظر إن كان فيَّ طريق باطل. واهدني طريقا أبديا" (مزمور 139 :23، 24)، لأن الإنسان قد يجهل أفكار الشر التي تجول في نفسه أو لا يحسب لها حسابا، وتكون النتيجة النهائية أنه يرى نفسه دون أن يدري، بعيدا عن الله بعدا عظيما.

من أراد أن يحيا حياة التوافق مع الله أو بالحري حياة البُعد عن الخطيئة، يجب أن لا يمتنع عن الشر فحسب، بل وأن يفعل الخير أيضا. ولا مجال للإعتراض على ذلك، لأن من لا يعطف على الفقير أو يمتنع عن مساعدة المسكين، يكون بعيدا عن الله، ومن ثم يكون خاطئا حتى إذا لم يفعل شرا من الشرور السابق ذكرها. لذلك قال الوحي لنا:" من يعرف أن يعمل حسنا ولا يعمل، فذلك خطيئة له" (يعقوب 17:4). كما قال " لنعمل الخير للجميع" (غلاطية 10:6).

إن السعي وراء العيش وتحصيل المال اللازم لنا في هذا العالم، أمر واجب طالما نحن نحيا فيه. لكن إذا طغى هذا السعي على النفس وصرفها عن الصلة بالله والتوافق معه، كان ذلك دليلا على انحرافها عنه، أو بالحري على عدم ثقتها فيه وتقديرها لفضله عليها، ومن ثم يكون السعي المذكور خطيئة أيضا. لذلك قال الوحي إن الناسين الله أشخاص أشرار مآلهم الهاوية مثل الخطاة سواء بسواء (مزمور17:9). كما قال " إن محبة العالم (أو بالحري الانصراف إليه) عداوة لله" (يعقوب 4:4)، لأن كل ما في العالم " شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظيم المعيشة" (1يوحنا 16:2). ومن الناحية الأخرى أوصانا قائلا:" تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قدرتك، ومن كل فكرك" (لوقا 27:10) . المحبة لله، وإن لم تكن عين الطاعة له، بل هي الشوق القلبي إليه، والحنين المقدس للوجود في معيته، لكنها تقودنا طبعا للطاعة له. والطاعة له في هذه الحالة لا تكون عن خوف ورعب مثل طاعة العبيد لسيدهم القاسي، بل تكون عن حب وإخلاص مثل طاعة الأبناء لأبيهم البار بهم. ولا مغالاة في هذه الوصية على الإطلاق، فالله هو خالقنا وصاحب الفضل علينا، ومن الواجب أن يكون له المقام الأول في حياتنا. كما أن المحبة له، إن لم تكن من كل القلب ومن كل النفس ومن كل القدرة ومن كل الفكر، لا تكون محبة كاملة، والمحبة غير الكاملة لا تليق بالله. لذلك قال داود النبي مرة له:" وحد قلبي لخوف اسمك"، " أنت سيدي خيري لا شيء غيرك" (مزمور 11:86، 2:16).

مستوانا الروحي في ضوء الله:

إن الخاطي (في نظر الله) ليس من يعمل خطايا كثيرة فحسب، بل ومن يعمل أيضا خطية واحدة (سواء كانت بالفعل أم القول أم الفكر)، فقد قال الوحي:" من حفظ كل الناموس، وإنما عثر في واحدة، فقد صار مجرما في الكل. لأن الذي قال لا تزن، قال أيضا لا تقتل. فإن لم تزن ولكن قتلت، فقد صرت متعديا للناموس" (يعقوب 10:2 - 11). ولذلك لأجل خطيئة واحدة طرح الله بعض الملائكة من السماء (2بطرس 4:2)، ولأجل خطيئة واحدة طُرد آدم وحواء من

جنة عدن (تكوين 24:3)، ولأجل خطيئة واحدة حُرم موسى النبي من دخول أرض كنعان (تثنية 52:32)، ولأجل خطيئة واحدة أمات الله حنانيا وسفيرة في الحال (أعمال 1:5- 11).

إن الإنسان مهما بلغ أسمى درجات الأخلاق الكريمة وقام بالواجبات الدينية خير قيام، لكن انحرف مرة عن الله بالفعل

أو القول او الفكر، يكون خاطئا. وإذا عاش دون أن ينحرف هذا الإنحراف، لكن لم يعمل كل الصلاح الذي يستطيع القيام به بالحالة المذكورة، لكن أخطأ مرة واحدة سهوا، يكون خاطئا أيضا ـ فإذا نظرنا الى أنفسنا في ضوء هذه الحقائق، نرى أننا نأتي خطايا لا حصر لها دون أن نحسب لها حسابا، ظنا منا أنها صغائر لا يقيم الله لها وزنا، لكنها في الواقع ذنوب ومعاص في نظره تعالى. ولذلك قال الوحي عن الإنسان عامة " إن تصور أفكار قلبه، إنما هو شرير كل يوم" (تكوين 5:6)، وإن قلبه (أو بالحري موطن الشعور والعواطف فيه) أخدع من كل شيء وهو نجيس

(إرميا 9:17)، وإن " من القلب تخرج أفكار شريرة، زنا، فسق، قتل، سرقة ...تجديف" (مرقس 21:7، 22)

و" إن كل الرأس مريض، وكل القلب سقيم من أسفل القدم الى الرأس ليس فيه صحة، بل جرح وأحباط [الإحباط لغة، هي الجروح التي تنشأ من السحق، والمراد بها هنا الخطيئة التي تدمر نفوس البشر وتسحقها]. وضربة طرية لم تُعصر ولم تُعصب ولم تلين بالزيت" (إشعياء 5:1، 6)، أي أن الخطيئة ضربت أطنابها في الإنسان حتى أفسدت كيانه بأسره.

تسرُّب الخطيئة الى البشر عامة:

إن الإنسان يولد وبه ميل الى الخطيئة، وهذا الميل وإن كان لا يبدو بوضوح في الصغر، غير أنه يأخذ في الظهور كلما شب الإنسان ونما. فمثل هذا الميل مثل السم الكامن في الثعبان، فإنه لا يرد إليه من الخارج، بل أن الثعبان يولد وفي جسمه استعداد لتكوينه. وكل ما في الأمر، أن هذا السم لا يظهر بنتائجه المميتة، إلا إذا بلغ الثعبان سنا معينة.

ونحن نرى هذا في عناد الطفل الصغير وعصيانه وأنانيته ونراه في أنفسنا نحن البالغين في الكبرياء والغيرة وحب الذات والشهوة.

وقد ورثنا هذه الطبيعة الخطائة من أبينا آدم، كما نرث من أبائنا وأجدادنا أمراض السكر والقلب وحتى الصلع وغيرها.

مثال واضح على هذا هو قابيل الذي قتل أخاه هابيل من اين جائته الخطية؟ لقد ورثها عن أبيه.

سبب ولادة الإنسان بطبيعة تميل الى الخطية؟

بناء على قانون الوراثة لا يمكن لكائن أن يلد آخر مغايرا له، كما يقول علماء الأحياء وعلى رأسهم ماندل. فالخنزيرة

(مثلا) لا يمكن أن تلد حملا، والشوك لا يمكن أن ينتج عنبا. وبما أن آدم الذي وُلد منه البشر جميعا كان قد فقد بعصيانه حياة الإستقامة التي خلقه الله عليها وأصبح خاطئا قبل أن ينجب نسلا، إذا كان أمرا بديهيا أن يولد أبناؤه جميعا خطاة بطبيعتهم نظيره، لأننا مهما جلنا بأبصارنا في الكون، لا نجد لسنة الله تبديلا أو تحويلا. ولذلك قال الوحي:" بإنسان واحد دخلت الخطيئة الى العالم" (رومية 12:5- 21). وقد شهد داود النبي بهذه الحقيقة من قبل، فقال عن نفسه:" هأنذا بالإثم صُورت وبالخطيئة حبلت بي أمي" (مزمور 5:51). وقال إشعياء النبي:" من البطن سميت عاصيا" (إشعياء 8:48). الحقيقة التي شهد بها وأيدها الإختبار، فهي أن الطبيعة الخطائة التي فينا قد تسربت إلينا بالولادة من آدم الذي تناسلنا منه جميعا.

نتائج ولادة البشر بالخطيئة:

بما أن الخطيئة تسربت وتتسرب الى البشر بالوراثة، وبما أن قانون الوراثة قانون عام تخضع له جميع الكائنات الحية، لذلك كان أمرا بديهيا بعد أن تسربت الخطيئة الى البشر، أن يصيروا جميعا خطاة بأفعالهم كما ولدوا خطاة بطبيعتهم. ولذلك قال الوحي:" ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم (فهما روحيا) ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معا، ليس من يعمل صلاحا، ليس ولا واحد" (رومية 10:3- 12). كما قال:" لأنه لا فرق، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رومية22:3- 23)، ولذلك صاح داود النبي مرة قائلا لله:" لا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتبرر قدامك حي" (مزمور 2:143). [اعتاد الناس أن يفرقوا بين إنسان وآخر، فيقولون مثلا: إن هذا الإنسان أفضل من ذاك. لكن ليس هذا هو الحال في نظر الله، لأنه ليس هناك واحد من البشر لم يفعل خطيئة واحدة في حياته، ومن يفعل خطيئة واحدة، يكون خاطئا لا بارا].

قد يقول قائل: كيف يكون كل البشر خطاة، ونحن نرى بينهم كثيرين من الصالحين.

وللرد نقول: إن الصلاح (بمعنى عدم إتيان أي خطيئة بالقول أو الفكر، مع القيام بكل أعمال الخير لكل الأصدقاء

والأعداء على السواء، دون انتظار لأي جزاء أو ثواب كما ذكرنا) ليس له وجود في البشر على الإطلاق. لذلك قال الوحي:" ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله" (لوقا 19:18). أما أفضل البشر فهم أشخاص يقومون بخير أكثر من غيرهم ويخطئون أقل من غيرهم، ومن ثم فالفرق بين البشر من جهة الخطيئة هو فرق نسبي فحسب، لأنهم جميعا خطاة بطبيعتهم وخطاة أيضا بأعمالهم، سواء كثرت هذه الأعمال أم قلت.

ولعل أوضح دليل على ذلك أن نوحا (تكوين 21:9) وإبراهيم (تكوين 12:12، 13) وأيوب (أيوب 2:42) وموسى (العدد 6:20- 11) وداود (مزمور 1:51) وإشعياء (إشعياء 5:6) وزكريا (لوقا 20:2) وبطرس (لوقا 61:22)، وبولس (أعمال 3:23)، وغيرهم من الرسل والأنبياء قد أخطأوا مثل غيرهم من الناس، أما العصمة المسندة الى الرسل والأنبياء في المسيحية، فهي فقط في تبليغهم للرسائل التي كان الله يُوحي بها إليهم، لأنهم كانوا عند تبليغهم يقعون تحت سلطانه المطلق. ومن ثم لم يضيفوا إليها كلمة أو يحذفوا منها أخرى. ولذلك قيل بالوحي:" الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من شريعته" (متى 18:5). أما قول الوحي عن نوح إنه كان رجلا بارا وكاملا في أجياله (تكوين 9:6)، وعن أيوب إنه كان رجلا كاملا ومستقيما يتقي الله ويحيد عن الشر (أيوب 1:1)، وعن زكريا وامرأته إنهما كانا بارين (لوقا 6:1)، فلا يُراد به أنهم لم يفعلوا خطيئة طوال حياتهم، بل أنهم كانوا يهابون الله ويحاولون جهد الطاقة أن ينفذوا وصاياه، كما كانوا يسرعون الى تقديم الذبائح الكفارية له عن كل خطيئة يفعلونها.

وقد يقول قائل آخر: قول المسيحية الطبيعة الخطائة انتقلت الى البشر بالوراثة، تجعلهم غير مسئولين عن الخطايا التي تصدر منهم، وهذا ما لا يتفق مع الحق على الإطلاق.

وللرد نقول: إن المسيحية مع قولها إن الطبيعة الخطائة انتقلت الى البشر بالوراثة، تعلن أنهم يعملون الخطيئة، ليس رغما عنهمن مدفوعين في ذلك بغرائزهم وحدها، كما هي الحال مع الحيوان، بل يعملونها بإرادتهم أو بالحري نتيجة لموافقتهم الشخصية على تلبية رغبات هذه الغرائز. ومن ثم يكونون مسئولين عن كل خطيئة يعملونها، لأن المسئولية لا تُرفع إلا عن الأطفال وفاقدي الرشد والصواب. ولذلك قال الوحي إن كل واحد منا سيعطي عن نفسه حسابا لله (رومية 12:14)، كما قال إن الله سيحضر كل عمل من أعمال الناس الى الدينونة، سواء كان خفيا أم ظاهريا (جامعة 14:12)،

قد يقول قائل: هل من العدالة أن يُضار البشر جميعا بسبب خطيئة ارتكبها آدم وحده؟

وللرد نقول: أعلن الله لنا في كتابه أنه كما انتقلت الطبيعة الخطائة إلينا دون ذنب جنيناه، يأتي إلينا الخلاص منها، ومن عقوبة الخطايا التي تصدر عنها كذلك، منحة مجانية منه تعالى، أو بالحري دون أن عمل من جانبنا سوى الإيمان الحقيقي. فضلا عن ذلك، أنه كان خيرا لنا أن نولد كلنا من رجل واحد ونرث منه طبيعته الخطائة، من أن يُخلق كلُ واحد منا بمفرده ويكون مسئولا بشخصه عن كل خطيئة يفعلها، لأنه في الحالة الأولى يكون لنا جميعا امتياز الحصول من الله على غفران كامل بفضل نائب آخر اسمى من آدم بما لا يُقاس. ومن ثم لا مجال لهذا الإعتراض أو غيره من الإعتراضات.

تأثير الخطيئة بالنسبة لله:

بما أن الله فضلا عن كونه كاملا كل الكمال وحي الى أبد الآباد، هو الذي نهانا عن الشر وأوصانا بالخير، إذا فهو مع روحانيته المطلقة يتأثر بما نفعله من الإثم (إشعياء 13:1)، وإن عينيه أطهر من أن تنظرا الشر (حبقوق 13:1)، ومن ثم إذا فعل أحدنا خطيئة ضد نفسه أو ضد غيره، لا يكون قد أساء الى نفسه أو غيره فحسب، بل والى الله قبل كل شيء آخر.

إن كل خطيئة نأتيها ضد أنفسنا أو ضد غيرنا من الناس، تكون موجهة ضد الله أولا كما ذكرنا. ولذلك عندما أخطأ داود النبي ضد أوريا وامرأته قال لله:" **إليك وحدك** أخطأت، والشر قدام عينيك صنعت" (مزمور 4:51). كما أن يوسف الصديق عندما أبي أن يلبي الرغبة الآثمة التي عرضتها عليه امرأة فوطيفار، قال لها:" كيف أصنع هذا الشر العظيم **وأخطيء الى الله؟!**" (تكوين 9:39). حتى فى مثل الابن الضال الذى اعطاه المسيح يرد قول الابن الأصغر

" أخطأت الى **السماء** وقدامك..".لوقا 15: 18-21).

مدى الإساءة التي نوجهها الى الله بسبب الخطيئة:

وإن كنا لا نستطيع تحديد هذه الإساءة بسبب سمو الله عن إدراكنا سموا لا حد له، لكن نعلم أنه بإرتكاب الخطيئة (أولا) نُحول بين الله وبين الصلة الروحية الطيبة التي يريد أن تكون بينه وبيننا، لأنه لم يخلقنا على صورته كشبهه إلا لتكون لنا هذه الصلة به. (ثانيا) ننكر فضله علينا ونستهين بعواطفه الكريمة من نحونا. (ثالثا) نرفض شريعته ونكسر ناموسه، وبذلك نتمرد عليه ونهينه في ارضه وعلى مرأى منه.

لذلك قال الوحي عن الخطاة إنهم لا يخشون الله (أرميا 19:2) ويبغضونه بلا سبب (مزمور 4:69)، ويرفضون شريعته (إرميا 19:6)، وينقضون عهده (يشوع 11:7)، ويتمردون على شخصه (هوشع 16:13)، ويسلبون حقوقه (ملاخي 8:3)، ويُفسدون أمامه (نحميا 7:1)، ويهينون مقامه (مزمور 13:10، إشعياء 2:1و3، 4)، ويحتقرون اسمه وينجسونه أيضا (ملاخي 6:1، حزقيال 20:36)، لأن لسان حالهم إزاءه " ابعُد عنا، وبمعرفة طرقك لا نُسر" (أيوب 14:21) ـ فالخطيئة، عِلمنا أم لم نعلم، هي أكبر إساءة نوجهها الى الله، ولذلك قال الوحي:

" الخطيئة خاطئة جدا" (روميا 13:7).

تأثير الخطيئة بالنسبة للبشر:

ان الموت الجسدي الذي ترتعد لذكرة فرائصنا وتتحطم عنده أمالنا وأمانينا، ويورثنا الكثير من الحزن والأسى، ليس إلا النتيجة الختامية للخطيئة في العالم الحاضر. فقد قال الله لآدم عن الشجرة المنهيّ عنها:" لأنك يوم تأكل منها موتا تموت" (تكوين 17:2)، كما قال له بعد الأكل منها:" لأنك تراب والى تراب تعود" (تكوين 19:3).

مدى العقوبة الإلهية

قصاص الإساءة يتناسب تناسبا طرديا مع مكانة الشخص المُساء إليه. فإذا وقعت إهانة على شخص قليل الشأن كخادم صغير في منزل، كان قصاصها لا يُذكر، وكان تعويضها (إن كان لا بد من تعويض) ضئيلا. أما إذا وقعت الإهانة على شخص عظيم القدر كملك أو حاكم، كانت جريمة شنيعة تستحق عقابا جسيما لا مجال للتعويض فيه بحال.

إذا أخطأ تلميذ في حق تلميذ زميله فإنه لا بد أن يعاقب، وإذا أخطأ في حق المدرس فإن العقاب يكون أشد. وإذا أخطأ في حق ناظر المدرسة، فإن العقاب يكون أشد وأشد. فما بالك إذا أخطأ في حق وزير التعليم أو في حق رئيس الجمهورية؟!

وبما أن الخطيئة هي إهانة لله الذي لا نهاية لمجده ولا حد لسموه، إذا فالعقوبة المستحقة عنها هي عقوبة لا نهاية لها. ولذلك لا عجب إذا كان الله قد قال لآدم إنه يوم يأكل من الشجرة التي نهاه عنها " موتا تموت" (تكوين 17:2). ومن مواضع كثيرة في الكتاب المقدس يتضح لنا أنه تعالى قصد بهذا الموت المؤكد، الموت بأنواعه الثلاثة، أي الأدبي والجسدي والأبدي. وقد تحدثنا فيما سلف عن النوعين الأولين من هذا الموت، ومن ثم نحصر الحديث هنا عن الموت الأبدي.

إن الموت الأبدي هو المعبر عنه في الكتاب المقدس بالموت الثاني، أو العذاب الأبدي (رؤيا 14:20)، وهو قصاص لا نهاية لمدته، لأن الخطيئة كما مر بنا هي جريمة ضد الله الذي لا نهاية لمجده. ولا حد لسموه. لذلك قال الوحي عن الأشرار إن نصيبهم هو " البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني" (رؤيا 8:21). وهذه البحيرة هي جهنم التي لا تُطفأ نارها ولا يموت دودها (مرقس 44:9) ـ والنار هنا ليست طبعا نارا مادية ـ لأن المادة (بالمعنى المعروف لدينا) هي من خصائص الأرض وغيرها من الأجرام ـ ومع ذلك فمن المؤكد أن تأثيرها سيكون للأسباب السابق ذكرها، أشد من تأثير النار المادية بنسبة لا حد لها، لأن الفرق بين الإثنين هو في الواقع الفرق بين الحقيقة والصورة الخاصة بها، وهذا الفرق شاسع للغاية. كما أن الدود الوارد ذكره مع جهنم ليس دودا بالمعنى الحرفي، إذ أن المراد به وخزات الضمير وتأنيباته اللاذعة الدائمة.

الطرق البشرية للحصول الى الغفران:

معظم الذين يدركون شناعة خطاياهم يحاولون استرضاء الله بوسائل شتى، حتى (حسب اعتقادهم) يغفرها لهم. وأهم هذه الوسائل هي الصلاة والصوم، والتوبة والصدقة، والاستشفاع بالقديسين والصالحين، ولكي تتضح لنا قيمة هذا الوسائل بصفة عامة من جهة جواز الحصول على الغفران بها نقول: لنفرض أنه عندما حُكم على إنسان بالإعدام لقتله

آخر عمدا (مثلا)، أخذ يستعطف القاضي ويتذلل أمامه، أو امتنع عن الطعام والشراب أمدا طويلا، أو تعهد بكل إخلاص أن لا يرتكب جريمة أخرى، أو وهب كل أمواله للفقراء والمساكين، أو التجأ الى ذوي الشأن لكي يقوموا له بدور الوساطة والشفاعة أو... أو... فهل تعتبر هذه التصرفات أمام نزاهة العدالة المطلقة، أسبابا كافية لتبرئة الإنسان المذكور، أو حيثيات قانونية لإلغاء أو تخفيف حكم الإعدام الصادر ضده؟ طبعا لا، لأن التصرفات المذكورة لا تستطيع أن تعيد الى قوانين الدولة كرامتها بالدرجة التي تصبح معها كأنه لم يُعتدَ عليها، ولا أن تعيد الحياة الى القتيل حتى ينهض من موته ويحيا. ولذلك لا يمكن تبرئة هذا القاتل أو تخفيف الحكم الصادر ضده، بل يجب تطبيقه عليه كما هو، تنفيذا لمطالب العدالة.

وعلى هذا النسق تماما نقول: بما أن الخاطئ لم يُفسد فقط نفسه التي ائتمنه الله عليها، بل تعدى أيضا على شريعته تعالى، إن لم يكن قد أساء كذلك الى بعض الناس. ان صلواته مهما طالت، وأصوامه مهما كثرت، وصدقاته مهما عظمت، وتوبته مهما صدقت، وشفاعة القديسين والصالحين (إن كانت لهم شفاعة)، لا تستطيع أن تفي مطالب قداسة الله وعدالته. لأن هذه الأعمال (أولا) لا تستطيع أن تعيد الى الخاطئ حياة الإستقامة التي كانت لآدم قبل السقوط في الخطيئة، حتى يتيسر له التوافق مع الله في قداسته وغيرها من الصفات الأدبية السامية. (ثانيا) لا تستطيع أن تُعيد الى عدالة الله كرامتها بالدرجة التي تصبح معها كأنه لم يُعتد عليها، حتى تعتبر الأعمال المذكورة تعويضا مناسبا لحقوقها [لأن عدالة الله لا حد لقدرها، بينما الأعمال المذكورة محدودة في قدرها ـ والأمور المحدودة في قدرها لا تفي مطالب أمر لا حد لقدره]. إذا فكل الأعمال الصالحة التي يعملها الخاطئ، وإن كانت لها قيمتها وقدرها من نواح خاصة، غير أنها ليست بكافية لتأهيله للوجود مع الله أو التمتع بصفحه. ولا مجال للإعتراض على ذلك، إذ أن الله بقدر ما هو رحيم رؤوف هو عادل وقدوس، لأنه تعالى كامل كل الكمال من جهة كل صفة من صفاته. ومن ثم لا يمكن أن يغفر إلا إذا وُفيت مطالب عدالته، ولا يقرب أحدا إليه الا إذا كان هذا يستطيع التوافق معه في قداسته، وغيرها من الصفات الأدبية السامية.

التوبة وعلاقتها بالغفران

1 ـ ماهية التوبة: التوبة ليست هي الندم على فعل الخطيئة فحسب، بل وأيضا هي الإنصراف الكلي عنها، وذلك إكراما لله ومحبة فيه. أما الإمتناع عن الخطيئة لمجرد الخوف من نتائجها، أو الإمتناع عنها مع بقاء التفكير فيها واشتهائها، فلا يُعتبر في نظر الله توبة على الإطلاق، بل يُعتبر في الحالة الأولى خدمة للصحة والذات، وفي الحالة الثانية خداعا للنفس وتضليلا لها. ولذلك قال الوحي عن الخطاة إنهم يجب أن يتوبوا عن خطاياهم، وليس هذا فقط بل وأيضا أن يرجعوا الى الله، عاملين أعمالا تليق بالتوبة (أعمال 20:26). كما قال لهم:" توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم. واعملوا لأنفسكم قلبا جديدا وروحا جديدة" (حزقيال 30:18و 31).

2 ـ توبتنا في ضوء الحقيقة: بما أننا مهما تُبنا عن الخطيئة إكراما لله ومحبة فيه، قد نخطيء أحيانا بالقول والفكر، إن لم يكن بالفعل أيضا. وبما أن الخطأ أيا كان نوعه، يحرم النفس من التوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية. إذا فليست هناك في الواقع توبة كاملة لأحد منا أمام الله.

3 ـ أثر التوبة من جهة الغفران والقبول أمام الله: لنفرض أن انسانا اختلس مبلغا من المال من الهيئة التي يعمل فيها. وكانت الضرورة تقضي بسداد هذا المبلغ إليها، وإلا فُصل من عمله وقُدم للمحاكمة. ولكن عوضا عن أن يسعى هذا الإنسان لسداد المبلغ المذكور، أخذ يبكي على جريمته ويعلن توبته عنها، فهل يستطيع بتصرفه هذا أن يمحو ما لحق به من وزر، أو يصبح أهلا للبقاء في عمله! طبعا كلا. وإذا كان الأمر كذلك، ألا يكون بكاؤه وتوبته بدون جدوى، إلا إذا أشفق عليه إنسان كريم، وقام بسداد المبلغ المختلس للهيئة المذكورة نيابة عنه؟!

وعلى هذا النسق نقول: بما أننا بارتكاب الخطيئة نتعدى على حق الله ونفسد أنفسنا أيضا، وبما أن التوبة مهما صدقت لا تعيد الى حق الله قدسيته بالدرجة التي يصبح معها كأنه لم يُعتد عليه (لأن أثر هذه التوبة محدود، وحق الله غير محدود، والشيء المحدود لا يفي مطالب أمر ليس له حدود)، أو تعيد الى نفوسنا حياة الإستقامة التي كانت لآدم قبل السقوط في الخطيئة (لأن التوبة مهما بلغت أسمى درجات الإخلاص والأمانة، لا تجعلنا كاملين في كل ناحية من النواحي)، لذلك لا نستطيع بالتوبة أن ننال غفرانا من الله أو قدرة على التوافق معه والتمتع بحضرته، إلا إذا وفيت أولا مطالب عدالته وقداسته من نحونا بوسيلة إلهية خاصة.

الشفاعة وعلاقتها بالغفران:

1 - عدم قدرة الأنبياء على الشفاعة أمام الله: بما أن هؤلاء الأنبياء وإن كانوا أفضل من غيرهم من الناس، غير أنهم في ذواتهم خطاة مثلهم، إن لم يكن بالفعل، فبالقول والفكر، لذلك فإنهم من تلقاء أنفسهم لا يتوافقون مع الله في صفاته السامية، كما يقعون من جهة استحقاقهم الذاتي تحت طائلة قصاصه الأبدي. ومن ثم لا يستطيعون أن يتشفعوا لأجل خلاص أحد من قصاص خطاياه أو تأهيله للوجود مع الله، لأنهم أنفسهم مفتقرون الى هذا وذاك. والكتاب المقدس بإعلانه أن القديسين خطاة مثل باقي الناس (جامعة 20:7) لا يقصد التشهير بهم، بل يعلن حقيقة أمرهم حتى لا يعتمد عليهم أحد في أمر الخلاص من الخطيئة ونتائجها.

2 - عدم قدرة الملائكة على الشفاعة لدى الله: كما أن الملائكة وإن كانوا في نظرنا كائنات سامية طاهرة، لكنهم ليسوا كذلك في نظر الله الكلي الكمال. فقد قال الوحي إنه تعالى ينسب الى الملائكة حماقة (أيوب 18:4). فإذا أضفنا الى ذلك أن الملائكة كائنات محدودة، والكائنات المحدودة لا تستطيع أن تفي مطالب عدالة الله وقداسته غير المحدودة، أدركنا أن شفاعة الملائكة (إن كانت لهم شفاعة) لا تجلب لنا الغفران أو تقربنا الى الله، لأنه لا سبيل الى ذلك إلا بعد إيفاء مطالب عدالته وقداسته كما ذكرنا مرارا وتكرارا.

يقول قائل [إذا كانت شفاعة القديسين لا تُجدي، فلماذا أراد الله أن يعفو مرة عن الأشرار الذين كانوا في سدوم وعمورة، لو كان بينهم عشرة أبرار (تكوين 32:18)؟]
وللرد نقول: لا يُراد بالأبرار هنا، أشخاص خالون من الخطيئة، بل أشخاص كانوا يخافون الله ويحاولون جهد الطاقة أن يعملوا بوصاياه، كما كانوا يقدمون له الذبائح الكفارية عن الخطايا التي يأتونها، كما سبقت الإشارة، وكما سيتضح بالتفصيل فيما سيلي.
لا شك أن للقديسين مقاما خاصا لدى الله كما ذكرنا، لكن لا شك أيضا أن هذا المقام لا يطغى على مطالب عدالته وقداسته. لذلك إذا أمعنا النظر في حادثة سدوم وعمورة نرى أن وجود بعض الأبرار فيها، لم يكن لرفع القصاص الأبدي عن الأشرار الذين كانوا معهم، أو ليمنحهم طبيعة روحية تهيئهم للتوافق مع الله في قداسته وصفاته الأدبية السامية الى الأبد، بل كان ليرفع عنهم فقط قصاصا وقتيا دنيويا.

ومع كل فمن مواضع أخرى في الكتاب المقدس، يتضح لنا أن وجود الأبرار في العالم لا يحمي الأشرار من مثل هذا القصاص، إذا كان مكيال شرهم قد طفح أمام الله. فقال:" إن أخطأت اليّ أرض وخانت خيانة، فمددت يدي عليها وكسرت لها قوام الخبز وأرسلت عليها الجوع، وقطعت منها الإنسان والحيوان، وكان فيها هؤلاء الرجال الثلاثة نوح ودانيال وأيوب، فإنهم إنما يخلصون أنفسهم (فحسب) ببرهم " (حزقيال 13:14- 14).

وهكذا الحال من جهة الأبدية، فإنه ليس هناك قديس مهما كان شأنه، يستطيع أن ينقل، على أساس مكانته السامية لدى الله، خاطئا من الهاوية الى الفردوس. وكفى على ذلك دليلا أن الرجل الغني الذي عاش على الأرض بعيدا عن الله، لما نادى وهو في الهاوية إبراهيم أبا المؤمنين قائلا له:" يا أبي إبراهيم ارحمني. وارسل لعازر ليبل طرف اصبعه بماء ويبرد لساني لأني معذب في هذا اللهيب. فقال إبرهيم: يا ابني اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك، وكذلك لعازر البلايا، والآن هو يتعزى وأنت تتعذب. وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت، حتى أن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون، ولا الذين من هناك يجتازون إلينا ..." (لوقا 24:16- 26).

التجسد الإلهي

الحاجة الى ظهور الله للبشر

بما أن آدم، بسقوطه في الخطيئة، فقد حياة الإستقامة التي كان قد خُلق عليها أولا، وفقد تبعا لذلك امتياز الإتصال الروحي بالله ومعرفة ذاته ومقاصده معرفة صحيحة (لأنه ليست هناك علاقة بين الخطيئة والبر، أو الظلمة والنور)، وبما أننا بوصفنا نسل آدم، قد ورثنا بحكم قانون الوراثة، طبيعته الخطائة، وعجزنا مثله عن الإتصال بالله، ومعرفة ذاته ومقاصده بهذه المعرفة، وبما أن الله وإن كان لقداسته يكره الخطيئة، لكن لمحبته يعطف علينا ويهتم بنا (أنه سبق وخلقنا على صورته كشبهه) فقد قال قبل أن يخلق الإنسان: " نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تكوين 26:1). كان من البديهي ألا يتركنا وشأننا بعد سقوطنا، بل أن يتولى هدايتنا وإرشادنا الى الحالة السامية التي كان قد خلقنا عليها أولا. وبما أننا لا نستطيع أن نفيد من هدايته وإرشاده، طالما كان في معزل عنا، فقد كان من البديهي أيضا أن يتفضل ويظهر لنا، بأي وجه من الوجوه التي تتفق مع جوده وصلاحه.

ان من شأن المحب أن يُفسح المجال أمام من يحبهم، ليقتربون منه ويتوافقوا معه. وإذا كان الأمر كذلك، كان من البديهي أن يظهر لهم في هيئة واضحة يمكنهم إدراكها، وعن طريقها يمكنهم الإتصال به والتوافق معه. وبما أننا لا نستطيع أن نتصل أو نتوافق إلا مع إنسان نظيرنا، لأننا لم نألف العيش إلا معه، ولا نفهم إلا لغته، كان من البديهي أن يتنازل الله ويظهر لنا، أو لأكثر الناس استعدادا منا للإتصال به، في هيئة إنسانية أو قريبة من الإنسانية. لذلك لا غرابة إذا طالعنا الكتاب المقدس في مواضع كثيرة منه، بأنه كان يظهر أيضا للأنبياء والقديسين، تارة في هيئة ملاك، وأخرى في هيئة إنسان.

كيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت

اتحاد اللاهوت بالناسوت أمر يفوق العقل والإدراك، ونحن نؤمن بأن الكتاب المقدس أعلن بآيات واضحة أن الله ظهر في الجسد. وهذه الآيات فضلا عن كونها صادقة كل الصدق، فإن ظهور الله في الجسد، يتوافق مع ذات الله وصفاته كل التوافق، كما يتناسب مع حاجتنا نحن البشر كل التناسب. لكن لمجرد تقريب حقيقة إتحاد اللاهوت بالناسوت الى عقول الذين يميلون الى التشبيه بالمحسوسات، نأتي فيما يلي بما نعلمه عن كيفية إتحاد روح الإنسان بجسده، ثم نذكر بالمقابلة مع ذلك، الكيفية التي يمكن أن يكون قد تم بها اتحاد اللاهوت بالناسوت، ولذلك نقول:

1 - روح الإنسان، مع أنها مختلفة عن جسده اختلافا كليا من جهة الجوهر والصفات والخصائص، ليست منفصلة عنه بل متحدة به.

2 - هذه الروح مع اتحادها بالجسد، يحتفظ كل منهما بخصائصه الطبيعية، فالروح هي الروح بكل خصائصها الروحية، والجسد هو الجسد بكل خصائصه الجسدية.

3 - مع احتفاظ كل منهما بخصائصه الطبيعية، تتكون من اتحادهما معا ذات واحدة هي الإنسان.

4 - الإنسان وإن كان ذاتا واحدة، له صفات وخصائص عنصرين مختلفين هما الروح والجسد.

وعلى ضوء هذه الحقائق نقول، إن اتحاد اللاهوت بالناسوت، كما تستطيع عقولنا أن تستنتج من الكتاب المقدس، يمكن أن يكون قد تم على النحو الآتي:

1 - اتخذ " الإبن" لنفسه ناسوتا خاليا من الخطيئة خلوا تاما، لكن باتخاذه إياه:

(أ) لم يتقيد به كما تتقيد الروح البشرية بالجسد الخاص بها، بل ظل كما هو المنزه عن المكان والزمان، لأن " الإبن"

بصفته الأقنومية غير محدود، والنفس البشرية محدودة. وقد أظهر السيد المسيح بيان هذه الحقيقة، فأعلن أثناء وجوده بالجسد على الأرض أنه كان في نفس الوقت موجودا (بلاهوته) في السماء، فقد قال لنيقوديموس أحد أئمة اليهود " ليس أحد صعد الى السماء، إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء" (يوحنا 13:3). أي أنه أثناء وجوده بالجسد على الأرض، كان في نفس هذا الوقت في السماء، وفي كل مكان أيضا تبعا لذلك. وهذا دليل على عدم تحيزه

بحيز، ودليل أيضا على وحدته الكاملة مع الأقنومين الآخرين .

(ب) لم ينفصل عن هذا الناسوت، كما تنفصل الروح البشرية عن الجسد المتحدة به وقتا ما، بل ظل متحدا به او بتعبير آخر واحدا معه.ولذلك فان اتحاد " الإبن" بالناسوت، أو بتعبير آخر اتحاد اللاهوت بالناسوت، ليس مثل اتحاد الروح بالجسد، قابلا للتفكك والإنفصال، بل هو اتحاد كامل دائم، لا أثر للتفكك أو الإنفصال فيه على الإطلاق.

2 ـ إنه مع اتحاد اللاهوت بالناسوت، قد احتفظ كل منهما بخصائصه، فلم يتحول اللاهوت الى ناسوت، ولم يتحول الناسوت الى لاهوت، ولم يتكون من اتحادهما معا كائن جديد تختلف خصائصه عن خصائص اللاهوت أو الناسوت، إذ أن اتحاد اللاهوت بالناسوت ليس هو امتزاج أحدهما بالآخر، بل هو وجودهما معا في ذات واحدة بوحدة كاملة، دون اختلاط أو امتزاج أو تغيير، وذلك بعمل إلهي يفوق العقل والإدراك. ولذلك ظل اللاهوت هو اللاهوت بكل خصائصه، وظل الناسوت هو الناسوت بكل خصائصه، دون أن يطرأ عليهما أو على أحدهما تغيير ما. ولذلك فإن اتحادهما معا يختلف من هذه الناحية أيضا عن اتحاد الروح بالجسد اختلافا تاما. لأن حالة الروح تؤثر على الجسد، وحالة الجسد تؤثر على الروح، فإذا ابتهجت الروح بأي خبر من الأخبار السارة شعر الجسد بالإنتعاش والنشاط، وإذا أصابت الجسد علة من العلل، شعرت الروح بالخمول والإكتئاب.

3 ـ إن الناسوت وإن كان يختلف عن اللآهوت اختلافا جوهريا، إلا أنه لاتحادهما معا في المسيح اتحادا كاملا، كان له المجد ذاتا واحدة لا اثنتين: فهو ابن الله، وهو بعينه أيضا ابن الإنسان.

4 ـ إن السيد المسيح، وإن كان واحدا، إلا أنه لقيامه باللاهوت والناسوت معا، كانت له صفات وخصائص كل منهما. فكانت له صفات وخصائص اللاهوت، كما كانت له أيضا صفات وخصائص الناسوت، وطبعا الناسوت الخالي من الخطيئة. فمن جهة اللاهوت، كان هو الله بجوهره غير المدرك، الذي لا يتحيز بحيز، ولا يتأثر بعرض، والمستغني بذاته عن كل شيء في الوجود.. ومن جهة الناسوت كان هو الإنسان ذا الجسد المادي، الذي لا يوجد إلا في مكان واحد في وقت واحد، والذي يحتاج الى ما يحتاج إليه الإنسان، من طعام وشراب. (هذا مع العلم أن احتياج المسيح الى الطعام والشراب كان اختياريا، لأنه كان قد اتخذ الناسوت بمحض اختياره).

مما تقدم يتضح لنا أن اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح، لم يترتب عليه تأثر اللاهوت بأي مؤثر، وفي الوقت نفسه هو اتحاد حقيقي كامل دائم. ولذلك عندما كان المسيح في بطن العذراء، وعندما كان عائشا على الأرض، وعندما كان مدفونا في القبر، كان لاهوته واحدا مع ناسوته بوحدة إلهية تفوق العقل والإدراك، لا بل وهو في مجده الآن، لا يزال لاهوته واحدا مع ناسوته، بمثل هذه الوحدة العجيبة.

هذا والذي فارق جسد المسيح عندما مات على الصليب، لم يكن لاهوته بل روحه الإنسانية، التى كانت عنصرا من عناصر ناسوته. أما لاهوته فقد ظل متحدا بجسده الممات كما بروحه المستودعة منه للآب (لوقا 46:23)، لأن اللاهوت يتحيز بحيز ولا يتأثر بعرض، فوجوده في مكان لا يمنع وجوده في كل مكان آخر، في نفس الوقت.

والإنسان وإن انتقل الى عالم الروح، لا يستطيع من تلقاء ذاته أن يدرك الله إدراكا صحيحا، لأن الإنسان سواء أكان في عالم المادة أم في عالم الروح، هو كائن محدود، والمحدود لا يستطيع أن يدرك شيئا عن غير المحدود. وإذا كان الأمر كذلك، فإن الإنسان إن لم يدرك الله (في العالم الحاضر والأبدية معا) في " الإبن المتأنس"، فلا يستطيع إدراكه على الإطلاق ـ هذا مع العلم بأن ناسوت المسيح، وهو في المجد الآن، ليس هو الناسوت المادي، بل الناسوت الروحي، الذي لا يحتاج الى طعام أو شراب، أو غير ذلك من الحاجيات (لأنه لا يوجد في السماء مجال يدعو الى الأكل والشرب، أو الى ممارسة أي عمل من الأعمال الجسدية)، وهكذا ستكون أجساد القديسين، عند قيامتهم من بين الأموات، أجسادا روحية لا تأكل ولا تشرب، ولا تتزوج ولا تلهو (1كورنثوس 42:15- 58).

وقد أطلق علماء المسيحيين على اتحاد اللاهوت بالناسوت، اسم " التجسد"، فالتجسد إذن ليس هو تحول اللاهوت الى

ناسوت، أو تحيزه بحيز، أو تعرضه لأي تطور أو تغير، بل هو فقط وجوده مع الناسوت الذي اتخذه، في وحدة حقيقية، بعمل إلهي يفوق كل العقل والإدراك. ووجود مثل هذا لا يتعارض مع ذات الله أو صفاته، بل بالعكس يتوافق كل التوافق.

الفداء أو الطريق الإلهي للغفران

ضرورة الفداء أو التعويض

اتضح لنا مما سلف أنه لا سبيل للحصول على الغفران أو التمتع بالله، إلا إذا تم أولا إيفاء مطالب عدالته وقداسته بوسيلة ما. لكن الذين لا يدركون هذه الحقيقة، أو يدركونها لكن يتغاضون عنها لعدم معرفتهم بكيفية إتمامها، يريحون ضمائرهم من جهة الغفران والتمتع بالله، بترك الأمر الى رحمته. ونحن وإن كنا نعتز برحمة الله كل الإعتزاز، ونؤمن أنه لا حد لها على الإطلاق، وأنها وحدها هي الكفيلة بالإتيان إلينا بالصفح والغفران، لكن لكي لا يكون الإعتماد عليها مؤسسا على مجرد الأمل أو العشم، بل على الحق والواقع نقول:

لنفرض أن قضية رُفعت الى قاض مشهور بالرحمة والرأفة، لكنه بالإضافة الى ذلك يقدس العدل ولا يفرط في حق، فهل يجوز للمذنب أن يُطمئن نفسه بأن هذا القاضي سوف يبرئ ساحته لأن قلبه الرحيم الرؤوف لا يرضى بتوقيع العقوبة القانونية عليه؟ (الجواب) طبعا لا. وعلى هذا النسق تمام نقول: بما أن الله كما أنه رحيم رؤوف هو عادل وقدوس أيضا، إذا لا يجوز أن نطمئن نفوسنا بما هو عليه من رحمة ورأفة، قبل أن نعرف الوسيلة التي تؤهلنا للتمتع بها دون الإجحاف بمطالب عدالته وقداسته، فما هي الوسيلة يا ترى؟

الجواب: بما أننا لا نستطيع بالصلاة والصوم والتوبة والأعمال الصالحة أن نفي مطالب عدالة الله وقداسته التي لا حد لها. ومن ناحية أخرى بما أن عدالة الله وقداسته لا تقلان في شيء عن رحمته ومحبته، وذلك لكماله المطلق وتوافق كل صفاته معا كما ذكرنا.إذا إن كان هناك مجال للتمتع بالغفران والقبول أمام الله (ومن المؤكد أن يكون هناك مجال للتمتع بهما، لأن صفتي الرحمة والمحبة في الله لا يمكن أن تكونا بلا عمل)، لا بد من الفداء أو التعويض، أو بالحري لا بد من إيفاء مطالب عدالة الله وقداسته بواسطة كائن عوضا عنا ــ وإيفاء هذه المطالب يستلزم طبعا من هذا الكائن أن يقبل على نفسه القصاص الذي نستحقه بسبب خطايانا **تنفيذا لمطالب عدالة الله**، وأن يهبنا أيضا طبيعة روحية تجعلنا أهلا للتوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية تنفيذا لمطالب قداسته.

أما الفداء في اللغة العبرية فهو الترضية وإزالة الأحقاد بعد دفع التعويض. وفي اللغة العربية هو الإنقاذ وليس بدون مقابل، بل بعد تقديم التضحية اللازمة، وقد تكون هذه التضحية مالا أو غير مال، فقد جاء في القاموس المحيط " فداه" أي دفع شيئا فأنقذه، ومن ثم يكون قد اشتراه ثانية. أما في اللغات الأوروبية فيُراد بالفداء أربعة أمور: (الأول) استرداد الشرف المُعتدى عليه (الثاني) إطلاق سراح الأسير (الثالث) استعادة الشيء المرهون (الرابع) إنقاذ شخص من أزمة أو موت ــ وكل ذلك بواسطة تضحية أو مجهود ما.

أما الإعتراضات التي توجه ضد هذه الحقيقة، ففيما يلي بيانها والرد عليها:

1 - [إن القاضي الوارد ذكره في المثل السابق، مقيد بقوانين يجب عليه تطبيقها، فضلا عن ذلك له رؤساء يراقبون كل أحكامه. لكن الله لا يتقيد بقوانين ولا يراقب عمله رؤساء، لذلك له أن يصفح عنا ويقربنا إليه بدافع من رحمته وحدها].

الرد: إن الله وإن كان لا يتقيد بقوانين ولا يراقب عمله رؤساء، لكن له كماله الذاتي الذي ينزهه عن القيام بأي عمل لا يتفق مع عدالته وقداسته. حقا إن الله يستطيع أن يعمل كل شيء، لكن استطاعته هذه لا تتعدى خواصه الذاتيه، لأنه لكماله لا يستطيع (مع قدرته التي لا حد لها) أن يعمل عملا يتعارض مع هذه الخواص. فهو (مثلا) لا يستطيع أن يكون كاذبا أو ماكرا، لأن الصدق والإستقامة صفتان ثابتتان فيه. وكذلك لا يستطيع أن يكون متساهلا أو متهاونا مع الشر، لأن العدالة والأمانة صفتان ثابتتان أيضا فيه. وإذا كان الأمر كذلك، لا بد من إيفاء مطالب عدالة الله وقداسته بواسطة كائن عوضا عنا يكون قادرا على القيام بهذه المهمة (أي يكون قادرا على أن يُعيد الى حق الله قدسيته بالدرجة التي يكون معها كأنه لم يُعتد عليه، وأن يعطينا حياة روحية تسمو بنا الى حالة التوافق مع الله في صفاته الأربع السامية)، طالما نحن غير قادرين على القيام بهذين العملين، وإلا فلا غفران لنا.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الإنسان (مثلا) يستطيع ألا يكذب، أما الله فلا يستطيع أن يكذب. فالعبارة الأولى تدل على

القدرة على عدم الكذب، أما الثانية فتدل على استحالة الإلتجاء الى الكذب، وبالحري تدل على التنزُّه المطلق على الكذب، وهذا ما يليق بالله دون سواه.

2 - هل من العدالة أن يقوم كائن بريء بالتعويض عن خطايا أحد المذنبين؟.

الرد: فضلا عن أن البريء هو الذي يحق له قانونا التعويض عن المذنبين، لأن هؤلاء لا يستطيعون التعويض عن مذنبين نظيرهم، إذ أنهم في ذواتهم يحتاجون الى من يقوم بالتعويض لهم عن ذنوبهم، نقول:

إن مبدأ النيابة مبدأ سليم تشهد العدالة بقانونيته، طالما كان النائب قادرا وموافقا على القيام بمطالب النيابة. لذلك نرى الشخص الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه في قضية ما، ينتخب نائبا قانونيا للدفاع عنه، ولا تمانع المحكمة في هذا التصرف بل تلتزم به.

والمدين الذي يعجز عن سداد دينه يقوم النائب أو الضامن بسداده نيابة عنه، وبذلك يخلص المدين من دينه وما يترتب عليه من مسئولية أمام العدالة. والأب الفاضل يتحمل في نفسه نتائج أخطاء أبنائه عوضا عنهم. والجندي الباسل يبذل نفسه فدية عن أهله ووطنه ـ وليس من يعترض على واحد من هؤلاء، بل اننا جميعا نبجلهم ونشيد بأعمالهم.

3 - أليس عجزنا جميعا عن إيفاء مطالب عدالة الله وقداسته مبررا كافيا يدعوه للعفو عنا وتقريبنا إليه، دون أن يلزمنا بالبحث عن كائن يفي هذه المطالب عوضا عنا، لا سيما إذا كان من المتعذر علينا العثور عليه؟.

الرد: إذا عفا الله عنا وقربنا إليه لمجرد عجزنا عن إيفاء مطالب عدالته وقداسته، يكون قد تنازل عن المطالب المذكورة مضطرا. وبما انه حاشا لله أن يُرغَم على القيام بعمل يتعارض مع عدالته أو قداسته، لذلك لا مفر من إيفاء مطالب عدالة الله وقداسته بواسطتنا أو بواسطة كائن آخر عوضا عنا، وإلا فلا خلاص لنا على الإطلاق، كما ذكرنا فيما سلف.

4 - إننا كثيرا ما نصفح عن المسيئين إلينا دون أن نلزمهم بتعويض ما، فهل يكون الله أقل عطفا أو شفقة منا؟.

الرد: (أ) لا تجوز المقارنة بين معاملة الله معنا وبين معاملة بعضنا للبعض الآخر، لأننا تارة نصفح تحت تأثرنا بعواطفنا البشرية دون أن يكون هناك مبرر كاف للصفح، وتارة نعاقب تحت تأثرنا بمصالحنا الشخصية دون أن يكون هناك مبرر كاف للعقوبة. فضلا عن ذلك فإننا كثيرا ما نصفح عن المسيئين إلينا بسبب نسياننا لإساءتهم أو لهبوط درجة تأثرنا بها، أو بسبب شعورنا بنقائصنا ورغبتنا الباطنية في أن يصفح الناس عنا عندما نخطيء نحن إليهم. أما الله ففضلا عن أنه لا ينسى شيئا من الأشياء ولا يتغير بأي حال من الأحوال، فإنه بسبب كماله المطلق من جهة، وتوافق كل صفاته معا من جهة أخرى، لا يمكن أن يكون متساهلا بمراعاة الرحمة دون العدالة في حالة الصفح. أو قاسيا بالتمسك بالعدالة دون الرحمة في حالة العقوبة، بل يصفح إذا كان الصفح لا يتعارض مع مطالب عدالته، ويعاقب إذا كان العقاب لا يتجاوز عن مطالب رحمته. لأنه ليس رحيما في وقت وعادلا في وقت آخر، بل إنه رحيم وعادل معا في كل وقت من الأوقات. وإذا كان الأمر كذلك، فلا سبيل الى الغفران إلا إذا وفيت مطالب عدالته، ولا سبيل الى التمتع بالوجود معه إلا إذا تحققت مطالب قداسته، إما بواسطتنا أو بواسطة كائن آخر عوضا عنه.

(ب) كما أننا إذا وضعنا أمامنا أن الناموس الأدبي الذي وضعه الله لنا، يتوافق مع صفاته كل التوافق، وأن هذا الناموس نفسه هو الذي يربط الخطيئة بعقوبتها، أدركنا (أولا) أنه لا يمكن الفصل بين هذه وتلك، إذ أن هذا الفصل يكون بمثابة قطع العلاقة بين الله وبين ناموسه الأدبي الذي يتوافق مع صفاته ـ وهذا ما لا يمكن حدوثه، إذ يترتب عليه أن يكون الله قد نهى عن السرقة والزنا (مثلا) وفي الوقت نفسه سمح للصوص والزناة بالتمتع به في سمائه، مناقضا نفسه بنفسه. (ثانيا) إن تجاوز الله عن خطايانا يكون موافقة منه عليها، أو تنحيا منه عن المحافظة على الناموس الأدبي الذي وضعه، وهذا الأمر وذاك باطلان. وإذا كان الأمر كذلك، فطبعا لا سبيل الى الغفران، إلا بعد الفداء أو التعويض كما ذكرنا.

5 - إن الملوك يصفحون عن بعض المذنبين المحكوم عليه بالإعدام بواسطة أمر ملكي يصدرونه، فكيف لا يستطيع الله الصفح عن الخطاة على هذا النحو؟

الرد: إن الملوك الذين يقومون بهذا العمل، لا يكونون متأثرين شخصيا بجرائم هؤلاء الأشخاص، أو بالعدالة المطلقة في بلادهم، أو بقوانين الأخلاق العامة فيها، أو يكونون مضطرين للقيام به لوجود علاقة تربطهم بالأشخاص المذكورين، أو لإجتذاب فريق من الناس الى جانبهم، أو لتجنيب بلادهم انقلابا أو ثورة داخلية. لكن الله يتأثر مع روحانيته المطلقة بالخطايا التي نأتيها (كما ذكرنا فيما سلف)، كما أن العدالة لديه ليست مجرد قانون مكتوب أو غير مكتوب، بل إنها صفة ثابتة فيه يجب إيفاء مطالبها مهما كانت الظروف والأحوال. فضلا عن ذلك ليس هناك من يرغمه على القيام بعمل،

مجاملة لبعض الناس أو خوفا منهم، ومن ثم لا يمكن أن يصفح إلا إذا كان الصفح قانونيا، أو بالحري متوافقا مع عدالته المطلقة كل التوافق.
أخيرا نقول إن الذين يريدون أن يصفح الله عنهم بكلمة، ينظرون الى الخطيئة نظرة سطحية. لكن الحقيقة غير ذلك، لأن الخطيئة ليست مثل القذارة التي يمكن إزالتها بالماء أو بغيره، بل إنها بالإضافة الى كونها أكبر إهانة لجلال الله (كما ذكرنا فيما سلف)، هي شر ينبع من طبيعة فاسدة كل الفساد. لذلك لا مفر من التسليم بأنه لا يمكن الصفح عن الخطاة أو تقريبهم الى الله، إلا إذا وُفيت أولا مطالب عدالته وقداسته معا بوسيلة ما.

6 - إن الكمال المطلق الذي يتصف الله به، يجعله لا يتقيد بأي قيد، ومن ثم تكون له الحرية المطلقة في الصفح عن الخطاة دون أن يُلزمهم بتعويض له.

الرد: إن الحرية المطلقة في نظر الله ليست هي الحرية المطلقة في نظر الناس، فهؤلاء ينظرون الى الحرية المطلقة كأنها المجال الذي يفعلون فيه ما يريدون، بغض النظر عن الكمال وقوانينه الثابته، لذلك فإن الحرية المطلقة في نظرهم هي الإباحية بأوسع معانيها. أما الحرية المطلقة في نظر الله، فهي المجال الذي يفعل فيه كل ما يريد في حدود كماله الذاتي. لذلك فكما أنه لا يمكن أن يرفض شخصا متوافقا معه في صفاته الأدبية، لا يمكن أيضا أن يقبل في حضرته شخصا غير متوافق معه فيها ــ فقد قال الوحي إن إدانة البريء وتبرئة المذنب كلاهما مكرهة عند الرب (أمثال 15:17).

إننا بذلك لا نقسو على أنفسنا أو نقيم العراقيل أمامها من جهة الحصول على الغفران، بل نبحث السبيل إليه من الناحية التي تتناسب مع موقف عدالة الله وقداسته إزاء الخطيئة وشناعتها، حتى لا تكون نظرتنا الى الغفران مؤسسة على تصوراتنا الشخصية بل على الحقائق الإلهية. لأننا لا نحصل عليه بمجهودنا الذاتي، بل الله هو الذي يمنحه لنا، وذلك بناء على نواميسه الخاصة. وهذه النواميس ثابتة راسخة، لا تتغير ولا تتبدل على الإطلاق.

نشأة الفداء

ذكرنا فيما سبق أن آدم عندما أكل من الشجرة المنهي عنها ومات موتا أدبيا، لم ينفذ الله فيه وقتئذ حكم الموت الجسدي، الذي أنذره به في حالة العصيان، بل أنقذه من هذا الموت، وأنقذه أيضا من الموت الأبدي والعقاب الأبدي الذي كان سيتعرض له في العالم الآخر، وذلك بتوقيع الموت على حيوان عوضا عنه. وإن كانت هذه الذبيحة الحيوانية في حد ذاتها غير كافية للفداء، لكن لأنها كانت رمزا الى ذبيحة عُظمى في نظر الله، لذلك اكتسبت وقتئذ شرعا قوة الفداء ــ ولبيان هذا نقول:

سجل الوحي أن الله بعدما اقتاد آدم وحواء للإعتراف بعصيانهما والندم عليه، **صنع** لهما أقمصة من جلد وألبسهما (تكوين 21:3). وبما أن الوحي لا يستعمل كلمة إلا في معناها الصحيح، لذلك وجب علينا تصديق أن الله **لم يخلق** هذه الأقمصة من العدم بل **صنعها**. ولما كانت صناعتها تستلزم وجود جلد وقتئذ لكي تُصنع منه. والله لم يخلق جلدا بمفرده، بل خلق حيوانات يكسوها الجلد، إذا فمن المؤكد أنه بوسيلة ما تم ذبح حيوانين، ومن جلدهما صُنعت الأقمصة.

لكن إذا تأملنا الظروف المحيطة بهذا الموضوع، يتضح لنا أن الغرض من ذبح الحيوانين المذكورين لم يكن مجرد الحصول على الجلد بل التكفير بهما (أو بالحري التعويض بهما) عن آدم وزوجته، وذلك للأسباب الآتية:

1) إن الله الذي خلق العالمين بكلمة، لم يكن من العسير عليه أن يخلق أقمصة من الجلد بكلمة أيضا، وذلك بدلا من ذبح حيوانين لإستخدام جلدهما في صنع الأقمصة المذكورة.

2) إن آدم وحواء لم يستثمرا لحم هذين الحيوانين في شيء ما، لأنهما (أي آدم وحواء) كانا يأكلان النباتات فحسب، ومن ثم لم يكن هناك مبرر لذبح الحيوانين المذكورين، لولا أن الله قصد بهما كفارة أول فدية عن آدم وامرأته، كما ذكرنا. أما أول من أكل اللحم فهو نوح وأولاده (تكوين 3:9)، أما من سبقوهم من البشر فكانوا يأكلون النباتات فحسب. وعلماء التاريخ الطبيعي يؤكدون هذه الحقيقة، فهم يقولون إن الإنسان لم يعرف أكل اللحوم إلا بعد فترة طويلة من وجوده على الأرض.

3) إن هابيل بن آدم قدم عن نفسه (كما سنرى فيما بعد) ذبيحة حيوانية لله، وطبعا ما كان من الممكن أن يعرف كيفية

تقديمها أو ضرورة تقديمها من تلقاء ذاته (لأنه لم يكن يأكل لحما حتى يعرف كيفية ذبح الحيوان، أو يدرك استحقاقه للموت بسبب أي خطيئة يأتيها، حتى يقدم هذا الحيوان كفارة عن نفسه)، بل لا بد أنه عرف هذين الأمرين من أبيه. وطبعا ما كان أبوه ليعرفهما، لولا أنه أدرك أن الله قصد بذبح الحيوانين (اللذين لم ينتفع هو بشيء منهما سوى الجلد)، أن يكونا كفارة عنه وعن امرأته.

مما تقدم يتضح لنا: (أولا) أن الموت الذي يجب أن يحل بآدم وحواء بسبب عصيانهما، رتب الله أن يحل بحيوانين بريئين عوضا عنهما رحمة بآدم وحواء من جهة، وإيفاءً لمطالب عدالة الله على النحو الذي ارتضاه من جهة أخرى. (ثانيا) إن

الله ستر عري آدم وحواء الذي ترتب على عصيانهما، أو بالحري غطى نتائج خطيتهما، بجلد هذين الحيوانين ــ ولذلك يكون الله قد جعل الفداء أساس الخلاص من قصاص الخطيئة ونتائجها السيئة، التي يشار إليها بالعري وقتئذ.

الفداء في عصر الآباء

عصر الآباء هو العصر الذي عاش فيه المؤمنون بالله قبل نزول أي شريعة من لدنه، ومن ثم كانوا يتقربون إليه ويتعبدون له على أساس الذبيحة التي سلم مبدأها لآدم، عندما سمح بذبحها نيابة عن نفسه، كما يتضح مما يلي:

1 ـ إن هابيل (كما ذكرنا فيما سلف) قدم ذبيحة لله، ويسجل الوحي أنه قدمها من أبكار غنمه ومن سِمانها (تكوين 4:4)، وأنه قدمها بإيمان أن الله يرضى عنه على أساسه، وأنه لإيمانه هذا شهد الله عنه أنه بار (عبرانيين 4:11). وهذه أول مرة يُوصف فيها إنسان بأنه " بار" في الكتاب المقدس. ومن مواضع كثيرة منه يتضح لنا أن البار لدى الله، ليس هو الإنسان الخالي من الخطيئة (لأنه ليس هناك مثل هذا الإنسان)، بل هو الإنسان الذي يدرك استحقاقه للقصاص الأبدي بسبب خطاياه. وبالإضافة الى توبته عنها، يعتمد في أمر القبول أمام الله على كفارة يرتضيها بناء على وصاياه في العصر الذي تقدم فيها، وذلك لإيفاء مطالب عدالته على النحو الذي يقبله.

2 ـ ونوح بعد خروجه من الفلك بنى مذبحا للرب، وأخذ من كل البهائم الطاهرة والطيور الطاهرة، وأصعد محرقات على المذبح، فتنسم الله رائحة الرضا (تكوين 21:8). ومن هذه الآية يتضح لنا أن نوحا وإن كان أفضل من معاصريه الذين أهلكهم الطوفان، غير أنه أدرك ببصيرته الروحية أنه على أي حال خاطيء ومستحق للهلاك مثلهم (لأن الخطيئة لا تكون بالفعل فقط، بل وبالقول والفكر أيضا كما ذكرنا)، وإن إنقاذ الله إياه من هذا الهلاك، إنما يرجع الى رحمته. ومن ثم قدم الذبائح من البهائم الطاهرة والطيور الطاهرة عالما بالإيمان أنها وحدها هي التي يليق تقديمها كفارة لله.

3 ـ وإبراهيم أبو المؤمنين، عندما ظهر له الله بالقرب من شكيم، بنى مذبحا له هناك. ولما حل بعد ذلك شرقي بيت إيل، بنى مذبحا آخر له (تكوين 6:12- 8)، وعندما نقل خيمته الى بلوطات ممرا، بنى هناك مذبحا ثالثا (تكوين 18:13) ــ وبناء هذه المذابح دليل على أن إبراهيم كان يقدم عن نفسه ذبائح لله، ودليل أيضا عل أنه كان يعبد الله، ويكرس حياته له. فضلا عن ذلك فإن الله عندما طلب منه أن يقدم ابنه ذبيحة، لم يتردد لحظة واحدة. لكن نظرا لأن هذا الطلب كان مجرد امتحان، أراه الله كبشا. فقدمه إبراهيم ذبيحة عوضا عن ابنه، أو فدية عنه (تكوين 13:22).

4 ـ واسحق، عندما ظهر له الرب ووعده بمباركة نسله، بنى مذبحا ودعا باسم الرب (تكوين 25:26)، معلنا بذلك أنه للرب، وأنه يذبح له دون سواه، كما كان يفعل إبراهيم أبوه.

5 ـ ويعقوب، لما أتى سالما الى مدينة شكيم، أقام مذبحا ودعاه (وبالحري دعا عليه اسم) " إيل، إله إسرائيل" (تكوين 20:33) [" إيل" كلمة عبرية معناها " الله"، وفي اللغة العربية أيضا يسمى الله " الإل" (مختار الصحاح ص 22)، ويرجع السبب في هذا التشابه الى أن أصل اللغتين العربية والعبرية (والسريانية والأرامية أيضا) واحد. أما الإسم

" إسرائيل" فهو الإسم الذي أطلقه الله على يعقوب، عندما أظهر استماتته في التمسك بالله، ومعناه " المجاهد مع الله"]. وبناء على عهد سابق منه، أمره الله بعد مدة، أن يصعد الى " بيت إيل" وبنى هناك مذبحا، فصعد وبنى المذبح كما أمره الله. ودعا المكان " إيل بيت إيل"، لأن هناك ظهر له الله (تكوين 1:35- 8). وقبل نزوله الى مصر لكي يرى ابنه يوسف، ذبح ذبائح لله (تكوين 1:46). فظهر له الله ووعده بأنه سيرافقه في طريقه إليها.

6 ـ وأيوب، كان من عادته أن يُصعد ذبائح بعدد أبنائه لله، ليفديهم بها من قصاص ما يمكن أن يكون قد صدر منهم من خطأ في تصرفاتهم (أيوب 5:1)، حتى لا يقع هذا القصاص عليهم.

مما تقدم يتضح لنا أن المبدأ الذي على أساسه كان الله يظهر الرحمة للبشر (حتى الذين اصطفاهم من بينهم) هو اعترافهم بأنهم خطاة وأنهم يستحقون القصاص الأبدي بسبب خطاياهم، ثم تقديمهم بعد ذلك الذبائح عوضا عن نفوسهم.

الفداء في اليهودية

يشمل هذا الفداء الذبائح التي كان يقدمها بنو إسرائيل، وفق الشرائع التي أعلنها الله لموسى النبي، وكانت هذه الذبائح تنقسم الى قسمين رئيسيين:

(القسم الأول) الذبائح العامة: وهي الذبائح القومية التي كانت تقدم لله في كل يوم، وفي كل موسم من المواسم الدينية، وأهمها:

1) الذبيحة اليومية: وكانت تتكون من خروفين حوليين صحيحين: الخروف الأول يعمل صباحا والخروف الثاني بين العشاءين (العدد 28:3- 4).

2) ذبيحة يوم السبت: وكانت تتكون من خروفين حوليين صحيحين، بالإضافة الى خروفي الذبيحة اليومية (العدد 28:8 - 10). [" الحولي" هو الذي مر عليه حول، أو سنة أما كلمة " السبت" فمعناها " الراحة"، ولذلك تُطلق على يوم الراحة الأسبوعية لدى بني إسرائيل].

3) ذبيحة أول الشهر: وكانت تتكون من ثورين وكبش وسبعة خراف حولية صحيحة (العدد 28:11- 15).

4) ذبيحة الفصح: وتتكون من ثورين وكبش وسبعة خراف صحيحة وتيس واحد، في كل يوم من أيام الفصح السبعة (العدد 28:16- 25) ــ هذا عدا ذبيحة الفصح العائلية التي كانت تعملها كل أسرة بنفسها (تثنية 2:16).

5) ذبيحة باكورة الحصاد: وتتكون من ثور وكبش واحد وسبعة خراف حولية صحيحة وتيس (العدد 29:1- 5).

6) ذبيحة عيد الكفارة: وتتكون من ثور وكبش وسبعة خراف حولية صحيحة وتيس (العدد 29:7- 10).

7) ذبيحة عيد المظال: وتتكون من 71 ثورا و15 كبشا و105 خروفا حوليا و8 تيوس، تقدم في ثمانية أيام متتالية (العدد 29:12- 40).

8) ذبيحة البقرة الحمراء: وكان رمادها يوضع في ماء، ويستعمل للتطهير الرمزي لكل من مس ميتا أو قتيلا (العدد 19:1- 10).

(القسم الثاني) **الذبائح الشخصية**: وهي الذبائح التي كان يقدمها الأفراد، كل حسب الظرف الذي يجتاز فيه، وأهمها:

1) ذبيحة المحرقة: وكان يأتي بها كل من أراد التقرب الى الله والتمتع برضائه (لاويين 1:1ـ 9)، فمثلا عندما تبّوأ سليمان المُلك بعد أبيه، قدم لله في يوم واحد ألف ذبيحة محرقة (1ملوك 4:3).

2) ذبيحة السلامة: وكان يأتي بها كل من أراد أن يشكر الله لأجل إحسان أسداه تعالى إليه، أو أراد أن يقدم له نافلة (أو بالحري ذبيحة تطوعية)، للدلالة على الإخلاص له والرغبة في التفاني في إكرامه (لاويين 3:1- 5، 7:11 - 21)، وعند تكريس الهيكل أراد سليمان الملك أن يعبر عن شكره لله، فقدم ذبائح سلامة عددها إثنان وعشرون ألفا من البقر ومائة وعشرون ألفا من الغنم (1ملوك 8:63).

3) ذبيحتا الخطيئة والإثم: وكان يأتي بإحداهم من عمل سهوا شيئا من الأمور التي نهى الله عنها (لاويين 4:1 ـ 35، لاويين 5:1- 19)، غير أن الذبيحة الأولى كانت تُقدم لله باعتبار الخطيئة نجاسة. أما الثانية فكانت تقدم له باعتبار الخطيئة ذنبا ــ لأننا بارتكاب الخطيئة لا ننجس أنفسنا فقط، بل نسيء الى الله أيضا.

4) ذبيحة الملء أو التكريس الكامل: وكانت تقدم عند التكفير عن الكهنة يوم إقامتهم بأعمالهم، للدلالة على أنهم أصبحوا مقدسين لله ولخدمته (لاويين 8:22- 36) من الناحية الرمزية.

5) ذبائح التطهير الخاصة بالأم عندما تلد (لاويين 12:1- 8)، والأبرص عندما يبرأ (لاويين 14:1- 20)، والمصاب بسيل عندما ينقطع سيله (لاويين 15:1- 15). وعدا هذه الذبائح، كانت تقدم ذبيحة عن كل بكر يولد من البشر أو البهائم النجسة. أما كل بكر بهيمة من الحيوانات الطاهرة، فكان يقدم بنفسه ذبيحة (العدد 18:17)، لأنه، دون البكر من الحيوانات النجسة، كان يليق تقديمه لله. [وتقديم التطهير عند الولادة سببه وصف أوجاع الولادة جزءا من العقاب الذي وقعه الله على المرأة بسبب خطيئتها (تكوين 3:16). أما مرض البرص والسيل فصورتان للخطيئة: الأول من الناحية الظاهرية، والثاني من الناحية الباطنية. أما تقديم بكر كل بهيمة فيرجع سببه الى أن الله كان قد أنقذ أبكار بني إسرائيل

وحيواناتهم من القتل عندما كانوا في أرض الفراعنة (خروج 12:29)، وبذلك أصبح كل بكر من هؤلاء وأولئك ملكا له، ومن ثم كان من الواجب أن يفتدي بذبيحة أو يقع عليه قضاؤه تعالى بالموت (خروج 13:2و 15).

ومما تجدر ملاحظته في هذه الذبائح ما يأتي:

1) إنها كانت تُقدم عن خطايا السهو التي لا يعلم المرء بها إلا بعد صدورها منه، الأمر الذي يدل على أنها (على العكس مما يظن بعض الناس) ذنوب أمام الله، كما ذكرنا في الباب الأول.

أما الخطايا التي كانت تُرتكب عمدا فلم تكن لها كفارة ما، بل كان من الواجب أن يُقتل أو يُرجم فاعلها (اقرأ مثلا: لاويين 20:10، وعدد 15:35) وذلك بناء على قول الله:" وأما النفس التي تعمل بيد رفيعة (أي عمدا) من الوطنيين أو من الغرباء، فهي تزدري بالرب، فتُقطع تلك النفس من بين شعبها لأنها احتقرت كلام الرب ونقضت وصيته" (عدد 15:30). وقد قصد الله بذلك أن يعلمنا وجوب الإبتعاد عن الخطيئة كل البعد.

2) إن الذبائح لم يكن يُعفى من تقديمها أحد حتى إذا كان فقيرا، لكن رأفة بالفقراء سمح الله لهم بتقديم ذبائح رخيصة الثمن، مثل الحمام أو اليمام (لاويين 14:21- 22).

3) إن هذه الذبائح كانت تقدم على مذبح النحاس القائم في هيكل الله، ومن ثم كان المفهوم لدى الجميع أنها مقدمة لأجل الحصول على الغفران، كما كان الذين يقدمونها يضعون أيديهم على رؤوسها ويقرون عليها بخطاياهم، رمزا لإنتقال خطاياهم الى الذبائح المذكورة، ومن ثم كانت تعتبر كفارة أو فدية عنهم (لاويين 4:4).

4) إن ذبيحة السلامة كان يأكل جزءا منها الشخص الذي أتى بها والكاهن الذي قدمها، رمزا لاشتراكهما في التمتع بإحسان الله (لاويين 7:11- 38). وذبيحة الإثم التي لا يدخل الكاهن بدمها الى قدس الأقداس، كان يأكل جزءا منها وحده، رمزا لأنه مسئول عن إثم الناس الذين يوجدون في دائرة خدمته. أما ذبيحة المحرقة وذبيحة الخطيئة اللتان كان يدخل بدمهما الى قدس الأقداس، فلم يكن يأكل منهما أحد ــ غير أن الأولى كانت تُحرق على المذبح لأنها كانت تعتبر قربانا طاهرا لله للحصول على رضاه (لاويين 6:8 - 13)، أما الثانية فكانت تحرق خارج المحلة لأنها كانت تعتبر نجسة بسبب نيابتها عن خطاة يستحقون العذاب الأبدي بعيدا عن الله كل البعد (لاويين 6:24 - 30).

5) إن الذبائح بصفة عامة كان من الواجب أن تكون بلا عيب، فالحيوان الأعمى أو المكسور أو المجروح أو البثير أو الأجرب أو الأكلف أو مرضوض الخصية أو مسحوقها أو ... أو ... ، لم يكن يُسمح بتقديمه ذبيحة لله (لاويين 22:21- 25)، وكان ذلك رمزا الى أن الفادي الذي يصلح كفارة عن الناس يجب أن لا يكون طاهرا فحسب، بل وأن يكون كاملا من كل الوجوه أيضا.

عدم كفاية الذبائح الحيوانية للفداء

وإن كانت الذبائح الحيوانية لا تزال تشغل الى الآن مركزا عظيما بين كثير من الناس في بلاد متعددة، غير أن فكرة تقديمها لأجل الحصول على الغفران أخذت في التطور بين رجال الله من عهد بعيد، ولكي نقف على الأسباب التي أدت الى هذا التطور نقول:

1 - عدم كفاية الذبائح الحيوانية للفداء: بما أن الفدية التي تصلح للتكفير عن الإنسان يجب أن تكون معادلة له في القيمة، حتى تكون كافية للتعويض عنه. وبما أن نفس الإنسان روحية خالدة وذات خواص أدبية وعقلية سامية، بينما

نفس الحيوان فضلا عن كونها دموية لا خلود لها، هي خالية من هذه الخواص، إذا لا يمكن أن تكون في ذاتها كافية لفداء ألإنسان والتكفير عنه أمام عدالة الله.

2 - عدم كفاية الذبائح الحيواتية للفداء: وهنا يتساءل بعض الناس : إذا كانت الذبائح الحيوانية غير كافية في ذاتها للتكفير عن الإنسان، فلماذا أمر الله بتقديمها؟.

وللرد على ذلك نقول: إن الإنسان في العصر الأول كان لا يقدر القيم الأخلاقية تقديرا صحيحا، كما يشهد بذلك الكتاب المقدس وكتب التاريخ. ولعدم تقديره لهذه القيم، كان يتعذر عليه إدراك نتائج الخطيئة في نفسه، أو مقدار الإساءة التي يوجهها الى الله بفعلها. لذلك كان من البديهي أن يبدأ الله وهو الحكيم العارف بطباع البشر وطرق تعليمهم وتهذيبهم، بإظهار خطورة الخطيئة ووخامة عواقبها بوسائل ملموسة تستطيع عقولهم البدائية فهمها وإدراكها. وذلك بتصوير الموت الذي هو النتيجة الحتمية للخطيئة بعمل يمكنهم رؤيته بعيونهم وفهم مرماه بعقولهم (كما هي الحال في تعليمنا للأطفال مثلا، فإننا نقدم لهم الصور قبل الكلمات المعبرة عنها، لأنهم يستطيعون إدراك مدلول الصور قبل إدراك معني الكلمات المذكورة). ولما كان الحيوان هو أقرب الكائنات الى الإنسان شعورا بالراحة والألم، كما تظهر عليه بوضوح

علامات الحياة والموت، كان من البديهي أن يعلن الله للخطاة ما يستحقونه من عذاب مصورا في ذبح حيوان وحرقه. ومن ثم كانوا يدركون أنه بسبب خطاياهم، كان من الواجب أن يكونوا مكان هذا الحيوان، لكن الله من باب العطف عليهم سمح به كفارة عنهم. ولذلك كانوا يشعرون بشناعة الخطيئة. ويشكرون الله لأنه جعل لهم طريقا للخلاص من قصاصها.

3 - أسباب تطور الآراء من جهة الذبائح الحيوانية: لكن بإرتقاء البشر أدبيا وروحيا، أخذوا يدركون نجاسة الخطيئة وتأثيرها الشنيع على نفوسهم، كما أخذاوا يدركون فداحة الإساءة التي يوجهونها الى الله بإرتكابها. ومن ثم أدركوا أن الذبائح الحيوانية لا يمكن أن تكون في ذاتها هي الفدية التي قصدها الله للخلاص من عقوبة الخطيئة. وقد صادق الله على إدراكهم هذا فقال :" اسمع يا شعبي فأتكلم. لا على ذبائحك أوبخك، فإن محرقاتك هي دائما قدامي. لا آخذ من بيتك ثورا ولا من حظائرك أعتدة (أي جداء)، لأن لي حيوان الوعر (أي الغابة)، والبهائم على الجبال الألوف ... هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيوس. اذبح لله حمدا وأوفِ العلي نذورك وادعُني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني" (مزمور 7:50- 15). ولذلك قال داود النبي مرة لله " لأنك لا تُسر بذبيحة. وإلا فكنت أقدمها. بمحرقة لا ترضى"

(مزمور 16:51). وميخا النبي تساءل بينه وبين نفسه قائلا " بما أتقدم الى الرب وأنحني للإله العلي؟ هل أتقدم بمحرقات، بعجول أبناء سنة؟! هل يُسرُّ الرب بألوف الكباش، بربوات أنهار زيت؟! هل أعطي بكري عن معصيتي، ثمرة جسدي عن خطيئة نفسي؟!" (ميخا 6:6 ،7).

هذا هو ما انتهى إليه الأنبياء الذين كانوا يؤمنون بالله ويعملون كل ما في وسعهم لينجوا من عقابه ويحصلوا على ثوابه، كما كانوا يكثرون من الصلوات والأصوام وأعمال الرحمة والإحسان وتقديم الذبائح والقرابين، ومع ذلك كانت خطاياهم على الرغم من قلتها أكثر وأشنع من أن يجدوا لها بهذه الوسائل غفرانا. لذلك قطعوا الأمل من جهة القبول أمام الله، فقال أيوب " ليس بيننا (أي بينه وبين الله) مصالح يضع يده على كلينا. ليرفع (الله) عني عصاه ولا يبغتني رعبه". وقال أيضا:" فكيف يتبرر الإنسان (إذا) عند الله؟" (أيوب 33:9 و1). كما قطعوا الأمل من وجود إي فدية عن نفوسهم. فقال داود النبي " الأخ لن يفدي الإنسان فداء، ولا يعطي الله كفارة عنه. وكريمة هي فدية نفوسهم، فغَلِقت الى الأبد" (مزمور 7:49، 8). أي أن الإنسان لا يستطيع أن يفدي أخاه الإنسان مهما كانت علاقة المحبة التي بينهما، لأن الفدية الحقيقية ليست في متناول البشر على الإطلاق (كما سيتضح فيما سيلى). وقد صادق المسيح على اعتقادهم فقال " ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه، **أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه؟"** (متى 26:16).

والحق أنه لا غرابة في استيلاء الحيرة على هؤلاء الأفاضل، وشعورهم بالعجز عن معرفة الفدية الحقيقية التي تصلح للتكفير عنهم، لأنهم لتأثرهم بقداسة الله تأثرا حقيقيا كانوا يرون الخطيئة كما هي بكل شناعتها وخطورتها. أما البعيدون عن الله فلا يستطيعون رؤية الخطيئة في هذه الصورة، ومن ثم يظنون أنه من السهل الحصول على الغفران بواسطة أي عمل من الأعمال التي يطلقون عليها الأعمال الصالحة. لكن لو تطلعوا الى ذواتهم في نور عدالة الله وقداسته اللتين

لا حد لهما كما فعل هؤلاء الأفاضل، لاستطاعوا أن يدركوا مثلهم عجزهم الكلي عن محو خطاياهم، بكل أعمالهم الخيرية وممارستهم الدينية، ولصرخ كل واحد منهم كما صرخ إشعياء النبي قديما " ويل لي إني هلكت، لأني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين" (إشعياء 5:6)، ولتهيأوا تبعا لذلك لمعرفة الطريق الذي أعلنه الله بخلاص من عقوبة الخطيئة ونتائجها الشنيعة، والذي سنتولى إيضاحه بشيء من التفصيل فيما يلي.

أما الإعتراض الموجه ضد هذه الحقائق ففيما يلي بيانه والرد عليه:

1 - إن عدم طلب الله لأي ذبيحة من بني إسرائيل الوارد في (مزمور 7:50- 15) السابق الإشارة إليه، يدل على عدم ضرورة تقديم الذبائح لأجل الحصول على الغفران. كما أن قول الله على لسان إرميا النبي لليهود " ضموا محرقاتكم الى ذبائحكم وكلوا لحما، لأني لم أكلم آبائكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبيحة" (إرميا 21:7- 22) يدل على وجوب عدم تقديم الذبائح المذكورة.

الرد: بالرجوع الى الآيات الواردة في (مزمور 7:50 - 15) نرى أن المراد بها، ليس النهي عن تقديم الذبائح للحصول على الغفران، بل التنبيه الى عدم استطاعة البشر أن يقدموا الذبيحة الكافية عن خطاياهم، فإن الله تولى تدبيرها بنفسه (عبرانيين 5:10 - 9) والدليل على ذلك أن الله حرضهم بعد هذه الآيات بـ600 سنة تقريبا على لسان ملاخي النبي على تقديم الذبائح التي عيب فيها، فقال لهم:" إن قربتم الأعمى ذبيحة، أفليس ذلك شرا؟ وإن قربتم الأعرج والسقيم، أفليس ذلك شرا؟" (ملاخي 8:1).

كما أنه بالرجوع الى الآيات الواردة في سفر إرميا (21:7 - 22)، نرى أن المراد بها ليس وجوب امتناع اليهود عن تقديم الذبائح، بل وجوب توبتهم لله وإصلاح طرقعم أمامه، لأنهم كانوا يظلمون الغريب واليتيم والأرملة، كما كانوا يسفكون دماء الأبرياء ويركضون وراء العبادة الوثنية، وبعد ذلك كانوا يتقدمون بذبائحهم الى الله!! (إرميا 1:7- 15).

الشروط الواجب توافرها في الفادي
وإمكانية تحقيقها

عرفنا مما سلف أن الأنبياء وهم صفوة الناس، عجزوا عن الإهتداء الى الفدية التي تصلح للتكفير عنهم، على الرغم من أصوامهم وصلواتهم وصدقاتهم وذبائحهم المتعددة، فما السبب في ذلك؟

الجواب: طبعا لأنهم وجدوا وجوب اشتمال هذه الفدية على مميزات يتعذر تجقيقها في نظرهم. ولذلك سنبحث فيما يلي على قدر ما يتسع المجال أمام عقولنا، عن الشروط الواجب توافرها في الفدية، أو بالحري في الفادي، حتى يكون قادرا على التكفير عن خطايانا تكفيرا حقيقيا (أو بالحري على تحمل قصاصها بأسره، إيفاء لمطالب قداسة الله التي لا نهاية لها)، حتى يمكن الحصول على الغفران والتمتع بحضرة الله.

أولا - الشروط الواجب توافرها في الفادي

1 - بما أن الفدية يجب أن تكون على الأقل مساوية في قيمتها للشيء المطلوب فداؤه، وبما أنه لا يساوي الإنسان إلا إنسان مثله لأنه ليس له نظير بين الكائنات يعادله ويساويه، لذلك فالفدية أو بالحري الفادي الذي يصلح للتكفير عن نفوسنا، يجب أن لا يكون حيوانا بل أن يكون على الأقل انسانا.

2 - وبما أن هذا الفادي سيكون فاديا ليس لإنسان واحد بل لكل الناس، (وذلك لتعذر وجود فادٍ لكل واحد من ملايين البشر الذين يعيشون في العالم، في كل العصور والبلاد). يجب أن تكون قيمته معادلة لكل هؤلاء الناس.

3 - وبما أنه لو كان الفادي من جنس يختلف عن جنسنا (على فرض وجود مثل هذا الجنس)، لما استطاع أن يكون نائبا عنا،(لأن النائب يكون من جنس الذين ينوب عنهم)، لذلك فإنه مع عظمته التي ذكرناها يجب أن يكون واحدا من جنسنا.

4 - وبما أنه لو كان الفادي خاطئا مثلنا، لكان محروما من الله وواقعا تحت قضاء القصاص الأبدي نظيرنا، ولا

يستطيع تبعا لذلك أن ينقذ واحدا منا من هذا المصير المرعب، لأنه يكون هو نفسه محتاجا الى من ينقذه منه، لذلك فالفادي مع وجوب كونه واحدا من جنسنا، يجب أن يكون خاليا من الخطيئة خلوا تاما.

5 ـ وبما أن خلوه من الخطيئة وإن كان أمرا ساميا، لا يقوم دليلا على كماله، وبالتالي على أهليته ليكون فاديا ــ فآدم مثلا رغم أنه خُلق خاليا من الخطيئة غير أنه لم يكن معصوما منها، لأنه عندما عاش على الأرض سقط فيها، لذلك لا يكفي أن يكون الفادي خاليا من الخطيئة، بل يجب أن يثبت بالدليل العملي أنه معصوم منها أيضا.

6 ـ فضلا عن ذلك، بما أنه لو كان مخلوقا، لكان بجملته ملكا لله. وشخص ليس ملكا لنفسه بل ملكا لله، لا يحق له تقديم نفسه فدية لله عن إنسان ما، إذا فالفادي يجب أن يكون أيضا شخصا غير مخلوق لكي يكون من حقه أن يقدم نفسه كفارة.

7 ـ أخيرا، بما أنه لا يمكن الحصول على الغفران والتمتع بالوجود في حضرة الله إلا إذا تم أولا إيفاء مطالب عدالته وقداسته التي لا حد لها، إذا فالفادي يجب أن يكون أيضا ذا مكانة لا حد لسموها حتى يستطيع إيفاء مطالب الأولى بتحمل كل قصاص الخطيئة عوضا عنا، وإيفاء مطالب الثانية بإمدادنا بحياة روحية ترقى بنا الى درجة التوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية، كما ذكرنا.

فترى من يكون هذا الفادي العظيم القدر، الخالي من الخطيئة والمعصوم منها، غير المخلوق في ذاته وغير المحدود في مكانته، حتى يستطيع متطوعا أن يفي مطالب عدالة الله التي لا حد لها عوضا عنا، ويبعث فينا أيضا حياة روحية ترقى بنا لدرجة التوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية، وليس من يتصف بهذه الصفات أو يستطيع القيام بهذه الأعمال سوى الله؟ فهل هذا الفادي بجانب انسانيته الممتازة يجب أن يكون هو الله؟!

حقا إنه لسؤال خطير، لكن جوابه واضح كل الوضوح، ولا مفر منه على الإطلاق.

ثانيا: إمكانية تحقيق الشروط السابقة

1 ـ إن إتخاذ الله ناسوتا من جنسنا ليكون فيه فاديا لنا، فضلا عن أنه أمر لا يتعذر عليه القيام به، فإنه بإتخاذه هذا الناسوت (أولا) لا ينحصر في مكان ما. لأن اللاهوت لا يتحيز بحيز، إذ أن وجوده في مكان (حسب تقديراتنا البشرية) لا يمنع وجوده في مكان آخر في نفس الوقت. (ثانيا) إنه بإتخاذه هذا الناسوت، لا يفقد شيئا من مجده الذاتي، لأن هذا المجد لا يتعرض للزيادة أو النقصان على الإطلاق (ثالثا) إن إتخاذه هذا الناسوت أمر تتطلبه رغبته في أن تكون لنا جميعا علاقة حقيقية معه، إذ لا يمكن أن تقوم لهذه العلاقة قائمة إذا ظل بعيدا عن مداركنا، وظللنا نحن بعيدين عن التوالف معه.

[" الناسوت" مصدر من " الإنسان"، يُراد به الطبيعة البشرية بما تحويه من جسد ونفس وروح، أما كلمة " اللاهوت" فهي على وزن الناسوت والجبروت، يُراد بها جوهر الله، وجوهر الله هو عين ذاته، لأنه لا تركيب فيه على الإطلاق. أما الألوهية فهي مصدر منسوب إليه تعالى، مثل الفروسية المنسوبة الى الفارس].

2 ـ والشرط الخاص بخلو هذا الناسوت من أي ميل للخطية لا يستحيل تحقيقه، لأن الله عندما يتخذ لنفسه ناسوتا لا يحتاج الأمر في تكونه الى بذرة حياة من رجل ما، لأنه هو الحياة نفسها. وبما أن الطبيعة التي تميل الى الخطيئة لا تنتقل الى الإنسان إلا بواسطة التناسل الطبيعي، إذا من البديهي أن يكون هذا الناسوت خاليا من الطبيعة الشريرة، ويكون أيضا بسبب كماله الذاتي قادرا على أن يكون معصوما من السقوط في الخطيئة.

3 ـ والشرط الخاص بوجوب مساواة نفسه لنفوسنا في القيمة، من السهل علينا إدراك إمكانية تحقيقه، حينما نضع أمامنا أن ناسوت الله فضلا عن كونه مقترنا به كل الإقتران، الأمر الذي يجعل قيمته لا حد لها على الإطلاق،، فإن هذا الناسوت قدوس كل القداسة، والقدوس أعظم من كل الخطاة بما لا يقاس.

4 ـ والشرط الخاص بوجوب امتلاك الفادي لناسوته (أو بالحري بكونه غير مخلوق بواسطة كائن ما) من البديهي أن يتوافر فيه، لأن هذا الفادي هو الله، والله هو الخالق لكل الأشياء ومالكها.

5 ـ والشرط الخاص بوجوب احتمال قصاص الخطيئة عوضا عنا إيفاء لمطالب العدالة الإلهية التي لا حد لها، من

البديهي أن يتوافر فيه أيضا، لأنه بوصفه هو الله، يحيط بمطالب هذه العدالة، ويستطيع أيضا تحقيقها في الناسوت الذي يتخذه.

6 - والشرط الخاص بوجوب استطاعته أن يرقي بنا في حالة التوافق مع الله، من البديهي أن يتوافر فيه كذلك، لأنه في ذاته هو الله، والله هو الذي يستطيع القيام بهذه المهمة.

مما تقدم نرى أن الشروط الواجب توافرها في الفادي ليست معقولة فحسب، بل ويمكن تحقيقا بوسيلة معقولة أيضا.

أدلة كتابية على تفرُّد الله بمهمة الفداء
أولا: شهادة التوراة

1) قال موسى النبي لله:" ترشد برأفتك الشعب الذي **فديته**" (خروج: 13:15)، ومما تجدر الإشارة إليه أن فداء الله لبعض البشر في العهد القديم، لم يكن يُراد به فداء أرواحهم، بقدر ما كان يُراد به فداء أجسامهم، أو بالحري إنقاذهم من الموت بوسيلة ما. أما فداء الله لنا، بمعنى احتماله في نفسه كل خطايانا لإنقاذنا من القصاص الأبدي الذي نستحقه بسببها فلم يُعلن (كما سيتضح فيما يلي) إلا في المسيحية.

لكن نظرا لأن الله قصد منذ الأزل أن يقوم بهذه المهمة، لذلك ترد الأفعال الخاصة بها في التوراة في الزمن الماضي، كما يتضح من هذه الآية، ومما سنقتبسه بعد ذلك. أما إذا وردت في صيغة المضارع، فيكون المُراد بها التحدث عن الفداء أو التكفير كحقيقة من الحقائق الإلهية الثابتة، لأن التعبير عن هذه الحقائق يُصاغ في الفعل المضارع كما هو معروف لدينا. وقال موسى أيضا لله:" اغفر لشعبك إسرائيل الذي **فديت يا رب**" (تثنية 8:21) ومن هذه الآية يتضح لنا أنه لا غفران إلا بعد الفداء ـ وهذا ما يتفق مع الحق كل الإتفاق.

2) وقال حزقيا الملك التقي " الرب صالح **يكفر عن** كل من هيأ قلبة لطلب الله" (2 اخبارالأيام 18:30 ، 19).

3) وقال أيوب عن الله " **فادى** نفسي من العبور الى الحفرة، فترى حياتي النور" (أيوب 28:33).

4) وقال داود النبي " الرب **فادي** نفوس عبيده "(مزمور 22:34). وقال أيضا " إنما الله **يفدي** نفسي من يد الهاوية" (مزمور 15:49). كما خاطب نفسه قائلا عن الله:" الذي **يفدي** من الحفرة حياتك، الذي يكللك بالرحمة والرأفة" (مزمور 4:103)، لأنه " إله **خلاصي**" (مزمور 5:25). ولذلك خاطب الله بالقول " معاصينا أنت **تكفر عنها**" (مزمور 3:65) والخلاص المقصود هنا هو الخلاص من الضيقات والآلام، كما يراد به الخلاص من الخطيئة ونتائجها.

5) وقال إشعياء النبي " **فادينا** رب الجنود إسمه (إشعياء 4:47). وقال أيضا:" الرب قد **فدى** يعقوب" (إشعياء 23:44). وقال الله على لسانه " إله بار **ومخلص**، ليس سواي" (إشعياء 21:45) والبار هو العادل، والمخلص هو الرحيم، ومن ثم لا سبيل الى الجمع بينهما، إلا إذا قبل المخلص تحمُّل نتائج خطايانا عوضا عنا تحقيقا للعدالة. وإلا كان الخلاص رحمة لا سند لها من العدالة، ومن ثم لا تكون ثابتة أو راسخة. كما قال للشعب الخاطئ " ارجع اليَّ لأني **فديتك**" (إشعياء 22:44).

6) وقال زكريا التبي عن الله " **ويخلصهم** الرب إلههم" (زكريا 16:9). وليس هناك إشكال في هذه الآية، إذ يُقصد " بالرب الإله هنا" المسيح من الناحية الجوهرية (كما سيتضح فيما يلي) وبذلك يكون المعنى أن الله يخلص البشر بواسطة المسيح. وقال الله على لسانه " أجمعهم لأني قد **فديتهم**" (زكريا 8:10).

ثانيا: شهادة الإنجيل

1) قالت العذراء مريم عن الله " الله **مخلصي**" (لوقا 47:1). قاصدة بذلك أنه المخلص لها من الخطيئة، لأنه لم تكن لديها وقتئذ مشكلة دنيوية ترجو الخلاص منها.

2) وقال زكريا عندما ألهمه الله أن ابنه يوحنا سيعد الطريق أمام المسيح " مبارك الرب لأنه افتقد وصنع **فداء** لشعبه" (لوقا 68:1).

3) وقال بولس الرسول عن الله إنه يفدينا من كل إثم (تيطس 14:2)، وإنه افتدانا من لعنة الناموس (غلاطية 13:3) وإنه يكفر الخطايا (عبرانيين 17:2) وإنه **خلصنا** (من خطايانا) ودعانا دعوة مقدسة (2 تيموثاوس 9:1). وإنه بمقتضى رحمته **خلصنا** من خطايانا (تيطس 5:3).

4) وقال بطرس الرسول إن " الذي مثاله **يخلصنا**" (1بطرس 21:3) و" أنكم افتُديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح معروفا سابقا قبل إنشاء العالم" (1بطرس 18:1 - 20).

5) وقال يوحنا الرسول عن الله إنه " **يطهرنا** من كل إثم" (1يوحنا 9:1) ـ والتطهير من كل إثم يتضمن الخلاص منه. وقال عن المسيح إنه كفارة ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضا (1يوحنا 2:2).

6) وقال يهوذا عن الله أنه " الإله الحكيم الوحيد مخلصنا" (آية 25).
ومما يجدر الإشارة إليه في هذه المناسبة (أولا) إن الفعل " كفر" (بوجود فتحة على الفاء) يراد به في اللغتين العبرية والعربية معا " ستر". فنحن نقول: كفر الفلاح الحبوب، أي " سترها" بالتراب. والفعل " كفر"، بوجود شدة على الفاء، يراد به المبالغة في الستر مثل الفعلين: فتح وقفل. أما إذا استعمل حرف الجر " عن" بعد الفعل الأخير، فيكون المراد به تقديم التعويض اللازم عن الخطيئة أو عن انسان مذنب. فنحن نقول:" كفر فلان عن ذنوبه"، أي قدم التعويض اللازم عنها حتى تُرفع عنه عقوبتها. ونقول " كفر فلان عن المذنبين"، أي قدم التعويض اللازم عنهم لكي لا يلحقهم أذى من جراء ذنوبهم (لاويين 5:5 - 19، 30:16ـ 34). (ثانيا) إن التكفير وإن لم يكن هو ذات الغفران، لكنه مقترن به كل الإقتران، لأنه ليس هناك غفران إلا ويسبقه تكفير (أيا كان نوع هذا التكفير)، وليس هناك تكفير إلا ويتبعه غفران. ولما كان الإنسان لا يستطيع التكفير عن خطاياه بالدرجة التي تفي مطالب عدالة الله التي لا حد لها، وكان الله وحده هو الذي يستطيع القيام بهذه المهمة كما ذكرنا فيما سلف، لذلك فإن تكفير الله بنفسه عن خطاياه بمعنى احتمال نتائجها في نفسه (على نحو ما) عوضا عنا قبل أن يغفرها لنا، أمر لا يجوز الإختلاف بشأنه على الإطلاق. ولا غرابة في ذلك، فنحن نرى أنه إذا أساء عبد (مثلا) الى سيده، فإن سيده له أن يعاقبه، وله أن يعفو عنه. فإذا أبت نفسه أن تتحمل إساءة العبد، عاقبه من أجلها. لكن إذا رضيت نفسه أن تتحمل هذه الإساءة عطفا وشفقة على العبد، فإنه يعفو عنه. وفي هذه الحالة يكون قد فداه أو كفر عن إساءته، لأنه تحمل الألم في نفسه عوضا عن أن يصبه على رأسه نارا حامية. وكل ما في الأمر أن الله في عفوه عنا يتحمل إساءتنا في نفسه، ليس فقط بسبب العطف علينا، بل أيضا لإيفاء مطالب عدالته، لأن هذه اليست مجرد شريعة لديه كما عي الحال معنا، بل إنها صفة من الصفات التي تتميز بها ذاته، ولذلك من الضروري إيفاء مطالبها بأي حال من الأحوال.

قانونية قيام الله بالفداء

إن موضوع " ظهور الله في ناسوت للقيام بالتكفير عن خطايانا"، وإن كان لابد من التسليم به للأسباب التي ذكرناها فيما سبق ، غير أن البعض تساورهم شكوك من جهته، ولذلك لنفحص فيما يلي اعتراضاتهم عليه:

1 - [الله منزه في ذاته كل التنزيه، ومن ثم لا يمكن أن يتخذ لنفسه ناسوتا مثلنا، لأي غرض من الأغراض].

الرد: إذا وضعنا أمامنا أن الله يحبنا محبة شديدة، لأنه خلقنا على صورته كشبهه كما ذكرنا، أدركنا أنه لا يمكن أن يكون متباعدا عنا بل لا بد أن يكون حانيا علينا أكثر مما نفتكر أو نتصور. وهذا ما يدعوه الى أن يشق لنفسه طريقا من لامحدودية الى المحدودية مع بقائه غير محدود في ذاته، ومن جو القداسة المطلقة الذي هبط به الى عالم الخطيئة الذي نعيش فيه مع بقائه قدوسا في ذاته. كما أن هذه المحبة تدعوه أن يعلن ذاته لنا بهيئة نستطيع إدراكه بها كل الإدراك، وهذه الهيئة هي الهيئة بشرية. إذ بدونها لا نستطيع أن نؤمن أنه يحبنا، وبالتالي لا نستطيع أن نحب أو نثق انه يمكننا الإقتراب منه والتوالف معه، ومن ثم فإن الله عندما يريد أن يعلن لنا محبته يكفر بنفسه عن خطايانا، لا يكون هناك مانع لديه من الظهور في ناسوت خاص، أما هذا الناسوت فهو خال من الخطيئة ومعصوم منها. لأنه لو ظهر لنا في هيئة ملائكية، لما استطعنا إدراكه حق الإدراك، إذ ليس هناك مجال للتوافق الحقيقي بيننا وبين الملائكة.

وإذا كان الأمر كذلك، أدركنا أن التنزيه الذي يليق بالله هو التنزيه عن الخطأ وعدم البر، وعن العجز والضعف، وليس التنزيه عن الإتصال بالناس الذين خلقهم على صورته، أو إظهار المحبة لهم والعطف عليهم بكل وسيلة من الوسائل.

2 - [كيف يشق الله لنفسه طريقا من اللامحدودية الى المحدود مع بقائه غير محدود في ذاته، ومن جو القداسة المطلقة الذي يحيط به الى عالم الخطيئة الذي نعيش فيه مع بقائه قدوسا في ذاته؟]

الرد: بما أن وجود الله مع جماعة من الناس في وقت ما، لا يمنعه كما نؤمن جميعا من الوجود مع آلاف غيرها في جهات متباعدة في نفس الوقت، لذلك لا اعتراض على امكانية ظهوره لنا في ناسوت مع بقائه غير محدود في ذاته. كما أن قداسة الله المطلقة لا تسمح لأي شر بالتسرب إليه مهما كان هذا الشر على مقربة منه، لأن القداسة المطلقة التي يتصف بها الله عازل يحول دون ذلك، فهو والحالة هذه يشبه (إن جاز التعبير) النور الذي يشق طريقه في وسط الظلمة، دون أن تختلط به أو يختلط هو بها.

3 - [كيف يظهر الله الذي لا حد لعظمته، في ناسوت مثلنا؟].

الرد: إن محبة الله الشديدة لنا، لا تسمح لأي عقبة بالوقوف في سبيل تحقيق أغراضها، لا سيما وأن العظمة الحقيقية ليست في تشامخ العظيم بل في تواضعه، وليست في تعاليه بل في تنازله، كما أنها ليس في الأثرة والأنانية بل في الإيثار والتضحية. ولذلك لا يمكن أن يستنكف الله من أن يظهر لنا في ناسوت خاص، طالما أن هذه هي الوسيلة الوحيدة لفدائنا، وفي الوقت نفسه هي الوسيلة الوحيدة التي بها نستطيع إدراك محبته الفائقة لنا، ونستطيع بها أيضا الدنو منه والتوالف معه. فإذا أضفنا الى ما تقدم أن الله كان يتراءى أحيانا لأصفيائه بهيئة مدركة لديهم، اتضح لنا أن ظهوره في ناسوت لكي يعلن لنا جميعا محبته الفادية، لا يتعارض مع طبيعته أو مقاصده من نحونا، لا سيما إذا كان هذا الناسوت قدوسا خاليا من الخطيئة ومعصوما منها كما ذكرنا.

كان الله يظهر لليهود في صوت دون هيئة ما، لئلا يعملوا له تمثالا يسجدون له. فقد قال موسى النبي لبني إسرائيل: " فكلمكم الرب من وسط النار، وأنتم سامعون صوت كلام. ولكن لم تروا صورة بل صوتا" (تثنية 12:4) أما في حالة عدم احتمال عمل تمثال له بسبب الرسوخ في الإيمان، فكان يظهر في هيئة ملاك أو إنسان (لأنها الهيئة التي يمكن للبشر التوالف بها معه)، فظهر في الهيئة الأولى لهاجر. ولما أدركت أنه الله بعينه، قالت له:" أنت إيل رُئي"، أي " أنت إله حقيقي يمكن رؤيته " (تكوين 10:16 - 13). وظهر في الهيئة الثانية لمنوح أبي شمشون. ولما سأله هذا عن اسمه قال له:" لماذا تسأل عن اسمي وهو عجيب؟!" وعندما تجلت حقيقة هذا الإنسان عند صعوده الى السماء، سقط منوح هو وزوجته على الأرض، قائلا لها: " نموت موتا لأننا قد رأينا الله" (قضاء 18:13- 22).

4 - إن القول " بظهور الله في ناسوت خال من الخطيئة لكي يعلن محبته العادية لنا، هو محاولة لإخضاع الله لعقولنا، والحال أن عقولنا هي التي يجب أن تخضع لله في روحانيته المطلقة وتنزهه عن كل عرض من الأعراض".

الرد: إن هذا الموضوع ليس محاولة منا لإخضاع الله لعقولنا، بل إنه من مستلزمات طبيعته وعلاقته بنا كما اتضح لنا مما سلف. فالله ليس مثل الملك المحفوف بالكبرياء الذي لا عمل له إلا قبول الإكرام والإحترام من أتباعه، ومعاقبة الذين يسيئون إليه ومكافأة الذي يخلصون له منهم، وإظهار شيء من العطف في بعض الأحيان على من تنزل بهم الكوارث مثلا، مع بقائه في برجه العاجي مترفعا عنهم أجمعين. لكنه مثل الأب الطيب الذي لا يدع فاصلا بينه وبين أولاده، بل وفي محبة شديدة يقترب إليهم ويقربهم إليه، كما ينزل الى مستوى مداركهم لكي يعلن لهم ما خفي عنهم من جهة شخصه وأغراضه الصالحة من نحوهم. وإذا استلزم الأمر فإنه يضحي بكل ما لديه من أجلهم ، لكي يرقى بهم الى أسعد حالة ممكنة.

فإذا أضفنا الى ذلك أن الله لا يريد أن ندنو منه ونحن في حالة الرعب أو الذعر (لأن هذه الحالة لا تتوافق مع كماله ولا تعود علينا بخير ما)، بل أن ندنو منه ونحن في حالة المحبة له والشوق إليه. وأنه لا يمكن أن ندنو منه في الحالة الثانية إلا إذا أعلن لنا ذاته ومحبته بهيئة مدركة لنا كل الإدراك، اتضح لنا إن اتخاذ الله لنفسه ناسوتا قدوسا لإعلان محبته لنا وتكفيره عن خطايانا، أمر يتوافق مع ذاته ومع علاقته بنا كل التوافق كما ذكرنا.

5 - إن الفداء لا يكون إلا بين جماعة تربطها رابطة خاصة أو يجمعها جنس واحد، والله في ذاته لا تربطنا به هذه الرابطة، كما أنه ليس من جنسنا، فكيف يكون فاديا لنا؟

الرد: إننا نقول بكل فخار إن الله خلقنا على صورته كشبهه، وأعطانا نسمة حياة خالدة من لدنه، كما جعلنا أعز الكائنات وأقربها إليه، وعرفنا بالكثير عن ذاته ومقاصده من نحونا بواسطة وحيه الذي كان يرسله إلينا من وقت الى آخر ـ فضلا عن ذلك، قال لنا بعبارة صريحة إنه ألصق نفسه بنا وألصقنا به (أرميا 11:13)، وليس هناك رابطة في الوجود مثل هذه الرابطة. أما من جهة وجوب كون الفادي واحدا من جنسنا، فهذا يتحقق بالتمام بإتخاذ الله لنفسه ناسوتا مثلنا (إنما خاليا من الخطية خلوا تاما كما ذكرنا) ـ وقد أشار الرسول الى هذه الحقيقة فقال " فإذا قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو أيضا كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس، ويعتق أولئك الذي خوفا من الموت كانوا جميعا كل حياتهم تحت العبودية" (عبرانيين 14:2 - 15).

6 ـ كيف نعلم أن الله يريد فدائنا، أو التكفير عنا بنفسه؟

الرد: (أ) فضلا عن الأدلة المتعددة الواردة في التوراة والإنجيل عن قيام الله بفدائنا أو التكفير عنا، كما ذكرنا فيما سلف، نقول: بما أن الله لم ينفذ حكم الموت في آدم بعد سقوطه في الخطيئة مباشرة، بل أبقاه حيا. وبما أنه ليس من المعقول إزاء كمال الله أن يكون قد أبقاه حيا لكي يلد ملايين البشر للشقاء الأبدي. إذا فعدم قضاء الله على آدم بالموت بعد سقوطه في الخطيئة مباشرة، دليل على أنه لا يريد هلاك البشر بل خلاصهم. وبما أن خلاصهم لا يتحقق إلا بفدائه إياهم بنفسه، إذا فمن المؤكد أنه أراد أن يقوم بهذه المهمة منذ القدم.
(ب) كما أننا إذا وضعنا أمامنا، أن الذبائح الحيوانية التي كانت تُقدم بقصد التكفير عن الخطيئة، لم تكن صالحة فعلا لهذا الغرض كما مر بنا، وأنه على الرغم من عدم صلاحيتها كان الله يأمر الناس بوجوب المواظبة على تقديمها طوال العهد القديم، بل وجعل تقديمها وقتئذ الوسيلة الوحيدة لقبولهم أمامه، اتضح لنا أنه لا بد أنها كانت ذات معنى لديه، وهذا المعنى (كما يتضح من دراسة التوراة والأنجيل) ينحصر في أنها (الذبائح) كانت رمزا الى فاد يستطيع التكفير حقيقيا الى الأبد (1كورنثوس 7:5، عبرانيين 11:13 و 12). وبما أن الذي يقوم بهذه المهمة هو الله دون سواه، إذا لا بد أنه قصد أن يفتدينا بنفسه منذ القديم.

(جـ) أخيرا نقول: إذا رجعنا الى الكتاب المقدس، نرى أن الإنسان عندما يطيع الله، تصبح الملائكة خداما له. فقد قال الوحي عن الملائكة إنهم جميعا أرواح خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص (عبرانيين 14:1)، الأمر الذي يدل على أن الإنسان هو أعظم المخلوقات وأقربها الى الله وأحبها إليه، وأن الله قصد منذ الأزل أن تكون له مع هذا الإنسان علاقة وثيقة مستمرة. وبما أنه لا مجال لهذه العلاقة مع وجود الخطيئة، ولا مجال لمحو الخطيئة، إلا بفداء الله للإنسان (أو بالحري إلا بتكفيره عن خطاياه وامداده بحياة روحية يستطيع بها التوافق معه)، إذا لا شك أن الله قصد منذ الأزل أن يفتدينا بنفسه.

7 ـ ألا توجد وسيلة للخلاص من خطايانا إلا بافتداء الله لنا بنفسه؟

الرد: (أ) حقا ما أصعب هذا السؤال أمام بعض الناس، وما أكثر الحيرة التي يسببها لهم، لكن دون تحيز لأي رأي من الآراء نقول: إننا لا نستطيع بعقولنا أن نعرف كل أفكار الله وتدبيراته، لأن إدراكنا محدود وهو فوق الحدود، لذلك فمن الشطط أن نتصور خطة خاصة يتحتم عليه استخدامها في أمر خلاصنا من الخطيئة. لكن بحسب العقل الذي تفضل وأعطاه لنا نقول: لو كان من الجائز أن تقل عدالة الله وقداسته عن رحمته ومحبته، لكان من الجائز أن ينقذ جميع البشر من خطاياهم ويقربهم الى حضرته بكلمة واحدة، كما خلق العالم من قبل بمثل هذه الكلمة. لكن بما أن عدالته توازي رحمته، وقداسته توازي محبته (وذلك بسبب كمال كل صفة من صفاته وتوافقها معا توافقا تاما)، إذا فمع رحمته ومحبته اللتين لا حد لهما، فإن من مستلزمات الكمال الذي يتصف به، ألا يتساهل في شيء من مطالب عدالته وقداسته. وبما أنه لا يستطيع سواه إيفاء مطالب هذه وتلك، إذا لا سبيل للخلاص من الخطيئة ونتائجها إلا بقيامه بافتدائنا بنفسه.

(ب) أما لو صفح الله عنا وقربنا إليه دون أن يفتدينا بنفسه، لكانت عدالته وقداسته قد انخفض قدرهما عن رحمته ومحبته، أو لكان قد انحاز الى رحمته ومحبته دون عدالته وقداسته. وبما أنه لكماله المطلق لا يمكن أن تقل عدالته عن رحمته أو قداسته عن محبته، ولا يمكن أيضا أن ينحاز الى صفة فيه دون أخرى، إذا فمن المؤكد أنه يقبل القيام بافتدائنا بنفسه، لأن هذا يكون أكثر موافقة لكماله من الصفح عنا وتقريبنا إليه بوسيلة لا تتفق مع عدالته وقداسته. وبالإضافة الى كل ما تقدم، فإنه أيسر لنا أن نؤمن بإله يحب خليقته ويبذل كل ما لديه في سبيل إسعادها، من أن نؤمن بإله غير كامل الصفات أو ينحاز الى صفة دون الأخرى.

8 - إن الله (كما أعلن الوحي) بطيء الغضب وكثير الإحسان (خروج 6:34)، ومن ثم يمكنه أن يصفح عن الخطاة من مجرد رحمته، لا سيما وأن هذا التصرف يكون أحسن لدى الله من الفداء الذي يكلفه كثيرا.

الرد: (أ) إذا كان الله يصفح عن الخطاة دون مراعاة لعدالته ويقربهم إليه دون مراعاة لقداسته، تكون عدالته قد قلت في قيمتها عن رحمته، وتكون قداسته قد قلت في قيمتها عن محبته، وهذا ما لا يمكن حدوثه بسبب كماله المطلق وتوافق صفاته معا كما ذكرنا. كما أنه إذا كان الله يترك الأشرار يطغون ويعبثون، وفي نهاية الأمر يأتي بهم الى سمائه لكي ينعموا معه فيها (إذا كانوا يستطيعون الى ذلك سبيلا)، لا يكون رحيما أو رؤوفا بل متساهلا مع الشر والإثم. ولكن بتكفيره عن البشر بنفسه (أو بالحري بتحمله نتائج خطاياهم عوضا عنهم، وإمداده إياهم بحياة روحية يمكنهم بها التوافق معه في صفاته السامية) يظهر منتهى العدالة ومنتهى الرحمة، كما يظهر منتهى القداسة ومنتهى المحبة. فضلا عن ذلك فإنه يذيب قلوب المخلصين منهم، فيُقبلون إليه بكل حب وإخلاص، وهم على استعداد تام لخدمته وإكرامه مهما كلفهم الأمر من جهد.

ولا مجال للإعتراض على وضعنا لعدالة الله وقداسته نصب أعيننا دائما عند البحث في مسأة الغفران والقبول لديه، لأن العدالة والقداسة لديه ليستا مبدأين أدبيين منفصلين عن ذاته، يراعيهما عند القيام بأعماله كما هي الحال عند المخلصين من الحكام والولاة، بل أنهما (مع المباديء الأدبية الأخرى) صفتان كائنتان في ذاته. ومن ثم لا يمكن أن يتخلى عنهما أو يتصرف بالرحمة والمحبة. دون إيفاء مطالب كل منهما أولا.

(ب) أخيرا نقول: إن الأحسن لدى الله ليس هو الأسهل في نظرنا، لأن الله لا ينظر الى أمر من الأمور التي يعملها من جهة كونه سهلا أو صعبا، إذ أن كل الأمور سهلة لديه. لكنه ينظر الى كل أمر من جهة كونه متوافقا مع كماله أو غير متوافق معه. ولما كان فداء الله لنا بنفسه يتوافق مع كماله كل التوافق، لأنه يتمشى مع عدالته وقداسته التي يجب إيفاء مطالبهما على أي نحو من الإنحاء، لذلك فهو الشيء " الأحسن" لديه ــ إن كان هناك مجال لوجود شيء " حسن" وآخر " أحسن" في الأعمال التي يقوم بها.

9 - إذا كان ولا بد من الفداء، فهل يعجز الله عن خلق شخص يقوم به نيابة عنه؟
الرد: بما أنه لا يستطيع القيام بالفداء إلا الله كما مر بنا، وبما أنه ليس من المعقول أن يخلق الله شخصا نظيره، لأن المخلوق يكون محدثا، والمحدث لا يكون مثل القديم الأزلي في شيء من خصائصه، إذا ليس هناك كائن غير الله يستطيع أن يفدينا ويكفر عنا سيئاتنا.
فضلا عن ذلك لو أن الله خلق شخصا نظيره للقيام بهذه المهمة، لكان قد ظلم هذا الشخص وعاقبه بأشنع عقوبة دون ذنب جناه. أما إذا كان هو يقوم بافتدائنا بنفسه، فلا يكون قد ظلم أحدا أو قسا عليه، بل يكون قد أظهر منتهى المحبة والرحمة لنا، الأمر الذي هو خليق به. كما أنه لو قام شخص غير الله بفدائنا، لأصبح هذا الشخص مصدر حياتنا وولي نعمتنا (لأنه يكون بالنسبة لنا المنقذ من العذاب الأبدي والواهب الحياة الأبدية لنا)، ولصرنا كلنا تبعا لذلك عبيدا له من دون الله. كما يكون الله قد تنازل لهذا الشخص عن مجده الذاتي كالسيد الرب الوحيد الذي له وحده الإكرام والعبادة. والحال أن الله لا يمكن أن يتنازل عن مجده هذا لكائن ما (إشعياء 8:42)، لأنه فضلا عن أنه لا إله إلا هو، لا يجوز أن يكون هناك إله معه على الإطلاق (وإلا لكان محدودا في قدرته، وهذا محال)، لذلك كان أمرا بديهيا أن يقوم الله نفسه بافتدائنا كما ذكرنا.

10 - إن محبة الله للبشر، مهما بلغت شدتها، لا يمكن أن تصل الى الدرجة التي يقوم معها بفدائهم بنفسه، لما يتطلبه الفداء من تضحية لا قبل لنا على تصورها.

الرد: إذا كان الأب البار بأبنائه، مع ما فيه من نقائص، يحبهم محبة شديدة ويحتمل بنفسه نتائج أخطائهم عوضا عنهم، لذلك لا غرابة إذا كان الله الكامل كل الكمال يرضى، في محبته التي تفوق محبة الآباء بدرجة لا حد لها، أن يتحمل عنا نتائج خطايانا، بل يعوض ما نكون قد فقدناه، بل وأكثر مما نكون قد فقدناه من امتيازات، بسبب جهلنا وانحرافنا عنه. والكتاب المقدس مليء بالآيات التي تدل على أن الله يسر بنا ويحبنا محبة لا حد لها، الأمر الذي يدل على أن فداءه لنا أمر يتوافق ليس فقط مع ذاته وما بها من كمال مطلق، بل ويتوافق أيضا مع علاقته بنا كما ذكرنا.

ففي التوراة، أعلن الوحي أن لذات الله هي مع بني آدم (أمثال 31:8)، وأنه أحب المؤمنين محبة أبدية، ولذلك أدام لهم الرحمة (أرميا 3:31). وأنهم أعزاء ومكرمون في عينيه (إشعياء 4:43)، وبمثابة حدقة العين لديه (تثنية 10:32) وأنه بمحبته ورأفته يفكهم من ضيقاتهم (إشعياء 9:63)، وأنه يجذبهم بربط المحبة إذا ضلوا عنه (هوشع 4:11)،

وأنه أحبهم ليس لصلاح فيهم بل أحبهم فضلا (هوشع 4:14)، أو بالحري دون أن يكون هناك شيء فيهم يدعوه الى إظهار المحبة لهم.

وفي الإنجيل، أعلن الوحي أن مسرة الله هي في الناس (لوقا 14:2)، وأنه أحب العالم بأسره (يوحنا 16:3)، وأنه أحب المؤمنين به الى المنتهى (يوحنا 1:13) وأنهم لذلك يدعون أحباء الله (رومية 7:1) وأولاده (1يوحنا 1:3).

فضلا عن ذلك فقد أعلن الوحي أن المحبة ليست مجرد صفة من صفات الله بل أنها ذات طبيعته، فقد قال " الله محبة" (1يوحنا 8:4)، أي أنه بكلياته وجزئياته(إن جاز التعبير) محبة. ولذل فإنه لا يقف عند حد الإهتمام بالناس أو الإحسان إليهم، بل إنه أيضا يتوق إليهم ويريد الإتصال بهم اتصالا وثيقا. ومن ثم فإنا بقولنا إن الله يحب البشر، نعني (سواء اعترفنا بشفاهنا أو لم نعترف) أنه يضحي بكل شيء لديه في سبيل خيرهم وإسعادهم.

ومما تجدر الإشار إليه أن المسيحية وحدها هي التي تعلن أن الله يحب جميع الناس، وليس الصالحين منهم فحسب كما تقول غيرها من الأديان. ومحبة الله لنا ليست هي الرحمة والشفقة فحسب (كما يظن البعض)، بل هي (إن جاز التعبير) التعلق بنا تعلقا يجعله يجد كل سروره فينا، كما يجعله يضحي بكل عزيز وغال لديه في سبيل إسعادنا. ولإيضاح الفرق بين المحبة والرحمة بمثل مادي نقول: قد تأخذنا الشفقة أحيانا على مجرم أثيم وصل الى أحط درجات البؤس والشقاء، فنمده (مثلا) بما يحتاج إليه من غذاء أو كساء، ولكننا لا نستطيع أن نأتي به الى منزلنا ليعيش بين أفراد عائلتنا ويأكل ويشرب ويتسامر معنا، وذلك بسبب اختلاف أخلاقه عن أخلاقنا كل الإختلاف. فنحن بتصرفنا هذا، نكون قد أشفقنا عليه، لكن لا نكون قد أحببناه. والرحمة الخالية من المحبة قاسية كل القسوة، ولا تقبلها إلا النفوس الدنيئة الحقيرة، كما أنها لن تكون عاملا في تهذيب هذه النفوس أو إصلاحها. أما الله جل شأنه فلا يشفق على الخطاة فقط بل ويحبهم أيضا، ومن ثم فإنه يتحمل في نفسه خطاياهم، بل ويعمل على تأهيلهم للتوافق الروحي معه، الأمر الذي

يملأ المخلصين منهم بالمحبة الخالصة له، ويجعلهم يحفظون وصاياه ويتفانون في خدمته واكرامه دون النظر الى جزاء أو ثواب.

11 - من هو الإنسان بالنسبة الى الكون المترامي الأطراف، حتى يحبه الله بهذا القدر؟
الرد: إن العظمة ليست في الضخامة بل في الفهم والإدراك، وإلا لكان الفيل أعظم قدرا من الإنسان لأنه أكبر حجما منه ـــ حقا إن الإنسان مخلوق ضعيف، إذ أن أصغر الميكروبات تستطيع الفتك به. لكن الله في نعمته الغنية ميّز الإنسان عن كل المخلوقات بمميزات سامية، إذ فضلا عن أنه خلقه على صورته كشبهه، فقد جعله الممثل له على الأرض والمتسلط عليها من قبله (تكوين 28:1). والواقع يؤيد هذه الحقيقة كل التأييد، فإن آثار الإنسان في العالم تدل على أنه أسمى المخلوقات وأعظمها ادراكا وذكاء، فقد أخضع قوى الطبيعة لسلطانه، واستأنس الحيوانات واستخدمها لقضاء حاجاته، وزرع النباتات وألف منها أنواعا جديدة، وكشف عن مصادر الثروة في البر والبحر معا. كما عرف الكهرباء والطاقة الذرية واستخدمهما في قضاء مآربه. وفي الوقت الحاضر انطلق الى الفضاء وهبط على القمر والمريخ وأخذ يحاول الهبوط على غيرهما من الكواكب أيضا. وحقا لقد صدق شكسبير في قوله قديما عن الإنسان " إنه أعظم من كل ما في الكون من كائنات"، فليس في العالم كائن يشبه الإنسان في الفهم والإدراك والطموح الى العلاء، ومن ثم لا عجب إذا كان الله يحب الإنسان محبة لا حد لها، ويقبل على افتدائه بنفسه طالما أنه ليس هناك من يفتديه سواه، كما ذكرنا فيما سلف.

12 - إن الله وإن كان لا يعسر عليه أمر، لكن تحمله نتائج خطايانا في نفسه عوضا عنا، أمر لا يتفق مع العقل.

الرد: (أ) إن الله ليس فقط مثل الحاكم الذي لا يعامل شعبه إلا بالحق والعدل، بل مثل الأب الذي يبذل النفس والنفيس من أجل اسعاد أبنائه كما سبقت الإشارة. فضلا عن ذلك، فهناك فرق كبير بين الأمور التي لا تتفق مع العقل وبين تلك التي تفوق ادراكه. فالثانية هي ما تتفق مع العقل في ذاتها، لكن لعظمتها تسمو فوق ادراكه في كيفية تنفيذها، ومن ثم لا يستطيع الإحاطة بها. أما الأولى فلا تتفق مع العقل إطلاقا، لا في ذاتها ولا في كيفية تنفيذها، فإذا قيل (مثلا) إن الله لا يعبأ بالإنسان (كما ينادي بعض الفلاسفة)، فإن هذا القول لا يتفق مع العقل، لأنه من المفروض أن يهتم الله بالإنسان الذي خلقه على صورته كشبهه. أما إذا قيل إنه أحب الإنسان وفداه بنفسه، فإن هذا القول لا يكون ضد العقل بل أسمى منه، لأنه من المفروض أن يحب الله الإنسان كما ذكرنا، ومن المفروض أيضا أن تكون محبته له متناسبة مع ذاته. وبما أن ذاته لا حد لها، تكون محبته للإنسان لا حد لها أيايضا. وبما أن المحبة التي لا بد لها تظهر في القيام بخدمات وتضحيات لا حد لها في قدرها ونوعها، إذا إن كان الله يقوم بأعظم تضحية في سبيل انقاذنا من قصاص خطايانا

ومنحنا طبيعة روحية نتوافق بها معه في صفاته السامية، لا يكون قد أتى أمرا ضد العقل، بل أسمى من العقل، وفي الوقت نفسه يتفق مع العقل كل الإتفاق ـ وهذا ما يدعونا الى تصديقه وقبوله بكل شكر وحمد.

(ب) فضلا عن ذلك إذا كانت الحكومات تبجل من يضحون بعضو من أجسامهم ـ ومن بين الذين قاموا بهذا العمل في مصر في عام 1964 سيدة، اعتبرت أما مثالية، وعامل في عام 1966 فمنح وسام الجمهورية، وسيدة في عام 1970 فمنحت وسام الكمال من الدرجة الثانية، واعتبرت أما مثالية ـ وإذا كنا نحن نبجل الفدائيين ونجلهم ونشيد بعظمتهم، مع أنهم في سبيل إنقاذ بلادهم من أيدي الأعداء المغتصبين، يقتلون أشخاصا قد يكونون أبرياء كل البراءة، فلا شك أن فداء الله لنا الذي يترتب عليه أن يتحمل نتائج خطايانا عوضا عنا، دون أن يسبب ضررا أو أذى لواحد منا، لأمر عظيم كل العظمة وسام كل السمو، وجدير أيضا بكل إكرام وتقدير.

13 - إن افتداء الله لنا بنفسه يفرض علينا التأثر والتأثر يدل على التغيير، والحال إن الله لا يتغير.

الرد: إذا نظرنا الى الله كمجرد فكرة أو قوة، أو كإله جامد أو غير معين، أو كمقيم في عزلة عن خليقته (كما ينظر إليه بعض الفلاسفة)، لا يمكن طبعا إسناد التأثر إليه بحال. لكن إذا نظرنا إليه كما هو، ذات يتصف بكل صفات الكمال يتصل بنا اتصالا وثيقا لمحبته التي لا حد لها لنا، ووضعنا أمامنا أن كل علاقة بين طرفين تقتضي حدوث تأثير في كل منهما، اتضح لنا أنه لا مفر من التسليم بأن الله يتأثر (على نحو يتفق مع روحانيته المطلقة) بسبب علاقته بنا كما ذكرنا فيما سبق. غير أن تأثر الله هذا لا يؤدي الى حدوث تغير في ذاته، لأنه كان يعرف كل شيء عنا منذ الأزل، ومن ثم يكون قد قصد من الأزل أن يفتدينا بنفسه، لأن هذه هي الوسيلة الوحيدة لخلاصنا. ولذلك عندما أخطأنا في الزمان وتطلب الأمر أن يعلن فداءه لنا، لا يكون قد طرأ عليه أمر جديد يستدعي حدوث تغير في ذاته، إذ يكون فقط قد أعلن لنا ما قصد أن يعمله أزلا، كما خلق العالم في الزمان دون أن يطرأ عليه تغير ما، بسبب علمه بهذا العالم منذ الأزل.

14 - ما الذى يُلزم الله بافتدائنا، وما الذي يهدف إليه بهذا الإفتداء؟.

الرد: (أ) طبعا ليس هناك شيء في الوجود يستطيع أن يفرض على الله القيام بعمل ما، بل إنه يقوم بكل أعماله بمحض إرادته ومشيئته، لأنه ليس هناك من له أدنى سلطة أو تأثير عليه. لذلك من البديهي أن يكون الباعث الوحيد على افتدائه لنا، هو كماله المطلق ومشيئته الصالحة من نحونا. فقد قال الوحي عنه: يعمل كل شيء " حسب قصده"

و " حسب مسرة مشيئته"، و " حسب مسرته التي قصدها في نفسه" (أفسس 5:1 – 11).

كما أن الله لا يهدف بهذا الفداء الى الحصول على خير منا، لأنه فضلا عن أنه ليس في حاجة الى خير من أي كائن من الكائنات، لأنه كامل في ذاته كل الكمال ومستغن عن كل شيء من الأشياء، فإن التضحية التي تعمل للحصول على خير تفقد قيمتها وتصبح عملا تجاريا لا يليق بكائن عظيم مثل الله، ومن ثم فإنه لا يقصد بالفداء إلا خير البشر وإسعادهم، وفي خيرهم وإسعادهم تتحقق أغراضه السامية من نحوهم.
(ب) فضلا عن ذلك، إذا كان الأمناء من البشر (كما نعلم جميعا) يتصرفون في الأعمال المسندة إليهم بكل نزاهة وإخلاص. وإن استلزم الأمر، فإنهم يضحون عن طيب خاطر بصحتهم ومالهم للقيام بهذه الأعمال على الوجه الأكمل، ليس خوفا من رؤساء أو طمعا في جزاء بل مراعاة لضمائرهم ومبادئهم، لذلك ليس من المعقول إطلاقا أن يترك الله، وهو الكامل في كل صفاته، طريق الفداء الذي يتفق مع عدالته وقداسته، ويلجأ الى طريق التساهل معهما أو عدم المبالاة بهما، ألا وهو طريق الغفران بدون فداء.

ومن أمثلة الأمناء الذين أشرنا إليهم (كما طالعتنا الصحف أكثر من مرة) قضاة، عُرضت عليهم قضايا ضد أشخاص يمتون إليهم بصلة القرابة. ولما درسوها وجدوا أن القانون يقضي على هؤلاء الأشخاص بغرامات مالية يعجزون عن دفعها، فأبت نزاهتهم أن يستغلوا مراكزهم لتبرئة أقربائهم أو تخفيض الغرامات الواجب تحصيلها منهم، ولذلك بعد أن أصدروا الآحكام عليهم بالغرامات القانونية، دفعوا من جيوبهم هذه الغرامات عوضا عنهم، ومن ثم حفظوا للقانون كرامته، ولنفوسهم نزاهتها وعفتها، كما رفعوا رؤوس أقربائهم وصانوهم من نقد المنتقدين وتهكم المتهكمين ـ فإذا كان بعض البشر يتصرفون هذا التصرف النبيل، فلا شك أن الله الذي هو أسمى منهم بدرجة لا حد لها، لا يمكن أن يهمل مطالب عدالته وقداسته بسبب عطفه على الناس ومحبته لهم.

(جـ) أما الإعتراض [بأن القضاة المذكورين ربما دفعوا الغرامات خوفا من المؤاخذة وبالأخص من رؤسائهم، لكن الله ليس عليه رقيب يحاسبه، ولذلك لا حرج عليه إذا كان يعفو عن الخطاة دون تضحية من جانبه] فنقول: إن الله وإن لم

يكن عليه رقيب يناقشه الحساب، لكن له كماله الذاتي الذي ينزهه عن أي تصرف لا يتفق مع القداسة والعدالة، كما ذكرنا سابقا.

15 - إن التضحية بالمال والصحة والوقت أمر جائز، لكن تحمُل الآلام نيابة عن المذنبين أمر لا يتفق مع العدالة، لأن هذه تقتضي بأن المذنب هو نفسه الذي يجب أن يسجن أن يجلد أو يقتل.

الرد: (أ) طبعا لو كان المذنبون السابق ذكرهم محكوما عليهم بالسجن أو الجلد أو القتل، لما كان من الجائز للقضاة مهما كانت درجة القرابة التي تربطهم بهم، أن يتحملوا عنهم هذه العقوبات. لكن لا يمكن أن يكون هذا هو الحال من جهة موقف الله إزاء الخطاة، لأنه هو وحده الذي وضع القانون الخاص بمعاقبتهم، وهو وحده الذي ينفذ هذا القانون، وذلك بالطريقة التي تتفق ليس مع عدالته فحسب بل ومع رحمته أيضا، لأن هذه متحدة مع تلك كل الإتحاد في ذاته. وإذا كان الأمر كذلك، فإن عقولنا لا تستبعد مطلقا أن يقوم الله بالتكفير بنفسه عنا، لأنه بهذه الوسيلة يفي مطالب عدالته التي لا حد لها، وفي الوقت نفسه يظهر لنا رحمته التي لا حد لها أيضا. ولو لم يقم بهذا العمل من تلقاء ذاته، لكان حرج موقف الأتقياء الذين يحبونه والبؤس الذي يهددهم في الحاضر والمستقبل معا مثل غيرهم من الناس، يطالبانه باسم رحمته ومحبته اللتين لا حد لهما، أن يقوم به على حساب نفسه، لأنه خالقهم ولا ملجأ لهم إلا شخصه ولا رجاء لهم إلا عنده، ولا ريب أنه كان يستجيب لهم، مهما تطلب الأمر من تضحية، وهذا ما حدث فعلا كما سنرى فيما سيلى..

16– إن العدالة، كما أعلن الوحي، هي أن لا يحمل الإبن إثم أبيه، أو الأب إثم ابنه (تثنية 16:24، حزقيال 20:18)، بل أن النفس التي تخطئ هي تموت. فكيف يحمل الله إثمنا ويتألم بسببه عوضا عنا؟

الرد: (أ) إن كلا من الأب والإبن مخلوق بواسطة الله، ومسئول شخصيا أمامه عن الآثام التي يقترفها وحده، ولذلك لا يحمل أحدهما إثم الآخر. ولكن الله وإن كان غير مسئول أمام كائن ما، غير أنه مسئول (إن جاز التعبير) أمام ذاته، وذاته لا تتصف فقط بالعدالة التي لا حد لها، بل وأيضا بالرحمة التي لا نهاية لها، لأن هذه وتلك متحدتان في ذاته دائما أبدا، وذلك لكماله المطلق في كل صفة من صفاته. ومن ثم فإن موقف الله إزاءنا لا يكون موقف العدالة المجردة، بل موقف العدالة المتحدة بالرحمة، أو بالحري موقف التضحية. وهذا ما يدعوه الى تحمل نتائج خطايانا إيفاءا لمطالب عدالته، وتحملها نيابة عنا إيفاءا لمطالب رحمته.

(ب) حقا ما أخطر النتيجة التي وصلنا إليها، لكنها على أي حال ليست مؤسسة على ظنون أو أوهام بل عل حقائق معقولة، ولذلك فإن سموها عن إدراكنا لا يقلل مطلقا من قانونيتها وأحقيتها. وإننا إذ نقرر ذلك، لا نكون قد سلكنا مسلكا شاذا بل مسلكا طبيعيا مألوفا، فنحن جميعا نؤمن (مثلا) بوجود الروح البشرية وتكوين الأفكار المعنوية في المخ المادي، ليس لأننا أدركنا ماهية الأولى أو كيفية حدوث الثانية، بل لمجرد ظهور أدلة معقولة تثبت حدوث هذه ووجود تلك، ومن ثم لا يجوز رفض حقيقة افتداء الله لنا، طالما قد توافرت الأدلة صدقها.

أما من جهة تهكم بعض الناس علينا بسبب اعتقادنا بتكفير الله بنفسه عن خطايانا، فلا يؤثر على موقفنا منه في قليل أو كثير، لأنهم إذا كانوا على شيء من الإخلاص، فلينبئونا كيف يمكن أن يغفر الله لنا خطايانا وهو عادل بقدر ما هو رحيم، وكيف يمكننا أن ندنو منه وهو قدوس بقدر ما هو رؤوف؟! وإن عجزوا عن الإجابة، ولا نخالهم إلا عاجزين، فإنهم كما قال الوحي يعترضون باب الخلاص، فهم لا يدخلون، ولا يدعون الراغبين في الدخول أن يدخلوا (متى 13:23)، ومن ثم لا يكون لأقوالهم وزن أو قدر.

الله الظاهر في الجسد هو الفادي

حقا ليس هناك مؤمن في الوجود إلا ويتوق لمعرفة الشخص (أو بالحري الناسوت) الذي ظهر الله فيه للقيام بالفداء. فمن هو هذا الشخص يا ترى؟

الجواب: إذا تصفحنا حياة الأشخاص الذين ظهروا في العالم نرى أن هذا الشخص هو المسيح، لأنه هو الذي توافرت فيه جميع الشروط التي ذكرناها سابقا ، كما يتضح فيما يلي:

1 - فهو لم يرث الخطيئة في طبيعته الإنسانية، لأنه وُلد بدون الأب المورث لها، إذ كانت ولادته من العذراء بقوة الروح القدس (لوقا 35:1).

2 - وعاش بقوته الذاتية دون خطيئة، مع أنه كانت له كل الإحساسات الطبيعية مثل الشعور بالجوع والعطش والألم والحادجة الى النوم (متى 2:4، يوحنا 7:4، 23:18، لوقا 23:8)، وغير ذلك من الإحساسات التي كانت كافية

(لولا كماله الذاتي) بأن تميل به الى الإنحراف عن حق الله، ولكنه لم ينحرف عنه على الإطلاق. ولذلك كان أسمى من آدم بما لا يقاس، فهذا على الرغم من أنه خُلق خاليا من الخطيئة، غير أنه مال إليها وسقط فيها، على النقيض من المسيح تماما.

3 - ومن ثم فان نفس المسيح كانت توازي نفوس البشر جميعا، بل وتفضل عنها قيمة وقدرا. لأنه هو الكامل، أما هم فبسبب خطاياهم ناقصون. وإن اجتمع بعضهم الى البعض الآخر، فإن هذا لا يقلل من نقصهم، بل يزيده نقصا.

4 - ومع ذلك كان المسيح (من الناحية الناسوتية) إنسانا حقيقيا من جنسنا، فجسده وإن كان خاليا من الخطيئة، غير أنه كان جسدا ماديا مثل أجسادنا. فقد قال الوحي:" فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو (أي المسيح) أيضا كذلك فيهما" (عبرانيين 14:2). كما أنه لما ظن تلاميذه بعد قيامته من بين الأموات أنه روح، قال لهم:" انظروا يديّ ورجليّ، إني أنا هو. جسوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي" (لوقا 36:24 - 39).

5 - ورغم أنه كان إنسانا حقيقيا، كانت نفسه ملكا له. فقد قال عنها:" ليس أحد يأخذها مني، بل أضعها (أي أسلمها) أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها، ولي سلطان أن آخذها (أي استردها) أيضا" (يوحنا 18:10).

وقد برهن عمليا على صدق شهادته هذه، إذ أنه بعدما قدم نفسه كفارة عن البشر وأسلم روحه من أجلهم، استردها ثانية وقام من بين الأموات، كما ذكرنا بالتفصيل في كتاب " قيامة المسيح والأدلة على صدقها".

6 - وكان في إمكانه أن يبعث حياة روحية في البشر، ترقى بهم فوق قصورهم الذاتي وتجعلهم أهلا للتوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية الى الأبد. فقد قال عن رعيته:" وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك الى الأبد" (يوحنا 28:10).

وقد اختبر المؤمنون به هذه الحياة عمليا في نفوسهم، فقد قال بولس الرسول:" لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع، قد اعتقني من ناموس الخطيئة والموت" (رومية 2:8).

7 - فضلا عما تقدم فقد كان من الناحية الباطنية هو ذات الله، ومن ثم استطاع أن يكفر عن البشر جميعا تكفيرا يفي مطالب عدالته التي لا حد لها، كما يتضح لاحقا.

وإذا كان الأمر كذلك، فالمسيح هو أيضا الشفيع أو المحامي الذي أشرنا إليه. ومن ثم قال الرسول للمؤمنين الحقيقيين:

" أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا (لأنه أعطاكم بالمسيح حياة روحية تستطيعون بها التسامي فوق الخطية). وإن

(حدث أن) أخطأ أحد (سهوا) فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا" (1يوحنا 1:2).

لماذا لا يقبلنا الله على أساس الأعمال؟

أ - التبرير عن طريق الأعمال يتجاهل أربعة أمور أساسية في الإنسان:

1 - ما فعلته الخطية في الإنسان:

الخطية شوهت كيان الإنسان. وفي هذا يقول الوحي:" فإني أعلم أن ليس ساكن في أي في جسدي شئ صالح لأن الإرادة حاضرة عندي وإما أن أفعل الحسنى فلست أجد. لأني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لا أريده فإياه أفعل. فإن كنت ما لست أريده أياه أفعل فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فيّ (رومية 18:7 - 20).

" ولكني ارى ناموسا آخر في أعضائي يحارب ذهني ويسبيني الى ناموس الخطية الكائن في أعضائي (رومية 23:7).

2 - مسئولية الإنسان:

إذا فعل الإنسان كل الصلاح فلا يستحق مكافأة. " كذلك أنتم أيضا متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون لأننا عملنا ما كان يجب علينا" (لوقا 10:17).

3 - محدودية الإنسان:

الحياة الأبدية في السماء مكافأة غير محدودة. ماذا يستطيع المحدود أن يفعل لكي يربح الغير محدود؟
ماذا يستطيع الإنسان المحدود أن يفعل لكي ينال رضى الله الغير محدود؟

4 - مذنوبية الإنسان:

الإنسان عنده خطية وذنب يحتاج الى علاج أولا قبل أن نبحث في أي قبول لأعماله. " لأن أجرة الخطية هي موت وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا" (رومية 23:6).
" هأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بي أمي" (مزمور 5:51).
" بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطايام سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع" (إشعياء 2:59).

ب - التبرير بالأعمال يتجاهل ثمانية أمور أساسية عن الله:

1 - دينونة الله:

" عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية لكي لا نعود نستعبد أيضا للخطية" (رومية 6:6).
" إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد" (كولوسي 9:3 - 10).

* **الله أدان الإنسان العتيق ويريدنا أن نكون خليقة جديدة بالإيمان بإبنه.**

2 - قصد الله:

" لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه" (رومية 29:8).

* **قصد الله ليس ليس إصلاح وتجميل الإنسان العتيق، بل أن يغيره الى صورة ابنه.**

3 - نعمة الله:

" متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح" (رومية 24:3).

" لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله. ليس من أعمال لكي لا يفتخر أحد" (أفسس2:8- 9).

* **دم المسيح وحده يكفي ولا يمكن إضافة شئ إليه.**

4 - طريق الله وفكره عن الخلاص:

" آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك" (أعمال 31:16).
" ليس بأحد غيره الخلاص" (أعمال 12:4).
" فقال للمرأة إيمانك قد خلصك" (لوقا 50:7).

* **المسيح هو وحده طريق الخلاص وهو الذي قال عن نفسه إنه الطريق والحق والحياة.**

5 - بـر الله:

" كثوب عدة كل أعمال برنا" (إشعياء 6:64).
" لك يا سيد البر. أما لنا فخزي الوجوه" (دانيال 7:9).
" هكذا ببر واحد صارت الهبة الى جميع الناس لتبري الحياة" (رومية 18:5).
" تبتهج نفسي بإلهي لأنه ألبسني ثياب الخلاص كساني رداء البر" (إشعياء 10:61).

* **الله هو الذي ألبس آدم وحواء أقمصة الجلد ليستر عورتاهما في الجنة. بر الله وحده الذى يبرر الانسان.**

6 - كمال الله:

" فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل" (متى 48:5).
" وقال له أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملا" (تكوين 1:17).

*** أعمالنا لن تجعلنا كاملين، ولكن كمالات المسيح تستر كل عيب فينا لأن الآب بررنا في ابنه.**

7 - قداسة الله:

" نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضا قديسين في كل سيرة" (1بطرس 15:1).
" أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها مطهرا إياها بغسل الماء بالكلمة" (أفسس 25:5 - 26).
" ودم يسوع ابنه يطهرنا من كل خطية" (1يوحنا 7:1).

*** الخطية فصلت الإنسان عن الله القدوس. دم المسيح وحده يطهرنا من كل خطية.**

8 - إهانة آدم لله:

في الجنة، صدق الإنسان الشيطان وكذب الله وفي هذا أهان الله إهانة بالغة.
ولهذا فعندما نصدق شهادة الله عن ابنه فإننا نكرمه.. فالإيمان يكرم الله. من لم يصدق الله فقد جعله كاذبا لأنه لم يؤمن بالشهادة التي قد شهد بها الله عن ابنه وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي في ابنه، من له الإبن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة. (1يوحنا 10:5 - 12).

*** تصديق شهادة الله عن ابنه اكرام له.**

صلب المسيح

شهادة المسيح عن صلبه، والأدلة على صدقها

1- شهادة المسيح عن صلبه قبل حادثة الصلب والأدلة على صدقها

أولا : شهادة المسيح عن صلبه قبل حادثة الصلب:

1 - لما طلب اليهود من المسيح أن يريهم معجزة غير المعجزات الباهرة التي عملها أمامهم، قال لهم:" جيل شريرٌ وفاسِقٌ يطلبُ آية ولا تُعطى لهُ آيةٌ إلا آية يُونان النبي. لأنهُ كما كان يُونان في بطن الحُوتِ ثلاثةَ أيام وثلاث ليال، هكذا يكُونُ ابنُ الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال" (متى 12:38- 40). مشيرا بذلك الى أنه سيموت ويُدفن ويظل ثلاثة أيام وثلاث ليال في قبره هذه المدة من الزمن.

2 - ولما أدرك تلاميذه أنه هو المسيح المخلص المنتظر، وأنه سيملك على العالم الى الأبد، كما أشارت التوراة (اقرأ مثلا مزمور 72:8، إشعياء 9:6 - 7، 52:7، دانيال 2:44، ميخا 4:7)، وجال في خاطرهم أنه لن يموت مثل الناس، قال لهم أنه" ينبغِي أن يذهب الى أورشليم ويتألم كثيرا من الشيُوخ ورُؤساءِ الكهنة والكتبة ويُقتل وفي اليوم التالي يقوم. فأخذه بُطرُسُ إليه وابتدأ ينتهرُهُ قائلا:" حاشاك يا ربُّ! لا يكونُ لك هذا!. فالتفت وقال لبُطرس:" اذهب عني يا شيطان. أنت معثرةٌ لي لأنك لا تهتمُ بما لله لكن بما للناس". حينئذ قال يسُوع لتلاميذه:" إن أراد أحدٌ أن يأتي ورائي فلينكر نفسه، ويحمل صليبهُ، ويتبعني" (متى 16:21 - 24).

3 - ولما نزل من جبل الجليل، بعد إعلان مجده الذاتي لثلاثة من تلاميذه قال لهم:" لا تُعلمُوا أحدا بما رأيتُمْ حتى يقُومَ ابنُ الإنسانِ من الأموات.. كذلك ابنُ الإنسان أيضا سوف يتألمُ مِنهُمْ (من اليهود)، (متى 17:9، 12).

ووصفه لنفسه أنه " ابن الإنسان" لا يراد به أن المسيح ابن من أبناء آدم، بل أنه إنسان حقيقي بناسوته، توافرت فيه صفات الإنسانية في كمالها الذي يريده الله لها، الأمر الذي جعله رأسها الروحي بل ونائبها ومخلصها. ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك، لأن المسيح وُلد من عذراء وعاش دون خطية على الإطلاق، مغايرا في ذلك البشر جميعا.

4 - ولما ذهب يوما مع تلاميذه الى الجليل، قال لهم عن نفسه " ابن الإنسان يُسلمُ الى رُؤساء الكهنة والكتبة فيحكُمُون عليه بالموت، ويسلمُونهُ الى الأمم لكي يهزأوا بهِ ويجلدوهُ ويصلبُوهُ وفي اليوم الثالث يقوم" (متى20:17- 19).

5 - ولما تحدث مرة عن العظمة الحقيقية، قال لتلاميذه:" من أراد أن يكُون فيكُم أولا فيكُن لكُم عبدا، كما أن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدم بل ليخدم وليبذل نفسهُ فدية عن كثيرين" (متى 20:27، 28).

6 - ولما تحدث عن السبيل الى الحياة الأبدية قال:" وكما رفع مُوسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرفعَ ابنُ الإنسان، لكي لا يهلك كل من يُؤمن به، بل تكونُ لهُ الحياةُ الأبديةُ. لأنهُ هكذا أحب اللهُ العالم حتى بذل ابنهُ الوحيد، لكي لا يهلك كُل من يُؤمن به، بل تكونُ لهُ الحياة الأبدية" (يوحنا 3:14 - 16).

وتعود حادثة الحية النحاسية الى يوم تذمر بنو إسرائيل على الله وعلى عبده موسى في صحراء سيناء قديما أهاج عليهم الحيات، فاخذت تلدغهم لدغات قاتلة. فهُرعوا جميعا الى موسى ليصلي لأجلهم. فقال الله له: إصنع حية من نحاس وضعها على سارية، فكل من لدغ ونظر إليها يحيا (عدد 21:4- 9). والحية النحاسية هذه كانت رمزا الى المسيح من النواحي الآتية:

(أولا) إنه لم يكن بها سم مثل الحيات، والمسيح لم تكن به خطية مثل الناس؛ (ثانيا) إنها لم تكن في ذاتها حية من الحيات المعروفة لدينا، بل كانت شبه حية. والمسيح وإن كان قد ظهر في جسد مثل أجسادنا، غير أن جسده لم يكن " جسد الخطية" الذي نعيش فيه، بل " شبه هذا الجسد" (رومية 8:3)، لأنه وُلد من عذراء؛ (ثالثا) إن الموت حل ببني إسرائيل بواسطة حية. ولذلك شاء الله أن يكون خلاصهم منه بواسطة حية من نوع آخر. وهكذا الحال من جهة الخطية التي تؤدي الى العذاب الأبدي، فإنها دخلت الى البشر بواسطة إنسان هو آدم الأول، فشاء الله أن يكون خلاصهم منها ومن عذابها الأبدي بواسطة إنسان آخر، هو آدم الأخير، أي المسيح (رومية 5 : 10 - 12)؛ (رابعا) إن النظر

بالعين الجسدية الى الحية النحاسية كان هو السبيل الذي عينه الله للشفاء، والنظر بالعين الروحية الى المسيح (أي الإيمان الحقيقي بشخصه) هو السبيل الذي عينه الله للخلاص من الخطية وعذابها الأبدي (يوحنا 16:3).

أما الإصطلاح " ابن الله الوحيد" الوارد في (يوحنا 16:3) فلا يُراد به المعنى الحرفي، لأن الله روح (يوحنا 25:4)، والروح لا يلد ولا يولد، بل يُراد به المعنى الروحي، وهو (كما يتضح من الكتاب المقدس) أنه الكائن الوحيد الذي يعلن الله الذي لم يره أحد قط (يوحنا 18:1). ولذلك يُسمى هذا الكائن أيضا " كلمة الله"، (يوحنا 1:1- 4)، لأن " الكلمة" تعلن عن صاحبها. وبما أنه لا يُعقل أن الله كان بدون " كلمة" أزلا، ثم اتخذ له " كلمة" في دور من الأدوار (وإلا يكون قد تعرض للتطور والتغير)، لذلك فالكائن المسمى " ابن الله" أو " كلمة الله" لا يكون تابعا لله، إنما يكون ملازما له أزلا ـ هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى: بما أنه لا يعلن الله غير الله، لأنه تعالى لا حد له، وفي الوقت نفسه هو كامل كل الكمال، بينما كل الكائنات مهما كان نوعها محدودة ومعرضة للخطأ، لذلك فالكائن المسمى " ابن الله" أو " كلمة الله" لا يكون كائنا غير الله أو جزءا منه، بل يكون هو ذات الله (أي واحدا مع الله في الذاتية، أو بحسب الإصطلاح المسيحي، يكون أقنوما من أقانيمه) لأنه تعالى لا شريك له ولا تركيب فيه. ولا سبيل للإعتراض على أن " ابن الله" أو " كلمة الله" هو الله وأقنوم من أقانيمه كما ذكرنا، لأن اليهود الذين عاصروا المسيح، كانوا يعرفون هذه الحقيقة كل المعرفة. والدليل على ذلك أن المسيح (الذي هو كلمة الله أو ابن الله) عندما قال لهم مرة إن الله أبوه، اعتقدوا أنه جعل نفسه معادلا لله، أو الله بعينه (لأن الله لا معادل له). فحاولوا أن يرجموه بالحجارة (يوحنا 18:5).

فضلا عن ذلك فإن " البنوة لجماعة ما" يُراد بها معنويا في اللغة العبرية " ذات الجماعة". فقول الله " بنت شعبي" (إرميا 11:8) يُراد به ذات شعبه. وقوله " ابنة متبددي" (صفنيا 1:3) في العبرية يُراد به ذات المتبددين من شعبه. كما أن قوله " جبل بنت (أو ابنة) صهيون" (إشعياء 32:10) يُراد به جبل صهيون. وهذا يشبه الحال في لغتنا العربية، فإن المراد ببنات الفكر، ذات الفكر، أو الفكر معلنا وظاهرا.

وقد ظهر " ابن الله" أو " كلمة الله" في شخص يسوع المسيح ليعلن الله لنا، حتى نستطيع أن ندركه الى أقصى درجة ممكنة، فنعرف السبيل الى التوافق معه في صفاته الأخلاقية السامية. ولذلك قال المسيح إن من رآه فقد رأى الله الآب، أي رآه في ذاته وفي صفاته (يوحنا 9:14). ومع ذلك فالمسيح من الناحية الناسوتية (بعد تجسده كإبن الله أو كلمة الله)، كان إنسانا حقيقيا يشبهنا في كل شئ ما عدا الخطية.

7 ـ وعندما تحدث المسيح عن نفسه كالخبز النازل من السماء ليهب حياة أبدية للذين يقبلونه بالإيمان في قلوبهم، قال: " الخُبز الذي أنا أُعطي هُو جسدي الذي أبذلهُ من أجل حياة العالم" (يوحنا 51:6).

8 ـ ولما تحدث المسيح عن نفسه كالراعي الصالح قال:" أنا هُو الراعي الصالِحُ والراعي الصالِحُ يَبذل نفسهُ عن الخراف" (يوحنا 11:10) قاصدا بالخراف المؤمنين الحقيقيين، لأنهم يتميزون بالطاعة لله، كما تتميز الخراف بطاعة راعيها.

9 ـ ولما شبه المسيح نفسه بحبة الحنطة قال لتلاميذه:" إن لم تقع حبةُ الِحنطة في الأرض وتمُت فهى تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير" (يوحنا 24:12) قاصدا بذلك أنه على أساس موته الكفاري سيأتي بأشخاص كثيرين من العدم والموت الروحي والجسدي والأبدي الى الحياة السعيدة مع الله روحيا وجسديا وأبديا.

ولإيضاح أهمية كفارة المسيح نقول: بما أن رحمة الله توازي عدالته تماما، لكماله المطلق من كل ناحية، فلا يمكن أن يصفح عن الخطاة برحمته، إلا إذا وُفيت أولا مطالب عدالته. وبما أن الخطايا التي نرتكبها سواء بالفكر أو القول أو الفعل هي إساءة الى حق الله الذي لا حد له، فالأعمال الصالحة التي نقوم بها لا تستطيع التكفير عن خطية واحدة من خطايانا، لأن هذه الأعمال مهما كثُرت وتنوعت هي محدودة، والأمور المحدودة لا تستطيع أن تفي مطالب أمر لا حد له. ومادام الأمر كذلك، أدركنا أن الله وحده هو الذي يستطيع أن يفي مطالب حقه لنفسه، وهذا ما فعله عندم قدم المسيح نفسه كفارة على الصليب.

10- ولما تحدث عن الكرامين الذين لم يعطوا الثمر لصاحب الكرم، قال المسيح إنه أرسل في نهاية الأمر ابنه إليهم قائلا في نفسه: لعلهم يهابونه ويعطونه الثمر المطلوب. غير أن الكرامين لما رأوا الإبن، قالوا فيما بينهم:" هذا هُو الوارثُ. هلُموا نقتلهُ ونأخُذ مِيراثهُ! فأخذُوهُ خارج الكرم وقتلوهُ" (متى 33:21 ـ 40)، مشيرا بالإبن الى شخصه

كإبن الإنسان الذي كان عتيدا وقتئذ أن يُصلب. ومشيرا بصاحب الكرم الى الله عز وجل، ومشيرا بالكرامين الى رجال الدين اليهود، لأن الله كان قد أقامهم لكي يفعلوا خيرا، ولكنهم أبوا وتمردوا.

11- ولما دخل المسيح هيكل اليهود صنع سوطا من الحبال وطرد الباعة من الهيكل، ورمى نقود الصيارفة وقلب موائدهم، لأنهم جعلوا الهيكل بيت تجارة (يوحنا 16:2). فثاروا ضده وقالوا: " أية آية تُرينا حتى تفعل هذا؟" فأجابهم: " انقُضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمُه". فوصف جسده بأنه هيكل لذاته، ووصف قيامته من الأموات بإقامة الهيكل (يوحنا 18:2 - 21).

12- ولما تحدث مع اليهود عن ملكوته قال لهم عن نفسه:" ينبغي أولا أن يتألمَ كثيرا ويُرفض من هذا الجيل" (لوقا 25:17).

13- ولما تحدث معهم عن مكر هيرودس الملك (الذي كان يريد قتله) قال عن نفسه:" بل ينبغي أن أسير اليوم وغدا وما يليه لأنهُ لا يُمكنُ أن يهلك نبي خارجا عن أورشليم" (لوقا 31:13- 34).

وقد وصف المسيح نفسه بأنه نبي لأنه باعتباره ابن الإنسان الكامل، لم يشغل فقط مركز نائب الإنسانية الذي له حق التكفير عن خطاياها، بل شغل أيضا مركزي النبي والرسول. فمن جهة مركز النبي قال الله عنه لموسى النبي قديما:

" أقيمُ لهُم (أي لبني إسرائيل) نبيا من وسط إخوتهم مِثلك، وأجعلُ كلامي في فمهِ فيكلمُهُم بكل ما أوصِيه به. ويكونُ أن الإنسان الذي لا يسمعُ لكلامي الذي يتكلم به بإسمي أنا أطالبُه" (تثنية 18:18 - 19). وقد أشار المسيح الى هذه الحقيقة لليهود فقال: " لا تظنوا أني أشكوكُم الى الآب. يُوجد الذي يشكوكم وهُو مُوسى الذي عليهِ رجاؤكم. لأنكم لو كنتُم تُصدقُون مُوسى لكنتُم تُصدقونني لأنهُ هو كتب عني" (يوحنا 45:5 - 46). فكان بنو إسرائيل يعرفون منذ القديم أن نبيا عظيما سيأتي من بينهم يضع الله كلامه في فمه، فيكون هذا النبي لسان الله بينهم. لذلك عندما رأوا يوحنا بن زكريا، سألوه:" ألنبي أنت؟ (بأل التعريف)، فأجاب:" لا".. أنا أعمدُ بماء، ولكن في وسطكم قائم (المسيح) الذي لستم تعرفُونهُ. هُو الذي يأتي بعدي، الذي صار قدامي، لأنهُ كان قبلي (من جهة كونه ابن الله)، الذي لستُ بمُستحق أن أحُل سيُورَ حذائهِ.. فهذا هُو الذي يُعمدُ بالروح القُدُس" (يوحنا 21:1- 34).

وأوجه الشبه بين موسى وبين المسيح من ناحية النبوة (كما يتضح من مقارنة العهد القديم بالعهد الجديد) كثيرة. فموسى أتى بشريعة الناموس، وحرر شعبه من عبودية فرعون، وقادهم الى كنعان. والمسيح أتى بشريعة النعمة، وحرر المؤمنين من عبودية الخطية، وقادهم الى السماء. وموسى كان معرضا للقتل وهو طفل بواسطة فرعون، وعاش في البرية أربعين سنة، وأيد الله رسالته بمعجزات. والمسيح كان معرضا للقتل وهو طفل بواسطة هيرودس، وعاش في البرية أربعين يوما، وأيد الله رسالته بمعجزات فائقة. وموسى أحب شعبه أكثر من نفسه، وكان الوسيط بينهم وبين الله، كما كان يتكلم مع الله مباشرة. والمسيح أحب الناس جميعا حتى بذل نفسه كفارة عنهم، كما كان يتحدث مع الله ويتحدث الله معه مباشرة. فضلا عن ذلك فإنه، على أساس تقديم نفسه كفارة عن الناس، هو الوسيط الوحيد بين الله وبينهم. وطبعا ليس هناك مجال للإعتراض على إطلاق كلمة " نبي" على المسيح في مركزه كإنسان، لأن النبوة لا تدل على طبيعة الكائن المسندة إليه، بل على العمل الذي يقوم به. والمسيح بصورته إنسانا بالتجسد قام بعمل النبي، إذ أعلن أمورا مستقبلة وكشف أسرارا إلهية لم يسبقه الى كشفها أحد.

أما من جهة مركز المسيح كرسول، فقد قيل عنه إنه " رسول اعترافنا" (عبرانيين 1:3)، أي الشخص الذي نعترف به رسولا من الله لنا. لكن وإن كان رسولا، غير أنه يتميز بميزات لا تتوافر في أي رسول سواه فهو: (أولا) لم يحمل رسالة الله فحسب، كما فعلوا، بل كان في ذاته رسالة الله، لأنه ذات كلمة الله الأزلي (يوحنا 1:1- 2)؛ (ثانيا) لم يولد من أب وأم مثل الناس، بل وُلد من عذراء (متى 18:1)؛ (ثالثا) لم يرتكب إثما مثلهم بل عاش حياة الكمال الكامل؛ (رابعا) لم يكن منفصلا عن الله بل كان هو الله معلنا، لأنه كلمة الله، وكلمة الله هو المعلن لله، أو الله معلنا.

14- ولما سكبت امرأة بعد ذلك طيبا عليه عرفانا منها بجميل أسداهُ إليها، قال لتلاميذه عنها:" فإنها إذ سكبت هذا الطيب على جسدي إنما فعلت ذلك لأجل تكفيني" (متى 6:26- 12)، الأمر الذي يدل على أنه كان يعلم أنه سيموت، ثم يُكفن ويُدفن.

15- ولما أقبل عيد الفصح قال لتلاميذه:" تعلمُونَ أنهُ بعد يومين يكُونُ الفِصحُ، وابن الإنسان يُسلمُ ليُصلب" (متى 2:26). كما قال إن واحد منهم سيسلمه لليهود ليصلبوه، وقال لهم:" هُوذا يد الذي يُسلمني هي معي على المائدة. وابن الإنسان ماضٍ كما هُو محتُومٌ ولكن ويل لذلك الإنسان الذي يُسلمه" (لوقا 21:22 22).

ثانيا: الأدلة على صدق الشهادة السابقة:

فضلا عن أن هذه الشهادة مدونة بالوحي الإلهي، الأمر الذي لا يدع مجالا للشك في صدقها فإننا إذا نظرنا إليها من الناحية العقلية، يتضح لنا أنها لا بد أن تكون صادقة أيضا للأسباب الآتية:

1 - يحاول القادة والزعماء في كل الأجيال، بشتى الوسائل، أن يبثوا الشجاعة والإقدام في نفوس أتباعهم. وحتى إن كان هؤلاء القادة والزعماء يعانون أقسى الآلام، فإنهم يُخفون حالتهم الصحية عن أتباعهم لئلا يتسرب إليهم اليأس والفشل. وإن كان الأمر كذلك، وكان المسيح بعيدا كل البعد عن وسائل التمويه والتحايل التي يلجأ إليها الناس، فلا بد من التسليم بأنه كان يعلم علم اليقين أنه سيُصلب. لأنه لولا ذلك ما كان قد خطر بباله أن يتحدث مع تلاميذه عن وجوب صلبه، إذ أن هذا الخبر حز في نفوسهم وفت في عضدهم وهم في أول الطريق معه (متى 23:17).

2 - كما أننا إذا أمعنا النظر في حديث المسيح عن صلبه يتضح لنا أنه لا يرد بمعزل عن النصائح والتعاليم التي كان يوجهها لمعاصريه، بل يرد ممتزجا بها، حتى لا يمكن فصل هذا الحديث عنها دون الإخلال بمعناها. ومن ثم فإنه لا يكون كرقعة ارتقت بثوب، بل كالخيوط التي يتكون منها نسيج الثوب، أو بالحرى لا يكون دخيلا على أقوال المسيح، بل يكون من ذات أقواله.

3 - أخيرا نقول إن تنبؤ المسيح عن صلبه أمر يتناسب مع حياته الطاهرة التي عاشها على الأرض، ومع مقاومته (وهو شخص أعزل) للشر الذي كان يطفح وقتئذ من رجال الدين والسياسة معا. لأن الشر يبغض الخير، والباطل يمقت الحق. لذلك فالمسيح بتنبئه عن صلبه، لم يذكر لنا شيئا غريبا عما نتوقعه في العالم لشخص نظيره.

2- شهادة المسيح عن صلبه بعد حادثة الصلب، والأدلة على صدقها

أولا: شهادة المسيح عن صلبه، بعد حادثة الصلب:

1 - في اليوم الثالث للصلب رجع تلميذان من تلاميذ المسيح الى وطنهما وقد ملأ الحزن قلبيهما بسبب صلبه، فظهر لهما المسيح وقال لهما:" أيها الغبيان والبطيئا القُلُوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياءُ، أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخُل الى مجدهِ؟" (لوقا 13:24- 27).

2 - وفي اليوم المذكور كان تلاميذه (ما عدا واحدا منهم هو توما) مختبئين في غرفة، بعد أن أحكموا غلقها بسبب الخوف من اليهود. فجاء المسيح إليهم والأبواب مغلقة، ووقف في وسطهم وقال لهُم:" سلامٌ لكم!". فجزعوا وخافوا وظنوا أنهُم نظروا رُوحا. فقال لهم:" ما بالكُم مُضطربين ولماذا تخطرُ أفكارٌ في قلوبكم؟ أنظرُوا يديَّ ورجليَّ: إني أنا هُو.. وحين قال هذا أراهُم يديه ورجليهِ.. وقال لهُم:" هذا هو الكلام الذي كلمتكم بهِ وأنا بعدُ معكم، أنه لا بُد أن يتم جميعُ ما هو مكتوبٌ عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير".. وقال لهم:" هكذا هُو مكتوبٌ وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألمُ ويقومُ من الأمواتِ في اليوم الثالث" (لوقا 24:24 - 46).

3 - وبعد ذلك بسبعة أيام، كان تلاميذه مختبئين أيضا داخل الغرفة السابق ذكرها ومعهم توما (الذي كان غائبا في المرة السالفة، فكان يشك في قيامة المسيح). فدخل المسيح إليهم " والأبوابُ مُغلقةٌ ووقف في الوسط وقال:" سلامُ لكمُ". ثم قال لتوما :" هات إصبعك إلى هُنا وأبصر يديَّ (حيث أثر المسامير التي كان المسيح قد سُمر بها)، وهات يدك وضعها في جنبي (حيث أثر الحربة التي كان قد طُعن بها على الصليب)، ولا تكن غير مُؤمن بل مُؤمنا" (يوحنا 26:20- 27).

4 - وأخيرا قال المسيح لتلميذه يوحنا في إعلان سماوي:" لا تخف، أنا هو الأولُ والآخرُ، والحي. وكنتُ ميتا وها أنا حي الى أبد الآبدين" (رؤيا 18:1).

ثانيا: الأدلة على صدق الشهادة السابقة:

فضلا عن أن هذه الشهادة مسجلة بالوحي الإلهي، الأمر الذي لا يدع مجالا للشك في صدقها، فإننا إذا نظرنا إليها من الناحية العقلية يتضح لنا أنها لا بد تكون صادقة أيضا، للأسباب الآتية:

1 ـ لو أن شخصا آخر صُلب عِوضا عن المسيح لكان المسيح صرح لتلاميذه بذلك عند ظهوره لهم بعد موت هذا الشخص، ليعرفوا فشل اليهود في القبض عليه وعدم إصابته بأي أذى منهم. فإذا أضفنا الى ذلك أن المسيح كان متواضعا وصادقا وبعيدا عن التفاخر، اتضح لنا أن شهادته عن نفسه أنه قام بعد صلب اليهود إياه، لا يجوز الشك فيها.

2 ـ لم يكتف المسيح بالشهادة الشفوية عن نفسه أنه هو الذي صُلب، بل أيد شهادته هذه بالدليل القاطع على صدقها، إذ أظهر لتلاميذه آثار المسامير في يديه وأثر الحربة في جنبه. وقد شاهد تلاميذه هذه الآثار بعيونهم ولمسوها بأيديهم. فضلا عن ذلك فقد أثبت المسيح لهم من كتب الأنبياء والمزامير التي كانت بين أيديهم، أنه كان لا بد أن يُصلب كفارة عن البشرية، مما يدل على أن صلبه حادثة حقيقية تؤيدها أدلة واقعية لا سبيل للشك فيها، كما تؤيدها أدلة إلهية مسجلة فى كتب الوحي السابقة لمجيئه الى الأرض بمئات السنين.

شهادة تلاميذ المسيح في الإنجيل

أولا: شهادة المسيح عن صلبه قبل حادثة الصلب:

(وردت حادثة صلب المسيح في إنجيل متى 26، 27 ومرقس 14، 15 ولوقا 22، 23 ويوحنا 18، 19).

وكلمة " إنجيل" مُعربة عن كلمة يونانية معناها " البشارة"، أو " الخبر السار" لأن الإنجيل يعلن مجيء المسيح الى العالم وتقديم نفسه كفارة عن الخطاة، حتى لا يهلك كل من يؤمن به إيمانا حقيقيا، بل تكون له الحياة الأبدية (يوحنا 16:3).

ولم يستخدم الوحي الإلهي واحدا فقط من أتباع المسيح لتسجيل حادثة الصلب، بل استخدم أربعة منهم ليسجل كل واحد هذه الحادثة بالأسلوب الذي يفهمه الشعب الذي كان يكتب له عنها، حتى تعرف الشعوب على اختلاف مفاهيمها وقتئذ ما احتمله المسيح في سبيل التكفير عن خطاياهم.

ولكي يكون القارئ على بينة من أمر الحادثة المذكورة، نأتي فيما يلي بخلاصة ما دونه أتباع المسيح المذكورون عنها، مع ما وقع من أحداث في الليلة السابقة لها.

أولا: أمام الفصح اليهودي والعشاء الرباني:

عندما كان المسيح يتناول مع تلاميذه عشاء الفصح، قال لهم:" الحق أقولُ لكم إن واحدا منكم يُسلمُني". فحزنُوا جدا وابتدأ كُلُ واحد منهُم يقولُ لهُ:" هل أنا يا رب؟" فأجاب:" الذي يغمسُ يدهُ معي في الصحفة هُو يُسلمني. إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوبٌ عنه. كان خيرا لذلك الرجُل لو لم يُولد". فسأل يهوذا مُسلمُهُ:" هل أنا هو يا سيدي؟" قال لهُ:" أنت قلت.. ما أنت تعملهُ فاعملهُ بأكثر سُرعة" (متى 26:21- 25). وللتو ذهب الإسخريوطي الى رؤساء الكهنة مدفوعا بالرغبة في تسليم المسيح إليهم، وقال لهم:" ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم؟" فجعلوا له ثلاثين من الفضة. فأخذ ينتهز الفرصة المناسبة ليسلمه إليهم.

ولم يعبأ المسيح بخطط يهوذا وتصرفاته، بل ظل جالسا على المائدة مع تلاميذه. وبينما هم يأكلون أخذ خبزا وشكر وكسر وأعطاهم قائلا:" خذُوا كلوا. هذا هو جسدي". ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا:" اشربُوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفكُ من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا". مشيرا بذلك الى أنه سيموت كفارة عن البشر، وأن كل واحد منهم يمكن أن يتمتع بهذه الكفارة بواسطة قبول المسيح في قلبه، كقبوله الطعام في جوفه.

أما الكأس فكان مملوءا بعصير عنب طازج لا يُسكر، لأنه لم يكن مسموحا بوجود أي نوع من الخمير في هذا العيد (خروج 13:12) بل كانت كما يقول المؤرخون عصير العنب الطازج، أو نقيع الزبيب قبل أن يعتريه تخمير. وبهذه المناسبة نقول إن الكلمة المعروفة بالخمر في اللغة العربية، تقابلها في اللغة العبرية عشر كلمات تدل على عشرة أنواع منه، أهمها " ياين" و " تشمار" و " مثيخار". والأول هو عصير العنب الطازج، والثاني هو عصير العنب المركز، والثالث هو عصير العنب المخمر. والصنف الأخير هو المُسكر، أما الصنفان الأولان فلا يُسكران. ومن الجائز أن تكون كلمة " ياين" العبرية هي نفس كلمة " وين" العربية، وهي بعينها كلمة (Wine) الإنكليزية، مع تحريف بسيط في النطق. والكلمة الإنكليزية يطلقها الإنجليز على الخمر، والكلمة العربية يطلقها العرب على العنب الأسود (قاموس المحيط ج 4 ص76). فضلا عن ذلك فإن العرب يطلقون كلمة واحدة على الخمر وعلى عصير العنب الطازج معا،

وهذه الكلمة هي " السلاف" (مختار الصحاح ص 310). ومع كل فالمسيحية تحرم المُسكر تحريما باتا، كما قال الرسول:" لا تسكروا بالخمر التي فيها الخلاعة، بل امتلئوا بالروح (القدس)" (أفسس 18:5)، ولا تصرح بشربه إلا إذا كان عن نصيحة طبيب بسبب مرض يستلزم استعمالها (1تيموثاوس 23:5).

وبعد الكأس قال المسيح لهم:" كلكُم تشكون فيَّ في هذه الليلة أنه مكتوب: أني أضرب الراعي فتتبددُ خرافُ الرعية. ولكن بعد قيامي أسبقُكم الى الجليل". فقال بُطرسُ لهُ:" وإن شك فيك الجميعُ فأنا لا أشك أبدا". فقال لهُ:" الحق أقولُ لك: إنك في هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرني ثلاث مراتٍ.. ولكني طلبتُ من أجلك لكي لا يفنى إيمانُك. وأنت متى رجعت (من الحالة التي ستتردى فيها بسبب إنكارك إياي، وعُدت الى ما كنت عليه من رسوخ في الإيمان) ثبت إخوتك". وبعد ذلك سبحوا وخرجوا الى جبل الزيتون".

ثانيا: في بستان جثسيماني:

علم المسيح أن الساعة التي سيُصلب فيها قد اقتربت، فأخذ يصلي قائلا:" يا أبتاهُ إن شِئتَ أن تُجيز عني هذه الكأس. ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتُكَ". ثم عاد الى تلاميذه فوجدهم نياما. فمضى ثانية وصلى قائلا:" يا أبتاهُ إن أمكن فلتعبُر عني هذه الكأسُ ولكن ليس كما أريدُ أنا بل كما تريدُ أنت". ثم عاد إليهم فوجدهم أيضا نياما، فتركم ومضى ثالثة، وصلى قائلا هذا الكلام بعينه، ثم عاد إليهم وقال:" قومُوا ننطلق. هُوذا الذي يُسلمُني".

وفيما هو يتكلم، جاء يهوذا ومعه جمع كثير من الكهنة والخدم والجند. ويقول المؤرخون إن رؤساء اليهود طلبوا من بيلاطس أن يرسل إليهم وقتئذ عددا كبيرا من الجند، لأنهم كانوا يخشون أن يصنع المسيح معجزة ينجو بها منهم، أو يندفع الشعب نحوه فينقذه من أيديهم. وكان الجنود يحملون سيوفا وعصي ومشاعل ومصابيح، فتقدم إليهم يسوع وقال لهم:" من تطلبون؟" أجابوه:" يسوع الناصري". فقال لهم:" أنا هو" فرجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض. فسألهم أيضا:" من تطلبون؟" فقالوا: " يسوع الناصري". فقال:" قد قلت لكم إني أنا هو، فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء (أي تلاميذه) يذهبون أولا". فتقدم يهوذا الى يسوع وقال:" السلام يا سيدي" وقبله. فقال له يسوع:" يا صاحب، لماذا جئت؟". وفي الحال تقدم الذين جاءوا مع يهوذا وأمسكوا يسوع. فاستل بطرس سيفه وضرب عبدا لرئيس الكهنة فقطع أذنه. فقال له يسوع:" رُد سيفك الى مكانه. لأن كل الذين يأخُذون السيف بالسيف يهلكُون! أتظن أني لا أستطيعُ الآن أن أطلب الى أبي فيقدم لي أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة؟ فكيف تُكملُ الكتُبُ: أنهُ هكذا ينبغي أن يكون؟" ثم قال للجموع:" دعوا اليَّ هذا" (أي أفسحوا الطريق أمامي الى العبد المذكور)، فتقدم إليه وأبرأ أذنه. ثم اتجه الى الجموع وقال لهم:" كأنهُ على لص خرجتم بسيُوف وعصي لتأخذُوني! كل يوم كنتُ معكم في الهيكل أعلمُ ولم تُمسكوني! ولكن لكي تُكمل الكتبُ". حينئذ تركه معظم التلاميذ وهربوا. أما الذين أمسكوا يسوع فمضوا به الى حنان رئيس الكهنة الشرعي لديهم.

ثالثا: أمام القضاء الديني:

استفسر حنان من المسيح عن تعليمه، فأجابه:" أنا كلمتُ العالم علانية. أنا علمتُ كل حين في المجمع وفي الهيكل حيثُ يجتمع اليهودُ دائما. وفي الخفاء لم أتكلم بشيء. لماذا تسألني أنا؟ اسأل الذين قد سمعُوا ماذا كلمتُهُم. هُوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلتُ أنا". ولما قال هذا لطم يسوع واحدٌ من الخُدام كان واقفا قائلا:" أهكذا تُجاوبُ رئيس الكهنة؟" أجابهُ يسوعُ:" إن كُنتُ قد تكلمتُ رديا فاشهد على الردي وإن حسنا فلماذا تضربني؟".

وحينئذ أرسله حنان الى قيافا رئيس الكهنة الرسمي لدى الرومان، فتبع يسوع اثنان من تلاميذه هما بطرس ويوحنا. وكان يوحنا، بسبب انتمائه الى عائلة ثرية، معروفا عند رئيس الكهنة، فدخل الى داره مع يسوع. أما بطرس فوقف خارج الباب. فأتي يوحنا وكلم البوابة، فأدخلت بطرس أيضا. وعندما دخل هذا، وجد الخدم يضرمون نارا في وسط الدار ليستدفئوا، فجلس في وسطهم. وهنا تفرست فيه جارية قالت عنه:" وهذا كان مع يسوع". فأنكر قائلا:" لست أعرفه يا امرأة". وبعد قليل رآه خادم فقال له:" وأنت منهم" فقال بطرس:" يا إنسان، لست أنا" وبعد فترة من الزمن قال غيره عن بطرس:" بالحق أن هذا كان مع يسوع لأنه جليلي أيضا". فقال بطرس:" يا إنسان، لست أعرف ما تقول". وفي الحال بينما هو يتكلم صاح الديك. فالتفت المسيح ونظر الى بطرس، فتذكر بطرس قول المسيح له:" إنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات، فخرج الى خارج وبكى بكاءً مرا".

وكان مجمع رؤساء الكهنة والشيوخ يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه، فلم يجدوا، لأن كثيرين شهدوا عليه زورا ولم تتفق شهادتهم. وأخيرا تقدم شاهدا زور وقالا:" هذا نادي بأنه يقدر أن ينقض هيكل الله، وفي ثلاثة أيام يقيمه". مع أن المسيح كان قد قال " انقُضوا (أنتم) هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمُهُ" (يوحنا 18:2) قاصدا بالهيكل،

هيكل جسده. فقال رئيس الكهنة له:" أما تجيب بشيء؟". لكن يسوع ظل ساكتا. وأخيرا قال رئيس الكهنة له:" أستحلِفُك بالله الحي أن تقول لنا:" هل أنت المسيحُ ابنُ الله؟. لأن اليهود كانوا يعرفون من التوراة أن المسيح هو ابن الله بحسب ما جاء في مزمور 7:2 وأمثال 4:30، وذلك طبعا بالمعنى الروحي. فقال له يسوع:" أنت قلت! وأيضا أقولُ لكم: من

الآن تُبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوةِ (الإلهية) وآتيا على سحاب السماء" (وهي الحقيقة التي رآها دانيال النبي بروح النبوة قبل الميلاد بخمسمائة سنة، فقال :" كُنتُ أرى في رُؤي الليل وإذا مع سُحُب السماء مثل ابن إنسان أتي وجاء الى القديم الأيام فقربُوهُ قدامهُ. فأعطى سُلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد لهُ كل الشعُوب والأمم والألسنة. سُلطانهُ سلطانٌ أبدي ما لن يزُول وملكوتُهُ ما لا ينقرض" (دانيال 13:7، 14). لأن ابن الإنسان هذا هو بعينه " ابن الله" أو " الله معلنا". ولذلك اعتبر رئيس الكهنة المسيح مجدفا، لأنه وهو إنسان في نظرهم، كان يتكلم عن نفسه في الحكم والكينونة، بإعتباره ذات الله).. فمزق رئيس الكهنة ثيابه قائلا لمن حوله:" قد جدف. ما حاجتنا بعد الى شهود؟ ها قد سمعتم تجديفه. ماذا ترون؟" فقالوا:" إنه يستوجب الموت". حينئذ بصق بعضهم على وجه المسيح ولكموه، والبعض الآخر ضربوه ولطموه. ولما جاء الصباح قرر جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب أن يقتلوه.

وعندما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد أخطأ، ندم ورد الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا:" قد أخطأت إذ سلمت دما بريئا". فقالوا له:" ماذا علينا؟ أنت أبصر". فطرح الفضة في الهيكل وانصرف، ثم مضى وخنق نفسه. فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا:" لا يحل أن نلقيها في الخزانة لأنه ثمن دم". فتشاوروا فيما بينهم واشتروا بها حقل الفخاري ليكون مقبرة للغرباء. فعُرف الحقل بين الناس من هذا الوقت باسم " حقل دم".

رابعا: أمام القضاء المدني:

وبعد ذلك أوثق الجند يسوع ومضوا به مع الكهنة الى بيلاطس الوالي، فسألهم:" أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان؟

" فقالوا:" لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك. إننا وجدناه يفسد الأمة، قائلا إنه مسيح ملك". وهم يحاولون بذلك أن يسندوا الى المسيح تهمة مخالفة النظام السياسي. فسأل بيلاطس يسوع:" هل أنت ملك اليهود؟" فأجاب:" أنت قلت. ولكن مملكتي ليست من هذا العالم". فقال له بيلاطس:" أفأنت إذا ملك؟" أجابه:" أنت تقولُ إنى ملكٌ". ثم اتجه بيلاطس الى رؤساء الكهنة والجموع وقال لهم:" لم أجد علة في هذا الإنسان". فثاروا قائلين:" إنه يهيج الشعب وهو يعلم من الجليل الى اليهودية". فلما سمع بيلاطس اسم الجليل أرسل المسيح الى هيرودس ملك الجليل لينظر في أمره. فلما رآه هيرودس فرح لأنه كان يريد أن يراهُ يُجري معجزة أمامه. لكن المسيح لم يجبه الى رغبته لأنه كان أرفع من يعمل معجزاته لمجرد إشباع حب الإستطلاع، كما أنه كان أرفع من أن ينتظر معونة من هيرودس أو غير هيرودس. فاحتقره هيرودس وأعاده الى بيلاطس. فدعا رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم:" إني لم أجد في هذا الإنسان علة مما تشتكون به عليه، ولا هيرودس أيضا. فأنا أؤدبه وأطلقه".

وكان بيلاطس يطلق لهم في كل عيد الأسير الذي يطلبونه، فصرخوا جميعا:" خُذ هذا وأطلق لنا بارباس". وكان باراباس مقضيا عليه بالسجن من أجل فتنة وقتل. فأخذ بيلاطس يسوع وجلده وجمع العسكر كل الكتيبة وضفروا إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه، كما ألبسوه ثوب أرجوان، وأخذوا يقولون له:" السلام يا ملك اليهود". وبعد ذلك بصقوا على وجهه، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه.

ثم قال بيلاطس لليهود:" ها أنا أُخرج يسوع إليكم، لتعلموا أني لست أجد فيه علة واحدة، فصرخوا :" اصلبه! اصلبه!". فقال لهم:" خذوه أنتم واصلبوه، لأني لست أجد فيه علة". أجابوه:" لنا شريعة، وحسب شريعتنا يجب أن يموت، لأنه جعل نفسه ابن الله". فلما سمع بيلاطس هذا القول خاف جدا وقال ليسوع:" من أين أنت؟" فلم يجبه، لأن بيلاطس أبى أن يقبل الحق من قبل، ومن يتصرف بمثل هذا التصرف لا يكون أهلا لأي إعلان جديد عن الحق. فعاد بيلاطس يسأله:" أما تكلمني؟ ألست تعلم أن لي سلطانا أن أصلبك وسلطانا أن أطلقك؟" فأجابه:" لم يكن لك عليَّ سلطانٌ البتة لو لم تكن قد اعطيت من فوقُ. لذلك الذي أسلمني إليك لهُ خطيةٌ أعظم".

ومن هذا الوقت كان بيلاطس يسعى لإطلاقه، لكن اليهود كانوا يصرخون:" إن أطلقت هذا فلست محبا لقيصر". فلما رأى بيلاطس أن محاولته لإنقاذ المسيح لا تُجدي، بل بالحري تُحدث شغبا، أخذ ماء وغسل يديه أمام الجميع قائلا:"إني بريء من دم هذا البار. أبصروا أنتم". فقال جميع الشعب:" دمه علينا وعلى أولادنا". وحينئذ أسلمه إليهم للصلب.

خامسا: في الطريق الى الصليب:

فأخذ اليهود يسوع ومضوا به الى موضع يدعى الجلجثة لكي يصلبوه. وفي الطريق أمسكوا رجلا يُدعى سمعان

القيرواني، ووضعوا عليه الصليب ليحمله الى هناك. وتبع يسوع جمهور كثير من النساء كن يلطمن وينحن عليه. فالتفت إليهن وقال:" يا بناتِ أورُشليم، لا تبكين عليَّ بل ابكين على أنفُسِكن وعلى أولادكن، لأنهُ هُوذا أيام تأتي يقولون فيها: طوبي للعواقر والبطون التي لم تلد والثدي التي لم تُرضع".

سادسا: عند الصليب وعلى الصليب:

ولما بلغوا الجلجثة، أعطى الجنود المسيح خلا ممزوجا بمرارة ليشرب كما كانوا يفعلون مع كل شخص مقبل على الصلب حتى تتخدر أعصابه، فلا يشعر بالآلام المزمعه أن تنزل به. وقد رفض المسيح أن يشرب من هذه الكأس، لأنه أراد أن يتحمل آلام الصلب كما هي. فالتفوا حوله ونفذوا فيه حكم الصلب بتسمير يديه ورجليه على الصليب. وبينما هم يفعلون هذا رفع يسوع عينيه الى الله وقال:" يا أبتاهُ، اغفر لهُم لأنهم لا يعلمُون ماذا يفعلون". وبعد ذلك نفذوا حكم الصليب أيضا في اثنين من المذنبين. وأخذ أحدهم يُجدف على المسيح، فقال له الثاني:" أولا أنت تخاف الله، إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه؟ أما نحن فبعدلٍ، لأننا ننال استحقاق ما فعلنا. وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس في محله". ثم قال للمسيح:" اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك". فقال له المسيح:"الحق أقولُ لك: إنك اليوم تكونُ معي في الفردوس".

وعندما كان المسيح معلقا على الصليب اقتسم الجنود ثيابه بينهم بواسطة القرعة. وأخذ المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين له:" يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام، إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب". وكذلك رؤساء الكهنة أيضا وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قائلين:" خلص آخرين، وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها. لينزل ملك

إسرائيل عن الصليب لنرى ونؤمن. قد اتكل على الله، فلينقذه الآن إن أراد". وكانت واقفات عند الصليب أمه، وخالته امرأة كلوبا، ومريم المجدلية. فلما رأى يسوع أمه وتلميذه يوحنا، قال لها عنه:" هوذا ابنك". ثم قال لهذا التلميذ:" هُوذا أمك". ومن تلك الساعة أخذها يوحنا الى بيته لكي يعتني بها.

ومن الساعة السادسة من النهار (والتي توافق 12ظهرا، لأن الساعة الأولى من النهار كانت عند العبرانيين تقابل الساعة السادسة صباحا عندنا) كانت ظلمة على كل الأرض الى الساعة التاسعة (أي الثالثة بعد الظهر). فصرخ يسوع بصوت عظيم قائلا:" إلهي إلهي، لماذا تركتني؟". ثم إذ رأى أن كل شيء قد أكمل، فلكي يتم الكتاب، قال:" أنا عطشان". وفي الحال ركض أحد الجنود وأخذ إسفنجة وملأها خلا ووضعها على قصبة وسقاه. وحينئذ قال المسيح: " قد أكمل". ثم نكس رأسه وأسلم الروح. فانشق حجاب الهيكل من فوق الى أسفل، وتزلزلت الأرض، وتشققت الصخور. ولما رأى قائد المائة والذين معه الزلزلة وما حدث بسببها، خافوا خوفا عظيما وقالوا:" حقا كان الإنسان بارا .. بل وكان ابن الله".

وإذ كان اليهود يستعدون لإستقبال يوم السبت المقدس عندهم، فلكي لا يبقى جسد معلقا على صليب، طلب اليهود من بيلاطس أن تُكسر سيقان المصلوبين ليموتوا بسرعة. فأتى العسكر وكسروا سيقان المذنبين اللذين كانا على جانبي يسوع. أما هو فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات. لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة، فخرج دم وماء.

سابعا: بعد الموت على الصليب:
وأخيرا أتى يوسف الرامي (أحد أعضاء السنهدريم، وأحد أتباع المسيح المخلصين) وطلب جسده من بيلاطس، فأذن بيلاطس أن يُعطى له. فأخذه هو ورفيقٌ له في السنهدريم واتباع المسيح أيضا، اسمه نيقوديموس، ولفاه بأكفان مع أطياب وزنها نحو 35 كيلو جراما، ثم دفنوه في قبر يوسف الرامي، وكان قبرا جديدا في بستان، لم يُدفن فيه أحد من قبل.

3- الأدلة على صدق شهادة كتبة الإنجيل الملهمين عن حادثة صلب المسيح

فضلا عن أن هذه الحادثة مدونة بالوحي الإلهي، الأمر الذي لا يدع مجالا للشك في صدقها، فإننا إذا نظرنا إليها من الناحية العقلية يتضح لنا أنها لا بد أن تكون صادقة أيضا، للأسباب الآتية:

1 - إن الذين سجلوا الحادثة المذكورة ليسوا أعداء للمسيح حتى يجوز الظن أنهم أرادوا التشهير به، بل هم تلاميذه

الذين أحبوه وتركوا كل شيء لكي يتبعوه. وإذا كان التلاميذ يكرمون معلمهم ويحاولون أن يُبعدوا عنه كل ما يهين اسمه أو يحقر من شأنه (لا سيما إذا كان يعطف عليهم كل العطف، كما كان يفعل المسيح مع تلاميذه)، فلا بد أن كل ما سجله هؤلاء عن صلبه قد حدث فعلا أمام عيونهم، وأنهم لم يضيفوا إليه شيئا من عندهم.

2 ـ كما أن هذه الحادثة لم يسجلها تلميذ واحد منهم، بل سجلها أربعة تلاميذ. وإذا كانت شهادة اثنين تكفي لإثبات أي واقعة (تثنية 15:19)، فشهادة الأربعة المذكورين تكفي جدا لإثبات حادثة الصلب، لا سيما وأن هؤلاء الأربعة كان يختلف أحدهم عن الآخر، من جهة السن والثقافة والطباع والمركز الإجتماعي، فقد كان متى محاسبا حريصا، ومرقس شابا متحمسا، ولوقا طبيبا مدققا، ويوحنا صيادا وديعا هادئا. لأن أشخاصا مثل هؤلاء لا يُجمِعون على أمر إلا إذا كان واضحا لا مجال للشك فيه.

3 ـ فضلا عن ذلك فإنه بالتامل في هذه الحادثة نرى أولا اتساقها وترابطها، وبساطة أسلوبها، ودقة وقائعها، وعدم وجود تحايل او مغالاة فيها. كما أنها تخلو من أي محاولة لإقناع الناس بصدقها، وهي بعيدة أيضا عن الخيال الروائي الذي نشاهده في القصص التي يؤلفها البشر. ونرى ثانيا اقترانها بأسماء بلاد واماكن معروفة في فلسطين، وملوك وكهنة مشهورين في التاريخ، وأعمال وتصرفات تتوافق مع تقاليد الناس وعاداتهم وقتئذ. ونرى ثالثا أن ما أسند الى المسيح من اقوال وأعمال قبل الصلب وفي اثناء الصلب يتفق مع صفاته، الأمر الذي يدل على أنه هو الذي صلب، وليس شخصا آخر.

4 ـ أخيرا نقول: لو كانت هذه الحادثة من تأليف تلاميذ المسيح، لما قالوا إن واحدا منهم باعه، وإن آخر أنكره، وإن معظمهم تركوه وهربوا، لأن هذه الأقوال تحقر من شأنهم وتحط من سمعتهم.

فإذا أضفنا الى هذا أن ما كتبه تلاميذ المسيح نُشر في أورشليم نفسها التي عاصر سكانها المسيح وعرفوا كل شيء عن حياته من أولها الى آخرها، دون أن يعترض واحد منهم بأي اعتراض، لا يبقى لدينا مجال للشك في صدق حادثة صلب المسيح التي ذكرها هؤلاء التلاميذ.

شهادة رسل المسيح

1 ـ شهادة بطرس الرسول:

(أ) قال هذا الرسول بطرس:" يسُوعُ الناصري رجُلٌ (وذلك من ناحية كونه إنسانا) قد تبرهن لكم من قِبل الله بقُوات وعجائب وآياتٍ صنعها اللهُ بيدِهِ في وسطكم كما أنتم أيضا تعلمُون. هذا أخذتمُوهُ مُسلما بمشورة الله المحتُومة وعِلمِهِ السابق وبأيدي أثمة صلبتُمُوهُ وقتلتمُوهُ.. تُوبُوا وليعتمد كل واحِدٍ منكم على اسم يسُوع المسيح لِغُفران الخطايا" (أعمال 21:2، 22، 38).

(ب) ولما ذهب الرسول بطرس مع زميله يوحنا مرة الى الهيكل، وشفى باسم المسيح رجلا لا يستطيع المشي لأنه وُلد أعرج من بطن أمه، أخذت الدهشة اليهود جميعا. فتطلع إليهم وقال:" ما بالُكُم تتعجبُون من هذا (الشفاء) ولماذ تشخصُون إلينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا (الأعرج) يمشي؟ إن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب إله آبائنا مجد فتاه يسُوع الذي أسلمتُمُوه أنتُمْ وأنكرتُمُوهُ أمام وجه بيلاطس وهُو حاكم بإطلاقه. ولكن أنتُمْ أنكرتُمُ القُدُوس البار وطلبتُم أن يوهب لكم رجُلٌ قاتلٌ. ورئيسُ الحياة قتلتُمُوهُ الذي أقامهُ اللهُ من الأمواتِ ونحنُ شُهودٌ لذلك. وبالإيمانِ باسمهِ شدد اسمُهُ هذا الذي تنظرُونهُ وتعرفُونهُ" (أعمال 4:5- 10).

(ج) ولما قبض رؤساء اليهود على بطرس ويوحنا واخذوا يسألونهما:" بأي قوة وبأي اسم صنعتما هذا الشفاء؟" امتلآ بطرس من الروح القدس وقال لهم:" يا رُؤساء الشعب وشيُوخَ إسرائيل، إن كُنا نُفحصُ اليوم عن إحسان الى إنسان سقيم بماذا شُفيَ هذا، فليكن معلوما عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنهُ باسم يسُوع المسيح الناصري الذي صلبتُمُوهُ أنتمُ الذي أقامه اللهُ من الأمواتِ" (أعمال 4:5- 10).

وعندما عاد هذان التلميذان الى رفقائهما، صليا معهم قائلين:" أيها السيدُ، أنتَ هُو الإلهُ الصانعُ السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، القائل بفم داود فتاك: لماذا ارتجت الأممُ وتفكر الشعوبُ بالباطل؟ قامت مُلوكُ الأرض واجتمع الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه. لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسُوع الذي مسحتهُ هيرُودُس وبيلاطسُ البنطي مع أمم وشُعُوبِ إسرائيل، ليفعلوا كل ما سبقت فعينت يدُك ومشورتُكَ ان يكون" (أعمال 4:23 ـ 28).

(د) ولما استدعى رئيس الكهنة وكهنته تلاميذ المسيح وقالوا:" أما أوصيناكم وصية أن لا تُعلمُوا بهذا الإسم؟ وها أنتم قد ملأتُم أورُشليم بتعليمكم وتُريدُون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان". فأجاب بطرس والرُسُلُ:" ينبغي أن يُطاع اللهُ أكثر من الناس. إلهُ آبائنا أقامَ يسُوع الذي أنتم قتلتمُوهُ مُعلقين إياهُ على خشبة. هذا رفعهُ اللهُ بيمينهِ رئيسا ومُخلصا..

ونحنُ شُهودٌ لهُ بهذهِ الأمُور والروحُ القدسُ أيضا الذي أعطاهُ اللهُ للذين يُطيعُونهُ". فلما سمعُوا حنقوا وجعلوا يتشاورُونَ أن يقتلوهُم. (أعمال 5:28- 33).

(هـ) وبعد ذلك قال بطرس عن نفسه في رسالته الأولى للذين آمنوا من اليهود إنه الشاهد لآلام المسيح، وشريك المجد العتيد أن يُعلن (1:5). وقال لهم عن المسيح إنه تألم لأجلنا، تاركا لنا مِثالا لكي تتبعُوا خطواتهِ (2:21). وقال إنه حمل هُو نفسهُ خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نمُوت عن الخطايا فنحيا للبر (2:24). وقال إنه تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يُقربنا الى الله، مُماتا في الجسد ولكن مُحييا في الروح (3:18). وقال واعظا ومعلما لهم " فإذ قد تألم المسيحُ لأجلنا بالجسد، تسلحوا أنتم أيضا بهذه النية" (4:1). و" إن كنتُم تدعون أباً الذي يحكمُ بغير مُحاباة حسب عمل كل واحدٍ، فسيروا زمان غربتكم بخوف، عالمين أنكمُ افتدِيتُم لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتمُوها من الآباء، بل بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، معروفا سابقا قبل تأسيس العالم" (1:17 - 20).

2 - شهادة بولس الرسول:

(أ) قال لأهل رومية:" مُتبررين مجانا بنعمتهِ بالفداء الذي بيسُوع المسيح، الذي قدمهُ الله كفارة بالإيمان بدمهِ" (3:24- 25) " فإنهُ بالجهد يمُوتُ أحدٌ لأجل بار. رُبما لأجل الصالح يجسُرُ أحدٌ أيضا أن يمُوت. ولكن الله بين محبتهُ لنا لأنه ونحنُ بعد خُطاة مات المسيحُ لأجلنا" (5:7 ، 8). " لأن الموت الذي ماتهُ قد ماتهُ للخطية مرة واحدة" (6:10). وقال لهم " أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدفنا معهُ بالمعمُودية للموتِ، حتى كما أقيم المسيحُ من الأمواتِ بمجد الآب هكذا نسلكُ نحنُ أيضا في جدة الحياة" (6:3، 4).

(ب) وقال في رسالته الأولى لأهل كورنثوس:" فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالةٌ وأما عندنا نحنُ المُخلصينَ فهي قُوةُ اللهِ.. ولكننا نحنُ نكرزُ بالمسيح مصلوبا: لليهود عثرةٌ ولليونانيين جهالة" (1:18، 23). وقال أيضا " لأني لم أعزم أن أعرف شيئا بينكُم إلا يسُوعَ المسيح وإياهُ مصلوبا" (2:2). وإن " المسيح ماتَ من أجل خطايانا حسب الكتُب، وأنه دُفن، وأنهُ قام في اليوم الثالثِ حسب الكتُبِ" (15:3، 4).

وقال في رسالته الثانية لهم: " وهُو ماتَ لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعدُ لا لأنفسهم، بل للذي مات لأجلهم وقام" (5:15). وقال:" لأنه وإن كان قد صلب من ضعف (في نظر الناس) لكنهُ حيّ بقوة الله" (13:4). وقال عن نفسه وعن الرسل معه:" حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسُوعَ، لكي تُظهر حياةُ يسُوعَ أيضا في جسدنا" (4:10).

(ج) وقال لأهل غلاطية:" أيها الغلاطيون الأغبياء، من رقاكم حتى لا تُذعنوا للحق؟ أنتمُ الذين أمام عيُونكم قد رُسم يسُوعُ المسيحُ بينكم مصلوبا" (3:1). وقال لهم عن نفسه:" مع المسيح صُلبتُ، فأحيا لا أنا بل المسيحُ يحيا (روحيا) فيَّ. فما أحياهُ الآن في الجسد فإنما أحياهُ في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلم نفسهُ لأجلي" (2:20).

(د) وقال لأهل أفسس عن المسيح إن " فيه لنا الفداء، بدمهِ غفرانُ الخطايا، حسب غنى نعمتهِ" (1:7). وقال إنه صالحنا " مع الله بالصليب، قاتلا العداوة به" (2:16). وإنه " أسلم نفسهُ لأجلنا، قربانا وذبيحة للهِ رائحة طيبة" (5:2). وقال:" أحب المسيحُ أيضا الكنيسة وأسلم نفسهُ لأجلها" (5:25). وقال لهم:" أنتمُ الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح" (2:13).

(هـ) وقال لأهل فليبي عن المسيح إنه " أخلى نفسهُ، آخذا صورة عبدٍ، صائرا في شبه الناس. وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسهُ وأطاع حتى الموت، موت الصليب. لذلك رفعهُ الله، وأعطاهُ اسما فوق كل اسم" (2:7 - 9).

(و) وقال لأهل كولوسي عن المسيح:" لأنهُ فيه سُر أن يحل كل الملء (أي اللاهوت كله)، وأن يُصالح بهِ الكل لنفسهِ، عاملا الصلح بدم صليبه، بواسطته.. وأنتم الذين كنتم قبلا أجنبيين وأعداء في الفكر، في الأعمال الشريرة، قد

صالحكم الآن في جسم بشريتهِ بالموت، ليُحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامهً" (19:1 - 22). وقال لهم:" وإذا كنتم أمواتا في الخطايا وغلف جسدكم، أحياكم معهُ، مُسامحا لكم بجميع الخطايا، إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض، الذي كان ضدا لنا، وقد رفعهُ من الوسط مُسمرا إياهُ بالصليب" (13:2، 14).

(ز) وقال في رسالته الأولى لأهل تسالونيكي عن اليهود إنهم " الذين قتلوا الرب يسُوع وأنبياءهم، واضطهدونا نحنُ. وهم غيرُ مُرضين لله وأضدادٌ لجميع الناس" (15:2). وقال أيضا:" لأنه ان كنا نُؤمنُ أن يسوع مات وقام، فكذلك الراقدُون بيسوع سيحضرهمُ اللهُ أيضا معه" (14:4). وقال أيضا:" الذي مات لأجلنا، حتى إذا سهرنا أو نِمنا نحيا جميعا معهُ" (10:5).

(ج) وقال لتلميذه تيموثاوس:" يسوعُ المسيحُ، الذي بذل نفسهُ فدية لأجل الجميع" (1تيموثاوس 5:2، 6). وقال لتلميذه تيطس:" يسوع المسيح الذي بذل نفسهُ لأجلنا، لكي يفدينا من كل إثم، ويُطهر لنفسهِ شعبا خاصا غيورا في أعمال حسنةٍ" (تيطس 13:2، 14).

(ط) وقال في رسالته للعبرانيين عن المسيح إنه ذاق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد (9:2). وقال أيضا عنه:

" وليس بدم تُيوسٍ وعُجول، بل بدم نفسه، دخل مرة واحدة الى الأقداس، فوجد فداء أبديا" (12:9). وقال عنه:

" فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة، جلس الى الأبد عن يمين الله.. لأنهُ بقربان واحد قد أكمل الى الأبد المُقدسين" (12:10، 14).

3 - وقال يوحنا الرسول في رسالته الأولى للمؤمنين:

" إن سلكنا في النور كما هو (الله) في النور، فلنا شركةٌ بعضنا مع بعض، ودمُ يسُوع المسيح ابنهِ يُطهرنا من كل خطية" (7:1). وقال أيضا:" بهذا قد عرفنا المحبة: أن ذاك (المسيح) وضع نفسهُ لأجلنا" (16:3). وقال أيضا:" في هذا هي المحبةُ: ليس أننا نحنُ أحببنا الله، بل أنهُ هو أحبنا، وأرسل ابنهُ كفارة لخطايانا" (10:4). وقال أيضا:" بهذا قد عرفنا المحبة: أن ذاك وضع نفسهُ لأجلنا، فنحنُ ينبغي لنا أن نضع نُفُوسنا لأجل الإخوة" (16:3).

وقال في سفر الرؤيا إن المسيح " أحبنا، وقد غسلنا من خطايانا بدمِهِ، وجعلنا مُلوكا وكهنة للهِ أبيهِ" (رؤيا 5:1، 6).

4 - وقال يعقوب في رسالته لليهود عن المسيح:

" حكمتم على البار. قتلتمُوهُ. لا يُقاومُكم!" (5:5).

2- الأدلة على صدق شهادة الرسل

فضلا عن أن شهادة هؤلاء الرسل مدونة بالوحي الإلهي، الأمر الذي لا يدع مجالا للشك في صدقها، فإننا إذا نظرنا إليها من الناحية العقلية يتضح لنا أنها لا بد أن تكون صادقة للأسباب الآتية:

1 - لم يكن الرسل من أصحاب الجاه أو السلطان، حتى إذا قالوا شيئا غير الحقيقة صادق بعض الناس وأمنوا على أقوالهم، كما نشاهد في بعض الأحيان. بل كان معظمهم من الفقراء المعدمين الذين يملكون بالكاد قوت يومهم، والذين لم يكن لهم حول أو طول بين مواطنيهم. وبالإضافة الى ذلك فإنهم لم ينالوا من وراء المناداة بصلب المسيح مالا أو مقاما حتى كان يُظن أنهم قاموا بهذه الشهادة للحصول على هذا أو ذاك. بل بالعكس كان اليهود يقابلونهم بالحنق والإضطهاد، واليونانيون بالتهكم والإزدراء. وبالرغم من كل ذلك لم يكفوا عن شهادتهم أو ينكروها، الأمر الذي يدل على أنها صادقة كل الصدق.

وقد أشار أحد الباحثين الى هذه الحقيقة فقال:" شتان الفرق بين عمل المؤمن الذي لا يبالي بالموت تصديقا لعقيدته، وعمل المحتال الذي يكذب، ويعلم أنه يكذب، وأنه يدعو الناس الى الأكاذيب. مثل هذا لا يُقدم على الموت في سبيل عقيدة زائفة، وهو أو من يعلم زيفها وخداعها. وهيهات أن يوجد بين الكذبة العامدين من يستبسل في نشر دينه كما استبسل الرسل المسيحيون. فإذا كان المؤلف الصادق من يأخذ بأقرب القولين الى التصديق، فأقرب القولين الى التصديق أن الرسل لم يكذبوا فيما رووه، وفيما قالوا إنهم رأوه، أو سمعوا ممن رآه".

2 - نادى الرسل، بناء على أمر المسيح لهم بعد قيامته من الأموات (في لوقا 27:24)، نادوا في أول الأمر بفدائه الذي أكمله على الصليب، بين سكان أورشليم الذين عاينوه وعرفوا كل شيء عنه، في كل مرحلة من مراحل حياته

على الأرض. كما أن سكان البلاد الأجنبية (مثل اليونان والرومان الذين نادى الرسل بينهم بعد ذلك بهذا الموضوع الهام، كانوا على درجة عالية من الثقافة جعلتهم لا يقبلون خبرا إلا بعد التحقيق من صدقه. وبما أنه لم يتعرض واحد لمناقضة الرسل بشأن صلب المسيح، يكون صلبه حقيقة لا شك في صدقها).

3 - أضف الى ما تقدم أن الرسل الذين نطقوا بالشهادة التي نحن بصددها كان يختلف أحدهم عن الآخر من جهة السن والثقافة والطباع والمركز الإجتماعي، فبطرس كان جريئا متحمسا، ويوحنا كان وديعا هادئا، ويعقوب كان شيخا رزينا محنكا. ومما زاد هذه المجموعة المتباينة في نفسيات أفرادها تباينا أنها ضمت الى صفوفها بولس الذي كان من قبل ألد أعداء المسيحية، وفي الوقت نفسه كان عالما كبيرا ومتعنتا عنيدا لا يسلم بآراء غيره إلا بعد التحقق منها بنفسه. واتفاق مجموعة متباينة من الناس مثل هذه على أمرما دليل واضح على أنه حقيقة واقعة.

4- أخيرا نقول إن شهادة الرسل عن صلب المسيح لا ترد بمعزل عن الحقائق الدينية الواردة في التوراة والإنجيل وتتلخص في محبة الله للبشر وعطفه عليهم، ورغبته في الصفح عنهم وتقريبهم إليه، ومنحهم البركات التي يحتاجون إليها من لدنه، وما يترتب على ذلك من وجوب إكرامهم إياه والسلوك بالتقوى والقداسة أمامه، والقيام بخدمة الآخرين والتضحية لأجلهم أيضا. بل ترد شهادة الرسل عن صلب المسيح متداخلة في هذه الحقائق تداخلا تاما بدرجة لا يمكن فصلها عنها. ومن ثم فالشهادة المذكورة لا تكون كرقعة ارتقت بثوب، بل كالخيوط التي يتكون منها نسيج الثوب، مما يدل على أن صلب المسيح ليس حادثة مختلقة، بل حادثة جقيقية لا سبيل للطعن في صدقها.

شهادة أنبياء العهد القديم عن صلب المسيح، والأدلة على صدقها

أولا: شهادة أنبياء العهد القديم عن صلب المسيح:

ليس العهد الجديد الذي كتبه رسل المسيح هو وحده الذي ينادى بصلبه، بل هناك نبوات متعددة نطق بها الأنبياء الذين أتوا قبل المسيح بمئات السنين، كما يتضح مما يلي:

1 - فداود النبي الذي عاش قبل المسيح بألف سنة تنبأ عن تسليم المسيح لأعدائه بواسطة أحد المقربين إليه، وعن صلب هؤلاء الأعداء للمسيح واستهزائهم به، واقتسام ثيابه بينهم وتقديم الخل والمر له. كما تنبأ عن نتائج آلام الصلب المريعة في نفس المسيح، فقال عن لسانه:" رجل سلامتي الذي وثقت به، آكل خبزي رفع على عقبه" (مزمور 9:41 ويقصد به يهوذا الإسخريوطي). وقال أيضا:" جماعة من الأشرار اكتنفتني. ثقبوا يديّ ورجليّ .. وهم ينظرون ويتفرسون فيّ.. يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون.. كل الذين يرونني يستهزئون بي. يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين: اتكل على الرب فلينجه.. كالماء انسكبت. انفصلت كل عظامي. صار قلبي كالشمع. قد ذاب في وسط أمعائي. يبست مثل شقفة قوتي ولصق لساني بحنكي" (مزمزر 22).

وقال أيضا:" يجعلون في طعامي علقما وفي عطشي يسقونني خلا" (مزمور 69).

وبالإضافة الى ما تقدم تنبأ داود النبي عن أن قبول المسيح لآلام الصلب لم يكن بسبب خطايا ارتكبها، بل بسبب خطايانا نحن، وذلك إيفاء لمطالب عدالة الله وقداسته نيابة عنا. كما تنبأ عن ترك الله إياه ليتحمل هذه الآلام بأسرها، حتى يكون تكفيره عن خطايانا تكفيرا قانونيا، فقال عن لسانه لله:" لأني من أجلك احتملتُ العار. غطى الخجل وجهي.. لأن غيرة بيتك أكلتني وتعييرات مُعيريك وقعت علي.. إلهي! إلهي! لماذا تركتني بعيدا عن خلاصي عن كلام زفيري؟" (مزمور22و 69). وبالرجوع الى تاريخ داود نرى أنه لم يمر في المواقف المذكورة في هذه الآيات أو الآيات السابقة لها، مما يدل على أنه لم يكن يتحدث بهذه أو تلك عن نفسه، بل كان يتنبأ بهما عن المسيح.

2 - وإشعياء النبي الذي عاش قبل المسيح بسبعمئة سنة تنبأ عن جلد الناس للمسيح وبصقهم على وجهه الكريم، فقال عن لسانه:" بذلت ظهري للضاربين وخديَّ للناتفين. وجهي لم أستُر عن العار والبصق". وتنبأ عن صمته وعدم رده على المشتكين ضده، فقال عنه:" ظُلِمَ أما هو فتذلل ولم يفتح فاهُ، كشاةٍ تُساقُ الى الذبح، وكنعجةٍ صامتةٍ أمام جازيها فلم يفتح فاهُ". وقال عن دفنه في مقبرة أحد الأغنياء بدلا من المقبرة العامة التي كان المصلوبون يُدفنون فيها:" وجعل مع الأشرار قبره، ومع غني عند موتهِ". كما تنبأ عن أن معاناة المسيح للآلام لم تكن لأجل خطايا ارتكبها، بل لأجل

خطايانا نحن فقال عنه:" وهو مجروحٌ لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل آثامنا. تأديب سلامِنا عليه، وبحُبرهِ شُفينا. كلنا كغنم ضللنا. ِملنا كل واحدٍ الى طريقه، والرب وضع عليهِ إثم جميعنا".

3 - وزكريا النبي الذي عاش قبل المسيح بخمسمئة سنة تنبأ عن بيع المسيح بثلاثين من الفضة، وإعطاءه هذا المبلغ للفخاري ثمنا لمقبرة جُعلت للغرباء. كما تنبأ عن جروحه، وطعنه بالحربة بواسطة مواطنيه الذين أحبهم، فقال عن لسانه:" فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة. فقال لي الرب:" ألقها الى الفخاري الثمن الكريم الذي ثمنوني به". وقال أيضا:" فيسألهُ: ما هذه الجروحُ في يديك؟ فيقول: هي التي جُرحتُ بها في بيت أحبائي". وقال أيضا:" وأفيض على بيت داود وعلى سُكان أورُشليم روح النعمة والتضرعات فينظرون الىَّ الذي طعنوهُ وينوحون عليه كنائح على وحيد له". (10:12).

فضلا عن ذلك فقد تنبأ عن أن آلام المسيح، بالرغم مما كان للبشر من يد فيها، كانت أولا وأخيرا بمشيئة الله وإرادته،

فقال الله على لسان هذا النبي:" استيقظ يا سيفُ على راعيٍّ وعلى رجل رفقتي".

4 - وميخا النبي الذي عاش قبل المسيح بسبعمئة وخمسين سنة تنبأ عن ضرب المسيح بقصبة أو قضيب فقال:

" يضربُون قاضي إسرائيل بقضيب على خده" (ميخا 1:5).

5 - وقال الملاك جبرائيل لدانيال النبي الذي عاش قبل المسيح بخمسمئة وخمسين سنة:" فاعلم وافهم أنهُ من خرُوج الأمر لتجديد أورُشليم وبنائِها (الذي حدث في عهد ارتحشستا الملك كما في نحميا 1:2 - 8) الى المسيح الرئيس (في مجيئه الأول) سبعةُ أسابيع واثنان وستونَ أسبوعا، يعُودُ ويبني سُوقٌ وخليج في ضيق الأزمنة. وبعد اثنين وستين أسبوعا (الأسبوع هنا هو أسبوع سنين كما في حزقيال 5:4 أي 49 سنة + 434=483) يُقطعُ المسيحً (أي يُرفض ويُقتل) وليس له" (أي ليس له الملك الذي يحق له) (دانيال 25:9 ، 26).

6 - وقال سمعان الشيخ للعذراء مريم، عندما حمل المسيح على ذراعيه ابتهاجا به، وهو لا يزال طفلا:" وأنت أيضا يجُوزُ في نفسك سيفٌ" (لوقا 35:2)، مشيرا بذلك الى الآلام الحادة التي تجوز في نفسها عندما ترى المسيح مصلوبا.

7 - وقال يوحنا المعمدان عن المسيح:" هُوذا حملُ اللهِ الذي يرفعُ خطية العالم" (يوحنا 29:1)، مشيرا بذلك الى أنه هو الفادي الذ يموت عوضا عن البشر، حاملا في نفسه القصاص الأبدي الذي يستحقونه بسبب خطاياهم.

الأدلة على صدق شهادة أنبياء العهد القديم

فضلا عن أن شهادة هؤلاء الأنبياء مدونه بالوحي الإلهي، الأمر الذي لا يدع مجالا للشك في صدقها، فإننا إذا نظرنا إليها من الناحية العقلية يتضح لنا أنها لا بد أن تكون صادقة للأسباب التالية:

1 - إن التوراة التي وردت بها هذه الآيات كانت موجودة عند اليهود قبل مجيء المسيح الى العالم بمئات السنين، فكانت هناك نسخ منها في الهيكل والمجامع والمدارس الدينية. وكان الكهنة واللاويون يقدسون هذه النسخ ويحافظون عليها بكل دقة وعناية. كما كانت هناك نسخ منها في أيدي أتقياء اليهود والكتبة والفريسيين والناموسيين والصدوقيين. وكانوا جميعا يواظبون على قراءتها، كما كانوا يعرفون عدد آياتها وكلماتها وحروفها، وعدد المرات التي ورد فيها كل كلمة وكل حرف، فقد عرفوا مثلا أن حرف الألف يتكرر 42377 مرة، وحرف البث (أو الباء) 38218 مرة، وحرف الجِمل (أو الجيم) 29537 مرة، وحرف الدالث (أو الدال) 32530 مرة، وحرف الهاء 475540 مرة. وبالإضافة الى ذلك فإن نسخ التوراة لم تكن محصورة في أورشليم أو مكتوبة فقط باللغة العربية، بل كان يوجد الكثير منها في البلاد التي تشتت أو انتقل اليهود إليها، مترجما الى اللغتين الكلدانية واليونانية، وربما الى غيرهما من اللغات. فليس من المعقول أن يكون بعض المسيحيين قد دونوا هذه النبوات في نسخ التوراة جميعا (إن سوّلت لهم نفوسهم القيام بعذه الجريمة) بدرجة لم تبق معها نسخة إلا مغيرة أو مزورة، لاستحالة جمع كل النسخ على اختلاف لغاتها من

المجامع والمدارس والكهنة والكتبة وباقي الأفراد الذين في أورشليم وغيرها من البلاد.

ولو فرضنا جدلا أن بعض المسيحيين دونوا هذه النبوات في ما وقع بين أيديهم فقط من نسخ التوراة، لاكتُشف جريمتهم ولأُعدمت هذه النسخ، وعوقب هؤلاء المسيحيون بأقسى العقوبات.

2 - إن النبوات المذكورة، فضلا عن أنها ليست متقاربة في معناها أو مبناها، مما لا يدع مجالا للظن بأن بعض الأنبياء اقتسبوا نبواتهم من البعض الآخر، فإنها لم تُكتب في عصر واحد أو بواسطة أشخاص تربطهم ثقافات أو ظروف واحدة، حتى كان يجوز الظن أنهم كتبوها تحت مؤثرات متشابهة. ولكن هذه النبوات كتبت في عصور متباعدة، فكُتب بعضها سنة 1000 ق.م، وبعضها الآخر سنة 700 ق.م، وغيرها سنة 500 ق.م، وكتبها أشخاص مختلفون، بينهم الشاب والشيخ، والغني والفقير، والملك والكاهن، والمثقف والأمُي، الأمر الذي لا يدع مجالا للدعوى بحدوث أى تواطؤ بينهم.

وإذا كان الأمر كذلك، فلا شك أن الله الذي كان يروى كل وقائع حادثة الصلب من الأزل، هو الذي أوحى الى كل نبي بناحية منها تتفق مع الظروف والأوقات التي كان يعيش فيها النبي.

3 - إن بعض هذه النبوات كانت تبدو أمام اليهود متناقضة، ولا يترتب إتمام بعضها على إتمام البعض الآخر، كالنبوة

الخاصة بجعل قبر المسيح بين مقابر الأشرار، وتلك الخاصة بدفن جسده في مقبرة أحد الأغنياء، مما يدل على أن الأنبياء لم يكتبوا نبواتهم من تلقاء أنفسهم، بل بوحي من الله الذي يعرف كل الأشياء قبل حدوثها، والذي ليس هناك أي تناقض في أقواله. فالمسيح وإن كان قد صُلب ظلما كمذنب، وكان من المحتم أن يُدفن في المقبرة العامة التي دُفن فيها المذنبان اللذان صُلبا معه طبقا للقانون الروماني، لكن شخصا ثريا من أتباعه يُدعى يوسف الرامي أخذ جسده بعد موته ودفنه في قبر جديد كان قد بناه لنفسه.

4 - أثبت عظماء المؤرخين صدق التاريخ الذي حددته نبوة دانيال لموت المسيح، فقد أجمعوا على أن صدور أمر أرتحشستا لتجديد أورشليم كان سنة 455 ق.م، وبذلك يكون الباقي بعد خصم هذا التاريخ من 69 أسبوعا (أي 483 سنة)، هو ما يُعادل 28 سنة بعد الميلاد بالنسبة الى تاريخ روما. وبعد إضافة سنة الفرق بين التاريخين القديم والحديث (الذي رأى العلماء وجوب إضافته لضبط التواريخ) يكون الناتج 29 سنة ميلادية. وهذه هي السنة التي صُلب المسيح فيها. لأن المؤرخين القدامى قدروا تاريخ ميلاد المسيح بما اكتُشف فيما بعد أنه يوافق سنة 4 ق.م، وذلك عندما قورن بتاريخ روما الذي كان يسود العالم وقتئذ. وبإضافة 29 الى أربعة يكون الناتج 33، وهي السن التي صُلب المسيح فيها.

5 - تنبأ الأنبياء الذين تنبأوا عن صلب المسيح عن قيام وسقوط ممالك كثيرة. وبالرجوع الى العهد القديم وكتب التاريخ نرى أن بعض هذه النبوات تحقق في أيامهم، والبعض الآخر تحقق بعد موتهم. مما يدل على أنهم تلقوا نبواتهم من الله نفسه (تثنية 21:18، 22). فضلا عن ذلك فقد أشار المسيح الى صدق نبوات هؤلاء الأنبياء عن شخصه. فقد قال لتلاميذه بعد قيامته من بين الأموات:" لا بُدَّ أن يتم جميعُ ما هُو مكتوبٌ عني في نامُوس موسى والأنبياء والمزامير.. هكذا هُو مكتُوبٌ وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألمُ ويقومُ من الأمواتِ في اليوم الثالث" (لوقا 44:24-46).

6 - أخيرا نقول إذا رجعنا الى الكتاب المقدس، لا نجد في أي عصر من العصور شخصا واحدا رافقت موته الظروف أو الأحداث السابق ذكرها إلا المسيح. فلا يمكن أن تكون نبوات العهد القديم التي نحن بصددها قد قيلت عن شخص غيره.

فإذا أضفنا الى ذلك أن الأنبياء الذين تنبأوا بهذه النبوات كانوا يؤمنون أن المسيح هو الملك العتيد للعالم، وأنهم لذلك كانوا يستبعدون بحسب أفكارهم البشرية أن تكون الآلام التي تحدثوا عنها خاصة به، أدركنا أن هؤلاء الأنبياء لا بد كانوا منقادين بروح الله وليس بآرائهم الشخصية، لأن روح الله هو الذي يعرف ما لا يعرفه البشر قاطبة. وقد أشار بطرس الرسول الى هذه الحقيقة فقال:" لأنه لم تأتِ نُبوةٌ قط بمشيئةِ إنسان، بل تكلم أناسُ اللهِ القديسُون مسُوقين من الروحِ القُدُس" (2بطرس 21:1).

هل من الممكن أن يكون المصلوب شخصا آخر غير المسيح؟

نسمع أحيانا أن الله ألقى بشبه المسيح على يهوذا. الواقع أن هناك على الأقل 12 سبب يتعارض مع هذا:

1 - نبوات العهد القديم عن صلب المسيح.
2 - تنبؤ المسيح عن صلبه.
3 - شهادة يوحنا المعمدان عن أن المسيح هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم.
4 - أقوال المسيح أثناء محاكمته.
5 - الكلمات التي نطق بها المصلوب.
6 - شهادة شهود العيان: مريم أم يسوع ويوحنا
7 - ظهورات المسيح بعد القيامة.
8 - صلاح الله لا يتمشى مع خداع البشر بإلقاء شبه المسيح على انسان آخر.
9 - إذا أراد الله أن يرفع المسيح ويقيه موت الصليب فإنه كان يستطيع أن يفعل هذا دون إلقاء شبهه على أحد.

4- الاعتراضات والرد عليها

التجسـد

هناك أدلة دينية وعقلية وتاريخية لا حصر لها، ذكرنا بعضها فيما سلف، وسنذكر البعض الآخر فيما يلي، تثبت أن المسيح كان شخصا حقيقيا عاش على أرضنا، وأن سيرته هي نفس السيرة المدونة في الإنجيل الذي بأيدينا، الأمر الذي يدل على أنه هو الله ظاهرا في الجسد. ولذلك يحق لنا ألا نقيم وزنا لأي إعتراض يُوجه ضد حقيقة شخصه الكريم. لكن نظرا لتأثر بعض البسطاء بما يسمعونه من الإعتراضات، نوجه نظر الجميع من أول الأمر، الى أن عددا كبيرا من مدعي الفلسفة قد أنكر في السنوات الأخيرة وجود الله، وبالتالي أنكر كل وحي. ثم أخذ يسعى بكل ما لديه من جهد لمقاومة المسيحية، إما لعدم قدرته على فهم عقائدها، أو لتعارض مبادئها مع ميوله وأهوائه. ولذلك ادعى أن هذه العقائد ليست أصلية أو حقيقية، بل أنها مقتبسة من أساطير الوثنيين. وليثبت صدق إدعائه، راح يضيف الى هذه الأساطير ويحذف منها ما شاء، حتى تبدو، حسب وجهة نظره، مماثلة للعقائد المسيحية من بعض الوجوه. فيجب على الباحث المدقق إذن أن يرجع الى الكتب، فقد درستُ كل ما عثرت عليه من هذه الكتب، ودرست معها تعليقات مؤلفيها، التي أرادوا بها، حسب وجهة نظرهم، إيجاد شبه بين المسيحية والوثنية، فوجدتُ أن الكتب الأخيرة، على الرغم من هذه التعليقات، تختلف في مادتها عن كتب مدعي الفلسفة اختلافا كبيرا. وعلى ضوء الحقائق الصادقة التي وصلتُ إليها أذكر فيما يلي اعتراضات المعترضين، ثم أذكر معها الرد المناسب عليها:

1 - **يعتقد فريق من وثنيي الهند أن الإله فشنو تجسد في كرشنا، ليخلِّص العالم** من خطاياه اللاحقة به، وأنه عندما ثقب جنب كرشنا بالحربة، قال للصياد الذي رماه بالنبلة، وهو مصلوب:" اذهب أيها الصياد محفوفا برحمتي الى السماء مسكن الآلهة". ثم مات. وعند موته حدثت مصائب عظيمة، وأحاطت بالقمر هالة سوداء، وأظلمت الشمس في وسط النهار، وأمطرت السماء نارا ورمادا. وبعد ذلك قام كرشنا من الأموات، ثم صعد بجسده الى السماء، وكثيرون شاهدوه صاعدا إليها. كرشنا هو الأول والوسط والآخر، وهو الذي يدين الأموات في اليوم الأخير. ويعتقد هذا الفريق أيضا، أنه في حضور أرجونا (أحد أتباع كرشنا) تبدلت هيئة كرشنا، وأضاء وجهه كالشمس، ومجد العلي اجتمع في إله الآلهة، فأحنى أرجونا رأسه تذللا ومهابة، وتكتف تواضعا واحتراما، وقال: الآن رأيتك على حقيقتك، وإني أرجو يا رب الأرباب. فعد واظهر علي ناسوتك ثانية، أنت المحيط بالكون. كرشنا تنازل رحمة ووداعة، وغسل أرجل البرهميين. وهو الكاهن العظيم، وهو العزيز القادر الذي ظهر بالناسوت، وهو البطل الوديع الذي قدم نفسه ذبيحة.

الرد: (أ) إن ما يسميه المعترض " تجسدا" لفشنو، هو التقمص الذي كان معروفا في الهند وغيرها من البلاد الوثنية. فقد ورد في الأساطير الهندية أن فشنو الذي يحدثنا عنه المعترض حل أولا في ما تيسا (سمكة)، وثانيا في كورما (سلحفاة)، وثالثا في قزاها (خنزير)، ورابعا في نارسيما (أسد)، وخامسا في فامان (قزم)، وسادسا في ماراسونا (فأس)، وسابعا في داساراثارما (الوجه القمري)، وثامنا في كرشنا (الإله المظلم)، وتاسعا في البوذا (المستنير)، وأنه سيحلُ للمرة العاشرة عند انتهاء العالم في كالكي، الذي هو الزمن، كما يقول بعض العلماء.

و" التقمص" كما يعتقد الوثنيون، هو انتقال روح الإنسان بعد موته الى أجساد الحيوانات أو الناس، لتتطهر، حسب زعمهم، من خطاياها. وهو كذلك حلول آلهتهم في بعض الناس أو الحيوانات أو النباتات لأغراض خاصة. أما التجسد، كما هو معروف في المسيحية، فيختلف كل الإختلاف عن التقمص والحلول، كما اتضح لنا مما سلف.

ولحلول فشنو في كل كائن من هذه الكائنات سبب عند الوثنيين، ولا يتسع المجال أمامنا لذكر كل سبب من هذه الأسباب، ولكن نقول على سبيل المثال، إنهم يعتقدون أن فشنو قد تقمص سلحفاة ليستطيع أن يسبح في الماء ويصل الى فقاعة خاصة فيه، عبارة عن أنثى جميلة، أحبها فشنو وأراد أن يقترن بها.

ولا يُسند ما يدعوه المعترض تجسدا عن الوثنيين الى فشنو وحده، بل الى كثير من الآلهة غيره. فيقول الهنود عن سيفا إنه حلُ قي أحد عشر حيوانا، كلها مخيفة ومرعبة. ولعل هذا هو السبب الذي من أجله سُمي " رب الحيوانات". وحلول الآلهة، كما يعتقد الوثنيون، لا يكون في البشر والحيوانات فقط، بل وفي النباتات والجمادات أيضا. كما أنه لا يكون بدرجة واحدة في كل ظهور صفات الإله في بعض هذه الكائنات، والحلول الثاني هو ظهور تُمن الإله، كما حدث في

حالة (لكشامانا)، والحلول الثالث هو ظهور رُبع الإله، كما حدث في حالة (بهاراتا)، والحلول الرابع هو ظهور نصف الإله، كما حدث في حالة (راما)، والحلول الخامس هو الظهور الكامل، كما حدث في حالة (كرشنا).

والسبب في حلول فشنو في كرشنا يرجع، كما يزعمون، الى أن الآلهة ذهبت مرة الى فشنو، وشكت له ظلم الملك (لانكا) وغيره من الملوك العتاة، فوعدهم أنه سيحل في إنسان ويقضي على (لانكا) وعلى الملوك العتاة معه ويخلص البلاد من ظلمهم. هذا هو ما يقول عنه المعترض إنه " التجسد" الذي اقتبس منه المسيحيون عقيدتهم. فيا لها من مغالطة، بل ويا لها من مكابرة! ففكرة حلول فشنو في كرشنا، فضلا عن أن المراد بها هو تقمصه فيه، هي فكرة أرضية صاغها خيال الوثنيين للتنفيس عن كراهيتهم لظلم لانكا. وما أبعد هذه الفكرة عن عقيدة التجسد المسيحية، والتي يُراد بالتجسد فيها المعنى الحرفي للتجسد، والتي تظهر محبة الله المطلقة للناس، وتنازله بالظهور لهم ليستطيعوا الإقتراب منه، والتوافق معه في صفاته الكريمة السامية.

(ب) قول المعترضين إن الوثنيين يعتقدون أن كرشنا يخلص العالم من الخطايا اللاحقة به، ليس له أساس في الأساطير الوثنية، بالمعنى الذي نفهمه من الخلاص، لأن كرشنا هذا، كان هو نفسه كتلة من الخطايا، إذ كان يرتكب شرورا وآثاما لم يرتكب غيره مثلها، حتى اعتُبر عند الوثنيين " إله الشهوة والمظهر المتجسد لها".

وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا قيل عن كرشنا إنه يخلص العالم من خطاياه اللاحقة به؟

الجواب: إن الخلاص من الخطيئة، في نظر أتباع كرشنا وغيره من آلهة الوثنيين، ليس هو التحرر من سلطانها والنجاة من قصاصها، كما تنادي المسيحية، بل هو الإنغماس في الخطيئة الى آخر حدود الإنغماس، لأن هذا المدى من الإنغماس، كما يعتقدون، يطهر النفس ويجعلها أكثر قربا من الآلهة. فاستخدم المعترض هذا المعنى النجس، ودون أن يشير الى التناقض بينه وبين معنى الخلاص في المسيحية، وقال إن وثني الهند يعتقدون أن كرشنا يخلص العالم من الخطايا، كما يقول المسيحيون عن المسيح، وذلك ليُدخل في روع البسطاء منهم أن معتقداتهم مقتبسة من الوثنية.

أما إذا كان المعترض يجهل معنى الخلاص من الخطيئة في الوثنية، فربما يكون الدافع له للقول إن كرشنا يخلص العالم من الخطايا، يرجع الى أنه عندما قرأ في الأساطير أن فشنو حل في كرشنا ليخلص العالم من ظلم (لانكا) وغيره من الملوك، (كما ذكرنا فيما سلف)، وكان يضمر في نفسه أن يخلع شخصية المسيح على بعض آلهة الوثنيين ليُدخل في روع المسيحيين أن المسيح لم يكن شخصا حقيقيا، بل أن سيرته مقتبسة من الأساطير الوثنية، سولت له نفسه أن يقتبس من الأساطير عبارة " كرشنا يخلص العالم" (التي يُقصد بها في الأصل تخليصه من ظلم لانكا وغيره من الملوك)، وأن يضيف إليها من عنده عبارة " قدم نفسه ذبيحة" ليتقن الدور الذي يريد تمثيله. مع أن كرشنا، كما يعلم جميع العارفين بالأساطير، لم يقدم نفسه ذبيحة لخلاص العالم، بل قدم نفسه ذبيحة لإشباع أهوائه وشهواته، فقد عاش حياة الدنس والفساد حتى فارق الحياة.

(ج) إذا تأملنا القصة التي أوردها المعترض عن كرشنا، وجدنا فيها التلفيق واضحا جليا. فالمعترض يحاول جهد الطاقة أن يُدخل في روع المسيحيين أن الوثنيين كانوا يعتقدون أن كرشنا صُلب لأجل خلاص العالم، كما يقولون هم عن المسيحيين. ويريد في الوقت نفسه أن يذكر شيئا عن الطريقة الحقيقية التي مات بها كرشنا ليوفق، حسب وجهة نظره بين الحقيقة وبين غرضه، حتى يعتبر نفسه صادقا فيما رواه، فكشف بذلك عن سوء نيته وتزويره للحقائق دون أن يدري. فما العلاقة بين الحربة والنبلة؟ وما العلاقة بين صياد الطيور ومن يستعمل الحربة؟ وما الداعي لإيراد عبارة " وهو مصلوب" بعد كلمة " بالنبلة"؟ هل هذا هو موضعها الصحيح، أم أنها حُشرت في هذا الموضع حشرا، لمجرد لفت النظر إليها؟ وهل كان الصلب معروفا في الهند أم كان معروفا في بلاد الرومان وحدها، كما يقول المؤرخون؟.

وليعرف القارئ شيئا عن الكيفية التي مات بها كرشنا، حتى يتضح له تلفيق المعترض للحقائق، نقول إن الأساطير الهندية ذكرت أن كرشنا كان يسير مرة على شاطئ نهر، وكان بجوار الشاطئ غابة يدخلها الصيادون من وقت الى آخر لصيد الطيور والحيوانات، فحدث مرة أن أخطأ أحدهم المرمى، فنفذت حصاته، كما يقول بعض الرواة، أوسهمه، كما يقول بعض آخر، الى مقتل من كرشنا، فسقط لساعته على الأرض ومات.

أما القول إن كرشنا قد قال للصياد:" إذهب أيها الصياد محفوفا برحمتي الى السماء مسكن الآلهة" فليس له أساس في الأساطير. وهو دليل على أن المعترض قد اقتبس من الإنجيل قول المسيح للص التائب:" اليوم تكون معي في

الفردوس"، وصاغه بما يتفق مع الرواية التي اختلقها، ليتقن الدور الذي يريد تمثيله.

(د) ولا يتسع لنا المجال للرد على كل عبارة من عبارات المعترض الباقية، ولذلك نكتفي بالقول إنها كلها مختلقة، فالأساطير الوثنية لم تذكر مطلقا أنه عند موت كرشنا حدثت مصائب، أو أنه هو الذي يدين الأموات، أو أنه إله الآلهة ورب الأرباب، أو أنه كان وديعا، أو أنه غسل أرجل البرهميين، أو أن وجهه قد ضاء مرة، أو ... أو ... الأمر الذي

يدل بوضوح على أن المعترض، أراد أن يُلبس كرشنا ثوب المسيح، على الرغم من التناقض الذي لا حد له بينهما، ليوهم البسطاء أن العقائد المسيحية مقتبسة من الوثنية.

2 - **يعتقد البوذيون أن بوذا إلهٌ ترك الفردوس مرة، وجاء الى العالم في ناسوت، ليبرر الناس من خطاياهم**، ويزيل عنهم القصاص الذي يستحقونه بسببها. وفي أواخر أيامه، نزل عليه بغته نور أحاط برأسه بهيئة إكليل، وانبعث من جسده نور عظيم فصار كتمثال من ذهب براق. وحين رأى الحاضرون هذا التبدل في هيئته، قالوا: ما هذا بشر، إن هو إلا إله عظيم. كما يعتقد هؤلاء البوذيون أنه بعد موت بوذا، صعد جسده الى السماء.. وكانت آخر عبارة نطق بها هي:" دعوا الآثام التي ارتُكبت في هذا العالم تقع عليّ، ليخلُص العالم من قصاصها".

الرد: (أ) يتجاهل المعترض كعادته الأساطير الهندية. وكل ما يفعله هو اقتباس عبارة منها ليزج بها وسط القصة التي يريد تأليفها عن الشخصية التي اختارها ليُلبسها ثوب المسيح. وفي سبيل تأليف تلك القصة لا يتورع أن يسند الى هذه الشخصية أعمالا لم تعملها، وأقوالا لم تنطق بها، بل وحياة تتعارض مع حياتها كل التعارض، وذلك ليدخل في روع المسيحيين أن المسيح لم يكن شخصا حقيقيا، بل أن سيرته اقتبسها قادتهم من الأساطير الوثنية. فمثلا استعار كلمة " حل" الواردة في الأساطير بمعنى " تقمص"، وصاغها في الأسلوب المسيحي:" جاء في ناسوت" متجاهلا أسماء الكائنات التي قالت الأساطير إن بوذا قد حل أو تقمص فيها، ولكن ما تجاهله وأخفاه عن القراء، نذكره نحن هنا لتتجلى لهم الحقيقة. فقد جاء في هذا الأساطير أن بوذا حل في أسد، ثم في فيل أبيض، ثم في كاهن، وأخيرا في قرد ..!!

فضلا عن ذلك، فقوله إن بوذا قال إنه أتى الى العالم ليبرر الناس من خطاياهم، ويزيل عنهم القصاص الذي يستحقونه بسببها هو محض اختلاق، لأن بوذا كان قد رفض نظام الذبائح الكفارية رفضا تاما، ونادى بانه يجب على الإنسان أن يرتقي بنفسه فوق شهواته وأهوائه، وأن من لا يفعل ذلك لا يرتقي الى الطور الرابع، وهو طور " النرفانا". ولذلك كانت كلماته الأخيرة لأتباعه هي:" كونوا لأنفسكم نورا وملجأ حصينا، ولا تلوذوا بغير أنفسكم". وهذه الكلمات تدل بوضوح على أن مبدأه، هو أن كل إنسان مسئول عن أعماله، وأنه ليس هناك من يحمل عنه آثامه أو يكفر له عنها.

وترى لماذا فات المعترض أن يؤلف لنا فصلا عن الكيفية التي كفر بها بوذا عن العالم أو خلصه بها؟! هل خانه خياله، أم خشي أن يعيد الى مسامعنا ما ذكره عن موت كرشنا، لئلا نتهمه بالتلفيق والتزوير، أن استحسن أن يترك موضوع موت بوذا جانبا، ليُدخل في روعنا أنه كاتب أمين لا ينقل إلينا من الأساطير إلا ما قرأه فعلا، أو لنستنتج نحن أن المسيحيين الأوائل اقتبسوا شيئا من سيرة كرشنا وشيئا آخر من سيرة بوذا، وكوَّنوا من الاثنين قصة المسيح؟! ولكن ما أخفاه المعترض، نذكره هنا للقراء، ليعرفوا الحقيقة كما هي. فقد قيل إنه عندما كان بوذا في بلدة باقا، أراد حداد اسمه تشوندا أن يكرمه، فقدم له لحما. ولما أكل بوذا هذا اللحم أحس بألم شديد في أمعائه وأيقن أن ساعته قد جاءت. فشكر الحداد لأنه عجل بانطلاقه من هذا العالم، ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى مات. فأخذ أتباعه جسده ليحرقوه كعادتهم، ولكن النار لم تؤثر في جسده إطلاقا، فتركوه فيها سبعة أيام، وفي نهاية اليوم السابع التهمت النار حسده وأحرقته.

(ب) كما أن قول المعترض إن هيئة بوذا قد تبدلت، وإن جسده قد أضاء بنور عظيم، ليس له أساس على الإطلاق في الأساطير. والموضع الوحيد الذي وردت فيه كلمة " نور" في سيرة بوذا، هو:" وبعد ما قسا بوذا على جسده وأذله بالزهد والتقشف، وجد أن نفسه لم تتطهر كما كان يظن، بل أنها لم تزل تميل الى الأهواء كما كانت تفعل من قبل. فترك الزهد والتقشف وعاد الى طعامه كالمعتاد. ولكنه لم يلبث طويلا حتى أخذت تتنازعه الشكوك والمخاوف، وتساوره الأفكار في أن يعود الى بيته ويعدل عن سعيه. وأخيرا جلس ذات يوم بجوار شجرة، ومكث هناك يوما بأكمله في نزاع داخلي بينه وبين نفسه، حتى إذا بزغ القمر، أشرق عليه نور الحق ينبئه أن شقاء الحياة لا ينبعث من الجسد، بل من رغبات النفس وأهوائها، وأنه في استطاعة الإنسان أن يكون سيدا على نفسه لا عبدا لها، وذلك بالثقافة الروحية والسلوك بالإخلاص مع بني جنسه". ولذلك يبدو لي أن المعترض عندما قرأ أن بوذا أشرق عليه نور، وكان في نيته من قبل أن يسند شخصية المسيح إليه، تذكر حادثة تجلّي المسيح فاقتبسها المعترض من الإنجيل، بعد أن وضع فيها اسم بوذا عوضا عن اسم المسيح، ثم راح يخلع عليها من خياله ما يتفق مع الجمال الهندي، فقال إن بوذا أصبح كتمثال

من ذهب براق، ليُدخل في روع المسيحيين، أنه قد نقل لهم أسطورة حقيقية من بلاد الهند نفسها.

(ج) كما أنه أقتبس من الأساطير الهندية عبارة " صعد بوذا الى السماء"، ثم نقل من الإنجيل حادثة قيامة المسيح من بين الأموات وصعوده الى السماء، بعد أن وضع فيها اسم بوذا بدلا من اسم المسيح، ليوهم المسيحيين أن قيامة المسيح لا نصيب لها من الصواب، وأنها مسروقة من الأساطير الهندية. لكن الرواية التي وردت فيها عبارة " وصعد بوذا الى السماء"، والتي أخفاها المعترض لسوء نيته، هي أن بوذا، بفضل ما بلغه من الإخلاص والأمانة، رأى أمامه سلما يمس الأرض، وقمته تمس السماء، فصعد بوذا عليه ورأى الله وتحدث معه، ثم عاد الى الأرض وأستأنف عمله في

هداية الناس وإرشادهم. كما أنه لم يرد في الأساطير الهندية مطلقا أنه بعد ما دُفن بوذا انحلت الأكفان، أو فُتح غطاء التابوت، أو أنه صعد بجسده الى السماء، فكل هذا منقول من الإنجيل ومسند الى بوذا زورا وبهتانا.

3 - **" كان السوريون يعتقدون أن الإله تاموز، تألم من أجل الناس، ولذلك كانوا يدعونه المصلوب والفادي والمخلص،** كما كانوا يحتفلون كل سنة بذكرى موته. وكان كهنته يقولون للناس: ثقوا بربكم فإن الآلام التي قاساها قد جلبت لنا الخلاص".

الرد: نحن نشكر الله الذي سمح أن تنتشر الكتب بين ظهرانينا، حتى أصبح العلم ليس قاصرا على فئة من الناس دون الأخرى، بل أصبح في متناول الناس جميعا. فليسمع القارئ إذن أسطورة تاموز (التي يقول لنا المعترض إن سيرة المسيح مقتبسة منها) وذلك نقلا عن أوثق المصادر وأصدقها. كان تموز يُعتبر عند معظم الوثنيين إله الزراعة أو الربيع، ولذلك كانوا يعتقدون أنه يتجلى أو يقوم بظهور النباتات، وأنه يختفي أو يموت بذبولها. فهو بناءً على عقيدتهم، كان يقوم ويموت مرة كل عام. وكانوا يعتقدون أيضا أن تاموز أحب أخته إشتار واقترن بها ــ وهنا تختلف الروايات في ذلك، فتقول رواية إنه بعد ما اقترن بها قتلته، ولما شعرت بجريمتها بعد ذلك حزنت حزنا شديدا عليه. وتقول رواية أخرى إن حرارة الشمس اللاذعة هي التي قتلته. وسواء أكانت الرواية الأولى هي الصادقة أم الثانية، فإن كلتيهما تقول إن إشتار تنزل كل عام الى العالم السفلي، وتمكث مع تاموز حتى تُصعده في فصل الربيع. وفي أيام المناحة على موته كانت السوريات، ومعهن الكنعانيات والأشوريات، يحلقن شعرهن حزنا عليه، ويرثينه بمراثٍ تأخذ بمجامع نفوسهن، ولذلك كن يبكين عليه بكاءً حارا، وكان هذا البكاء يستمر حتى يدفن الكهنة تمثاله في هيكله. وفي أعياد ظهوره كن يطربن ويفرحن، ويستسلمن لأهواء الجسد وشهواته، بلا قيد أو شرط.

مما تقدَّم، يتضح لنا أن القول إن تاموز تألم من أجل الناس، وإنه كان يُدعى المخلص والفادي والمصلوب، وإن آلامه قد جلبت الخلاص إليهم، هو ادعاء ومحض اختلاق، وجريمة أدبية شنيعة، لأنها تهدف الى تشويه الحقائق وتشكيك البسطاء في عقائدهم. ولكن شكرا لله، فإنه لا يتسرب الى مؤمن حقيقي أي شك من جهة عقيدته، لأن الدلالة على صدقها أثبت من أن تزعزعها هجمات الناس، أو هجمات الأبالسة والشياطين معا.

4 - **" كان أحد الكتاب اليونان، قد كتب قبل المسيح، رواية عن شخص صلبه الكهنة على جبل قوقاسوس، جاء فيها أنه بسبب ذنوب الناس قد جُرح،** وبداعي طغيانهم قد سُحق، وبضربه وجلده قد شُفوا.. وأنه اضطُهد وتألم وامتُهن، دون أن يتململ".

الرد: إن الجبل الذي يسميه المعترض " قوقاسوس"، هو جبل " القوقاز". والشخص الذي قال عنه إنه صُلب هناك، هو المسمى في الرواية " بروميتيه".

وليعرف القارئ الحقيقة كما هي، نقول: إن كاتب هذه الرواية أراد، كما ذكر الأستاذ أندرييه، أن يحط من شأن السلطة المطلقة، التي كانت تسود بلاد اليونان في أيامه، وأن يُظهر مساوئها ومضارها، وأن يحث الناس على التضحية في سبيل مناهضتها، ليتمتعوا بالديمقراطية. فارتأى أن " بروميتيه" بعد ما ساعد " جوبيتر" في القضاء على أعدائه، والإرتقاء به الى مركز " رب الآلهة" حقد " جوبيتر" عليه (لأن بروميتيه كان يحب الناس ويساعدهم في شؤونهم) وعزم على إهلاكه وإهلاك الناس معه. فعارضه " بروميتيه" وأظهر له خطأه. لكن " جوبيتر" أصر على رأيه. وليتخلص منه صلبه على جبال القوقاز، وأمر " فلكان" بتعذيبه، فكان هذا يغرس حديدا محمى بالنار في جسمه، وبعد ذلك أهاج " جوبيتر" النسور عليه، فكانت تمزق لحمه. وظل بروميتيه على هذه الحال، حتى أنقذه هرقل.

مما تقدم، يتضح لنا أنه بالإضافة الى أن موت المسيح كفارة عن الناس هو أصلي في المسيحية، وقد شهد عنه أنبياء الله في العهد القديم، قبل ظهور كاتب رواية " بروميتيه" بمئات السنين، فإن هذه الرواية تختلف عن حادثة صلب المسيح من وجوه كثيرة، الأمر الذي يقضي على كل ظن بأن هذه الحادثة مقتبسة من الرواية المذكورة. فالمسيح قدم

نفسه بإختياره للموت، أما بروميتيه فسيق للموت رغما عنه. والمسيح قَبِلَ الموت كفارة عن خطايا الناس، أما بروميتيه فلم يمُت عن خطايا إنسان ما. وما تصور مؤلف الرواية أن بروميتيه قد عمله، هو ما عمله ويعمله كثير من الأحرار في كل زمان ومكان. لكن مَن مِن الناس أو غير الناس استطاع أو يستطيع أن يعمل ما عمله المسيح؟

فهو مع أنه هو الذي له وحده البقاء (أو عدم الموت) رضي أن يسلم نفسه فدية، ليس عن أناس قديسين، بل عن عصاة أشرار، لينقذهم من سلطة الخطيئة وعقوبتها، ويؤهلهم للتوافق مع الله في هذا العالم، وفي الأبدية أيضا. أما القول إن بروميتيه جُرح بسبب ذنوب الناس، وسُحق بداعي طغيانهم فليس له أساس في الأساطير، وهو منقول عن نبوة إشعياء النبي، التي نادى بها عن صلب المسيح قبل هرقل بمئات السنين (إشعياء 53). وكان من الواجب على المعترض، إذا أراد أن يستعير أسلوب الكتاب المقدس، أن يقول:" إن روميتيه جُرح بسبب دفاعه عن الديمقراطية، وسُحق بسبب

إخلاصه لها". لكنه شاء أن يزور الحقائق الثابتة، فيأخذ الآيات التي قيلت عن المسيح ويسندها الى بروميتيه، ليوهم البسطاء أن العقائد المسيحية مسروقة من الأساطير القديمة!

5 - **" كان قدماء المصريين يحترمون الإله أوزيريس، ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة من أجل الناس، لينالوا الحيا الأبدية".**

الرد: نذكر فيما يلي أسطورة أوزيريس نقلا عن أوثق المصادر: زعم قدماء المصريين أن أوزيريس أحب أخته إيزيس واقترن بها، وأنه كان يحب خير الناس وهناءهم، ويعمل كل ما في وسعه لإنقاذهم من فقرهم وجهلهم، وأنه كان يطوف جميع أرجاء البلاد، ليتفقد شؤون الناس وينشر الرخاء والحضارة بينهم. ولكن أخاه (ست) كان عدوا لكل خير وهناء، ولذلك كان ينتهز فرصة غياب أوزيريس عن بلد ما، ويقضي على كل أعماله الصالحة فيها، ولولا حرص إيزيس وسهرها، لكان قد قضى على كل هذه الأعمال. وأخيرا فكر في حيلة للقضاء على أوزيريس نفسه، فعرف بطريقة ما حجم جسمه، وعمل صندوقا بهذا الحجم تماما، من ذهب وأحجار كريمة. ثم أخذه معه الى وليمة عظيمة، كان مدعوا إليها أوزيريس، وأثناء تداول الحديث بين الحاضرين، قال إنه على استعداد أن يعطي هذا الصندوق، لمن كان حجم جسمه مثل حجم الصندوق تماما. فأخذ الحاضرون يجربون الصندوق واحدا بعد الآخر، ولكنهم وجدوا أنه لا يناسب أحدا منهم. وأخيرا تقدم أوزيريس ورقد في الصندوق ليجرب حظه، فأغلق " ست" الصندوق في الحال، وألقى به في النهر، فحمله النهر الى البحر. وبعد مدة من الزمن عثرت إيزيس على جثة زوجها، وأعادتها الى مصر. وفي يوم ما ذهبت لزيارة ابنها حورس، فأتى " ست" وأخذ جثة اوزيريس وقطعها قطعا صغيرة (قيل إنها كانت 14 قطعة وقيل إنها كانت 42 قطعة، وقيل إنها كانت 72 قطعة)، وقذف بها في جهات متفرقة. فلما علمت إيزيس بذلك، أخذت تبحث عن أجزاء جثة زوجها، وتدفن كل جزء تعثر عليه. ولما كبر حورس انتقم من " ست" شر نقمة. أما أوزيريس فقد عاش في العالم السفلي، وأصبح إله الأموات. وفي رواية أخرى إنه مات أوزيريس بكت عليه إيزيس، فسقطت دموعها على صندوقه، ولذلك قام على الفور، وعاش مرة ثانية على الأرض. وفي رواية غيرها أن أوزيريس كان يغرق كل عام في وقت الفيضان، وكانت أخته تنزل الى الأعماق لتنتشله من الغرق.

مما تقدم، يتضح لنا أنه بالإضافة الى أن موت المسيح كفارة عن الناس أصلي في الكتاب المقدس، وقد شهد عنه أنبياء الله في العهد القديم قبل حدوثه بمئات السنين، فإن الأساطير التي قيلت عن أوزيريس تختلف كل الإختلاف عما ذكره الكتاب المقدس عن موت المسيح، الأمر الذي يقضي على كل ظن بأن خبر موته قد نُقل عن الأساطير. ولذلك كان من الواجب على المعترض أن يلزم النزاهة فلا يقول إن أوزيريس مات ذبيحة لأجل الناس لينالوا الحياة، بل يقول الأسباب الحقيقية التي زعم قدماء المصريين أنها أدت الى مقته. ولكنه شاء، وما أسوأ مشيئته، أن يزور الحقائق الثابتة، فيُسند عمل المسيح الفريد الى أوزيريس، ليُوهم بسطاء المسيحيين أن عقائدهم مسروقة من الأساطير الوثنية!

6 - " ورد في كتاب (The Mystery of Jesus' Life) أن العلماء **عثروا بين الآثار المصرية على تاريخ إنسان يشبه المسيح في مولده وحياته وموته وقيامته**، كل الشبه. ولذلك إن لم تكن سيرة المسيح مقتبسة من الأساطير السابق كرها، تكون مقتبسة من سيرة هذا الإنسان".

الرد: تاريخ قدماء المصريين، وغيرهم من الشعوب القديمة والحديثة، يخلو من أية إشارة عن مثل هذا الإنسان. فمن المؤكد أنه ليس إنسانا حقيقيا، بل هو إنسان خيالي، قام بصياغته مؤلف هذا الكتاب ليُدخل في روع البسطاء أن سيرة المسيح مقتبسة من تاريخ قدماء المصريين. ومما يثبت ذلك أيضا، أننا رجعنا الى الكتاب المذكور، ووجدنا أن مؤلفه قد استعمل في وصفه لهذا الإنسان، أسماء رجال ونساء وبلاد، كما أشار الى أنظمة وتقاليد وعادات، لم تكن معروفة أو متبعة في مصر على الإطلاق، بل كانت معروفة ومتبعة في بلاد فلسطين وحدها. وهذا دليل قاطع على أنه أطلع على

سيرة المسيح المدونة في الإنجيل، ثم صاغ منها قصة إنسانه المزعوم! وهكذا خانه التوفيق في مهمته، كما يخون غيره من المدعين، وكشف بنفسه دون أن يدري، عن تزويره وسوء نيته.

أخيرا نقول، كردٍ عام على الإعتراضات السالفة، إننا إذا رجعنا الى بدء معاملة الله مع البشر، الواردة في أول أسفار التوراة، وجدنا أنه بعدما أغوت الحية (أو الشيطان) حواء على مخالفة وصية الله، قال تعالى للحية (أو بالحري للشيطان) على مسمع من آدم وزوجته (أي قبل ظهور الوثنية على الأرض بأجيال عديدة): " وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها. هو (أي نسل المرأة) يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه" (تكوين 15:3، 16).

و" الحية" اسم من أسماء الشيطان، فقد قيل بالوحي عنه:" الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان، الذي يضل العالم كله" (رؤيا 9:12). والعرب أيضا يسمون الحية شيطانا (مختار الصحاح ص338). ويطلق هذا الإسم على الشيطان، بسبب ما اشتهر به من الخداع والتضليل. وقد أشار الرسول بالوحي الى هذه الحقيقة، فقال للمؤمنين:" ولكني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها، هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح" (2كورنثوس 3:11). كما أن كلام الشيطان مع حواء، ليس بالأمر الغريب، فقد شهد السير أوليفر لودج وغيره من العلماء، بوجود الأرواح وعملها، وتحدثها مع بعض الناس.

وكلمة " نسل" في اللغة الأصلية التي تُرجم منها الكتاب المقدس، لا يُقصد بها الجمع بل المفرد، وفي اللغة العربية أيضا " النسل هو الولد" (مختار الصحاح ص657). أما الجمع، فيُستعمل له اللغة الأصلية كلمة أخرى تُرجمت الى العربية " أنسال" والى الإنكليزية " Seeds " ولذلك فالمقصود بنسل المرأة في هذه الآية، شخص واحد وليس أشخاصا كثيرين. وقد أشار الرسول بالوحي الى هذه الحقيقة فقال:" وأما المواعيد (الخاصة بالبركة) فقيلت (بواسطة الله) في إبراهيم ونسلة (بالمفرد). لا يقول وفي الأنسال كأنه عن كثيرين، بل كأنه عن واحد، في نسلك، الذي هو المسيح" (غلاطية 16:3)، وذلك بوصف المسيح هو الله الظاهر بين الناس، ليباركهم ويعطيهم حياة أبدية.

وبما أن النسل يُنسب الى الرجل وليس الى المرأة، إذن فإسناد النسل هنا الى المرأة دون الرجل، إشارة الى أن الذي يسحق رأس الحية، سيُولد من امرأة دون رجل، أو بالحري يولد من عذراء.

ويتضح من هذه النبوة أن المسيح يسحق رأس الشيطان، وأن الشيطان يسحق عقب المسيح. وسحق الرأس معناه القضاء التام أو بالحري الهلاك الأبدي، وسحق العقب معناه التعقب حتى إنهاء الحياة الأرضية. وإذا رجعنا الى الإنجيل، وجدنا أن هذه النبوة قد تحققت تماما، فالمسيح نزع سلطان الشيطان عن المؤمنين، بتكفيره عن خطاياهم وإعطائهم القوة الكافية للإنتصار عليه (يعقوب 7:4)، كما أعلن أنه سيقضي عليه أيضا قضاءً تاما في آخر الدهور (رؤيا 10:20). والشيطان من جانبه كان يتعقب المسيح منذ ولادته، فكان يهيج الملوك والرؤساء ضده، المرة بعد المرة ليقتلوه (متى 7:2 - 17، 1:4- 11، لوقا 28:4 - 30). ولكنه لم يفلح في أية مرة من هذه المرات، لأن ساعة انتقال المسيح من هذا العالم، لم تكن قد جاءت حينذاك.

لكن عندما جاءت هذه الساعة، سمح المسيح للشيطان أن يثير الأشرار كعادته، ليفعلوا بالمسيح ما كانوا قد أرادوا أن يفعلوه من قبل. فأخذوه وصلبوه (وطبعا ما كان لهم أن يصلبوه رغما عنه، فحياته كانت ملكا له، وكان له السلطان المطلق في تسليمها وعدم تسليمها). وقد انتهز المسيح هذه الفرصة، كما انتهز غيرها من قبل، وأظهر كماله المطلق ومحبته التي لا نهاية لها للبشر، على الرغم من شرورهم وآثامهم. ولذلك فإن الشيطان حتى في نجاحه في تسليم المسيح للموت، قد فشل فشلا تاما في أغراضه، لأنه بقبول المسيح للصلب، قد قضى على الخطيئة قضاءً تاما، واجتذب إليه البشر بقوة لا مثيل لها، وحرر المؤمنين منهم من الخطيئة تحريرا أبديا ـ وبهذه المناسبة نرجو ألا يغيب عن ذهن القارئ أن الشيطان لم يكن ليقوى على إثارة الناس ضد المسيح لو لم تكن لديهم رغبة من قبل في قتله، لأن الشيطان لا يدفع إنسانا الى عمل الشر، إلا إذا كان هذا الإنسان راغبا في عمله من قبل.

يقول (تكوين 15:3) إنه سيولد من امرأة شخص يسحق رأس الحية (أو الشيطان)، أو بتعبير آخر يقضي عليه وعلى سلطانه قضاة تاما. وبما أنه ليس هناك واحد من البشر يستطيع القيام بهذه المهمة، لأن الشيطان قد غلبهم جميعا، إذ أسقطهم بمكره وخداعه في الخطيئة، وبما أنه ليس هناك أيضا واحد من الملائكة يستطيع القيام بالمهمة المذكورة، لأن الملائكة خلائق محدودة، والخلائق المحدودة ناقصة وضعيفة ومعرضة للسقوط في الخطيئة، إذن لا شك في أن الشخص الذي قيل عنه إنه سيولد من المرأة ويسحق رأس الشيطان، هو كائن لا حد لقدرته، وفي الوقت نفسه لا يخطئ على الإطلاق. وبما أن القادر على كل شيء، والمعصوم من الخطيئة، هو الله وحده، إذن فهذا الشخص هو الله. وبما أنه سيولد من المرأة، إذن فهو سيأخذ طبيعة إنسانية منها، أو بالحري يتجسد منها. وقد أشار الرسول في العهد الجديد

الى هذه الحقيقة، فقال:" وإذ تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو (أي المسيح) كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت (أي موته على الصليب) ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفا من الموت، كانوا جميعا كل حياتهم تحت العبودية" (عبرانيين 14:2). وقال أيضا:" لكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولودا من امرأة، مولودا تحت الناموس، ليفتدي الذين تحت الناموس (الذي يقضي عليهم بالموت بسبب خطاياهم)، لننال التبني" (غلاطية 5:4) وما يتبعه من الحرية الروحية والحياة الأبدية.

فإذا تقدمنا في مطالعة التوراة، وجدنا أن أنبياء كثيرين تنبأوا قبل الميلاد بمدة تتراوح بين 1000 سنة و 750 سنة، عن تجسد الله وقيامه بالتكفير عن الناس، بينما أقدم شخص، يقول الوثنيون إن إلها حل (أو تقمص) فيه، وهو كرشنا، يرجع تاريخه الى سنة 500 ق.م. فقط. فحقيقة تجسد الله في المسيح. لم تظهر بظهور رسله فحسب، حتى كان يجوز القول إنها اقتُبست من الوثنية، التي كانت في العالم قبل ظهورهم، بل إن أنبياء الله في العهد القديم أيضا، كانوا قد تنبأوا عنها بآيات واضحة من قبل ظهور أية فكرة عن حلول آلهة الوثنيين في أشخاص أو أشياء بمدة تتراوح بين 500

و 250 سنة تقريبا. ولذلك ليس هناك مجال للظن، بأن الرسل قد اقتبسوا موضوع تجسد الله من الوثنية، كما يقول المعترضون.

7 - **يعتقد الوثنيون أن كرشنا وبوذا ولاؤتسزي وزاردشت قد وُلدوا من عذارى**، كما يقول المسيحيون عن المسيح، الأمر الذي يدل على أنهم اقتبسوا فكرة الولادة العذراوية من الوثنيين.

الرد: (أ) إن حقيقة ولادة المسيح من عذراء، مثل حقيقة تجسده، لم تظهر بظهور رسل المسيح فقط، حتى كان يجوز القول إنها اقتُبست من الوثنية التي كانت في العالم قبل ظهورها، بل أن أنبياء الله في العهد القديم تنبأوا عنها، بجانب تنبئهم عن تجسده، بآيات واضحة كل الوضوح، وذلك قبل ظهور أي اعتقاد بولادة آلهة الوثنيين من عذارى بـ250 سنة تقريبا، فقد قال إشعياء النبي:" ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل (أي الله معنا)" (إشعياء 14:7) ولذلك ليس هناك مجال للظن بأن رسل المسيح قد اقتبسوا من الوثنية موضوع ولادة المسيح العذراوية، كما يقول المعترضون.

وما يزيدنا يقينا بذلك، إن براهما وسيفا المعتبرين من أشهر الآلهة عند الهنود، قيل عن براهما إنه وُلد من " براهمان" الروح الأعظم، في زهرة اللوتس، كما تقول رواية، أو في البيضة الذهبية، كما تقول رواية اخرى. وقيل عن سيفا إنه وُلد من اقتران براهمان بالفجر. وإن ست وتفنيس وايزيس واوزيريس آلهة المصريين، قيل إنهم وُلدوا من اقتران السماء بالأرض. وهكذا الحال مع باقي الآلهة، فقد قيل إنهم وُلدوا من اقتران بعض الكائنات بالبعض الآخر، الأمر الذي يدل على أن الولادة العذراوية المعروفة لدينا في حالة المسيح، لم تكن معلومة عند الوثنيين على الإطلاق. ومع كل، فماذا يضيرنا لو كان نفر من الوثنيين يعتقد ان بعض آلهته وُلدت من عذارى، ونحن نعلم من كتب الأديان أن العذارى عند الوثنيين هن الكائنات اللاتي لم يتزوجن، ووقفن أنفسهن على خدمة الآلهة والآلهات، وكن يسلمن عرضهن للكهنة وغير الكهنة ابتغاء مرضاة هذه الآلهة والآلهات، الأمر الذي لا يُعقل معه مطلقا أن تكون ولادة المسيح العذراوية الطاهرة قد اقتبست من اعتقادات الوثنيين. فضلا عن ذلك فقد شهد أعداء المسيحية أنفسهم، مثل هرنك أستاذ اللاهوت التاريخي بجامعة برلين، ولوازي أستاذ نقد المسيحية في جامعة كولج دي فرانس، إن ولادة المسيح من عذراء أصلية في الكتاب المقدس، وأنها ليست منقولة من أي دين من الأديان.(The Virgin Birth of Christ p.14) وماذا يضيرنا لو كان هذا النفر من الوثنيين يعتقد بهذا الإعتقاد، ونحن نعلم أن موضوع ولادة المسيح من عذراء لم يرد في الإنجيل فحسب، بل إن التوراة أيضا أشارت إليه سنة 750 ق.م أي قبل اعتقاد هذا النفر من الناس بالولادة العذراوية المزعومة بـ250 سنة كما ذكرنا أعلاه. فضلا عن ذلك فإن القرآن نص على أن المسيح وُلد من عذراء.

(ب) بالاضافة الى ذلك فإن القول بأن الوثنيين كانوا يعتقدون أن الأشخاص المذكورة أسماؤهم في الإعتراض، قد وُلدوا من عذارى، هو قول ملفق، أريد به فقط اتهام المسيحيين الأوائل باقتباس عقائدهم من الوثنية. لأنه بالرجوع الى الكتب التي قام أشهر الأساتذة بكتابتها عن الأساطير الوثنية، يتضح لنا أن كرشنا (أو الإله المظلم) كان الإبن الثامن لأبيه " فاسوديفا" من زوجته الثانية " ديفاكي". وأن بوذا وُلد من أب اسمه " هوداثا"، وكان ملكا وزعيما لإحدى القبائل المشهورة، وإن اسمه الحقيقي " سيداثا"، واسم عائلته " جوتاما". أما بوذا (أو بتعبير أدق البوذا)، فلقب من الألقاب التي كانت تُطلق عليه، ومعناها المستنير. ولاؤتسزي وُلد من أب كان حاكما من حكام الصين المشهورين، واسمه الحقيقي " بي بانج". أما لاؤتسزي فلقب من الألقاب التي كانت تطلق عليه، ومعناها " الأستاذ القديم". وزرداشت كان أبوه من أذربيجان وأمه من الري، واسمها " دغد".

8 - " **إن الرسل هم الذين أشاعوا أن المسيح وُلد من عذراء، ليؤمن الناس أنه هو الله".**

الرد: فضلا عن أن حقيقة ولادة المسيح العذراوية، هي من صميم نبوات التوراة التي كُتبت قبل ظهور المسيحية بمئات السنين، الأمر الذي لا يدع مجالا لهذا الإعتراض، كما ذكرنا فيما سلف، فإننا إذا رجعنا الى أقوال الرسل، وجدنا أنهم لم ينادوا للناس أن المسيح وُلد من عذراء، ليؤمنوا أنه هو الله، بل كانوا يقصرون شهادتهم عنه على تقديمه لنفسه كفارة عن الناس، وقدرته على إحياء نفوس الذين يأتون إليه منهم، ليمكنهم الإرتقاء فوق أهواء الجسد وشهواته، والتوافق مع الله في صفاته وأفكاره. وقد أشار الأستاذ العقاد أيضا الى بطلان هذا الإعتراض، أو بالحري الى صحة ردنا عليه، فقال:" ليس في الأناجيل أن معجزة الميلاد قد حملت أحدا على الإيمان برسالة المسيحية، بعد قيام المسيح بالدعوة"

(عبقرية المسيح ص 196) ـ وبهذه المناسبة نقول إن حقيقة ولادة المسيح من عذراء تفوق العقل والإدراك، ولذلك ليس من المعقول أن يكون التلاميذ قد نادوا بها إلا بعد تأكدهم التام من صدقها، إما بواسطة إعلان واضح من الله، أو بواسطة شخصي مع العذراء أو خطيبها، أو بهاتين الواسطتين معا، ورجوعهم بعد ذلك الى النبوات التي قيلت في

التوراة عن هذا الموضوع ـ هذه النبوات التي كانوا يقرأونها من قبل، ولا يفهمون لها معنى.

9 - " إن اسم (Christ كرايست)، المعروف في اللغة العربية باسم (المسيح) هو بعينه اسم (كرشنا) الإله الهندي، مع تحريف بسيط في اللفظ، وهذا دليل على أن المسيحية قد اقتُبست من ديانة الهنود الوثنية".

الرد: (أ) إن وجود أي تشابه في النطق بين كلمة وأخرى، لا يدل في كل حالة على أن إحداهما مشتقة من الأخرى. فمثلا إذا وضعنا حرف "ل" أو "د" بدلا من حرف "س" في كلمة " المسيح"، أصبحت "المليح" أو "المديح". ومع أن الفرق في النطق بين كلمة " المسيح" وهاتين الكلمتين، أبسط من الفرق بين كلمتي " كرايست" و " كرشنا"، فليس هناك شخص عاقل يستطيع القول إن كلمة " المسيح" مشتقة من الكلمتين المذكورتين، ولذلك فإن هذا الإعتراض مرفوض شكلا.

وهو مرفوض أيضا موضوعا، لأن كلمة " كرايست" في الإنكليزية والفرنسية وغيرهما من اللغات الأوروبية، مشتقة من كلمة " XPISTOS " " كرستوس" اليونانية، وهذه الكلمة معناها " الممسوح". ومنها اشتُقت كلمة " مسيح" بنفس معنى " ممسوح". كما تقول " كحيل" بمعنى " مكحول"، و " قتيل" بمعنى " مقتول". و" مسيح" أو ممسوح" هو لقب من الألقاب الأصلية في الكتاب المقدس، فقد كان يُطلق منذ القديم على الأشخاص الذين يعينهم الله لتنفيذ أي قصد من مقاصده. وإذا رجعنا الى التوراة وجدنا أن السيد المسيح كان قد دُعي بهذا الإسم قبل ظهوره في العالم ب 1000 سنة تقريبا(أي قبل ظهور كرشنا ب 500 سنة)، ولذلك لا يُعقل مطلقا أن يكون اسمه قد اشتُق من اسم كرشنا بأي حال من الأحوال، لا سيما وأن كلمة " كرشنا" ليس معناها الممسوح أو المعين، بل معناها " الإله المظلم". بينما معنى اسم المسيح أنه ممسوح " بدهن المسحة المقدس" الذي كان مخصصا لمسح الملوك والكهنة والأنبياء عند تنصيبهم في وظائفهم بصفة رسمية (2صموئيل 3:5). ويراد بكلمة " مسيح" من الناحية المعنوية، الشخص المقام من الله لتنفيذ قصد من مقاصده، حتى لو لم يكن ممسوحا بهذا الدهن (إشعياء 1:45)، وقد أشار الأستاذ العقاد الى هذه الحقيقة في كتابه " عبقرية المسيح" ص11. ولذلك يُدعى " المسيح" أيضا في الإنكليزية " The Annointed " أي " الممسوح"، أما كلمة " يسوع" فمعناها (يهوه يخلص) ـ وقد أشار الأستاذ العقاد الى هذه الحقيقة أيضا في كتابه عبقرية المسيح ص202 ـ وقد دُعي المسيح بهذا الاسم لأنه هو المخلص من الخطيئة ونتائجها (أعمال 12:4). ومن البديهي أن يكون هو وحده الذي يستطيع القيام بهذه المهمة، لأن كل البشر بسبب وجود الطبيعة الخاطئة فيهم لا يستطيعون إنقاذ أنفسهم أو غيرهم منها. وقد دُعي له المجد بهذا الاسم قبل ولادته بواسطة الملاك الذي بشر العذراء (متى 21:1) الأمر الذي يدل على أن هذا الاسم هو اسم على مسمى، وليس مجرد اسم من الأسماء.

(ب) وإذا أضفنا الى ذلك ان " كرشنا" هذا كان معتبرا عند الهنود " إله الشهوة"، لأن حياته كانت حلقات متواصلة من الدنس والفساد، كما ذكرنا فيما سلف، وأن حياة المسيح كانت على العكس، والنموذج الفريد للطهارة والقداسة، لا يبقى هناك مجال للظن بأن " المسيح" الطاهر، أو شيئا من التعاليم التي نادى بها، قد اقتُبس من ديانة الهنود (أو غيرها من الأديان) كما يقول المعترضون.

10 - " **إن اسم مريم أم المسيح، يشبه من جهة النطق أسماء أمهات بعض آلهة الوثنيين،** فقد قيل إن أم أدونيس كانت تسمى ميرة، وأم هرمز كانت تسمى مايا، وهذا دليل على أن المسيحية مشتقة من الديانات الوثنية".

الرد: اتضح لنا فيما سلف، أن وجود أي تشابه في النطق بين كلمتين، ليس في كل الأحوال دليلا على أن إحداهما

مشتقة من الأخرى، ولذلك فإن هذا الإعتراض مرفوض أيضا شكلا. وهو مرفوض كذلك موضوعا، لأن اسم " مريم" هو من الأسماء الأصلية في الكتاب المقدس، فأخت هرون وموسى التي عاشت قبل الميلاد بأكثر من 1500 سنة تقريبا، كانت تُسمى " مريم" (خروج 2:4- 10). وكلمة " مريم"، كما تنطق بالعبرية، هي إحدى الكلمات الأصلية في هذه اللغة، ومعناها " مرارة" أو " مرارة البحر". وقد سُميت بهذا الإسم أيضا كثيرات من النساء اللواتي عاصرن العذراء مريم، فمثلا كانت هناك مريم إمرأة كلوبا (يوحنا 25:19)، ومريم أم يعقوب (متى 56:27)، ومريم أخت لعازر (لوقا 41:10)، ومريم أم يوحنا مرقس (أعمال 12:12)، ومريم المجدلية (لوقا 2:8). وهذا دليل على أن استعمال هذا الإسم كان شائعا بين اليهود، وليس مقتبسا من الوثنية، كما يقول المعترضون .

11 - **" العقائد التي وردت في الإنجيل لها ما يماثلها في الديانات الوثنية**، فاليونان كانوا يقولون إن فيثاغورس هو ابن الإله أبوبون، وإنه لم يمت بل سيُبعث بعد حين، وكان قدماء المصريين يقولون إن حورس هو ابن الإله أوزيريس، وكانت القبائل الحمر في أمريكا يعتقدون أن المخلص الذي سيأتي الى العالم، سيلقي بردا على اللهيب ويتكفل برعاية جميع الناس، وكان البابليون يعتقدون أن مردوخ سيعود بعد موته لقمع الفتنة التي حدثت في بلادهم".

الرد: (أ) إن إسناد الوثنيين أبناء الى آلهتهم يرجع الى اعتقادهم أنها كانت تقترن بالنساء، ولذلك لا يعقل مطلقا أن تكون المسيحية قد اقتبست الإعتقاد ببنوة المسيح لله من الأديان الوثنية، لأن بنوته له تختلف كل الإختلاف في معناها عن جميع اصطلاحات البنوة المعروفة لدى البشر . فإذا أضفنا الى ذلك، أن المسيح كان يُدعى " ابن الله" في التوراة قبل ظهور المسيحية بمئات السنين، لا يبقى مجال لهذا الإعتراض على الإطلاق.

(ب) إن الإعتقاد بمجيء مخلص الى العالم في آخر الزمان ليبارك جميع الساكنين فيه وينشر السلام بينهم ليس من اعتقادات القبائل الحمر وحدهم، بل كان ولا يزال من صميم اعتقادات البشر في كل العصور والأجيال. وقد أدرك كثير من رجال الفلسفة هذه الظاهرة، فقال بعضهم عنها إنها إرهاصات (وهي مواهب باطنية، يعرف بها الحاصلون عليها ما سيأتي به المستقبل من أخبار وأحداث). وقال البعض الآخر عنها إنها أحاسيس باطنية تملك على مشاعر البشرية، بسبب ما تشعر به من المتاعب والآلام.

ولكن مع تقديري لآراء هؤلاء الفلاسفة، فإني أرى أن السبب في الإعتقاد العام بمجيء مُخلص الى العالم، يرجع الى أن آدم وحواء، اللذين تسلسل منهما البشر جميعا، كانا بناء على وعد الله المباشر لهما (الذي ذكرناه في خاتمة الرد على الإعتراض السادس) يتوقعان بشوق حار مجيء شخص يخلصهما من الخطيئة التي سقطا فيها، ومن البؤس الذي حل بهما من جرائها. فورث البشر عنهما هذا الشوق، بحكم ولادتهم منهما، وظل كامنا في عقولهم الباطنة. ولما كان كل شوق في العقل الباطن لا بد وأن يعبر عن فحواه بوسيلة ما، كان من البديهي أن يعبر الشوق المذكور أيضا عن نفسه، تارة بأحلام وأخرى بآمال وأمان، من جهة هذا المخلص.

أما المسيحية، كما تبين لنا فيما سلف، وكما سيتبين بأكثر تفصيل فيما يلي، فلم تقتبس الإعتقاد بأن المسيح هو مخلص العالم من الأديان الوثنية، أو من آمال البشرية وأمانيها، بل جاء هذا الإعتقاد إليها بظهور السيد المسيح في العالم، وشهادته عن نفسه أنه المخلص من سلطة الخطيئة وعقوبتها، وإثباته هذه الحقيقة عمليا بحياته وموته وقيامته، ثم اختبار الرسل للحقيقة المذكورة في حياتهم الروحية، وتحريضهم للناس على اختبارها والتمتع بها. وكانت التوراة قد تنبأت بكل ذلك قبل ظهور المسيح بمئات السنين، ولذلك ليس هناك مجال للشك في أن الإعتقاد، بأن المسيح هو مخلص العالم، أصلي في الكتاب المقدس، وليس مقتبسا من دين ما.

(ج) إن الإعتقاد بأن فيثاغورس سيُبعث بعد حين، وأن مردوخ سيعود بعد موته، مؤسس إما على الإعتقاد بتناسخ الأرواح أو تقمصها، الذي كان منتشرا بين الوثنيين، أو على الإعتقاد بالرجعة الذي نبت عند بعض الفرق اليهودية، وانتشر منها الى بعض الشعوب الأخرى. وإذا أضفنا الى ذلك أن قيامة المسيح من الأموات تختلف كل الإختلاف عن عقيدة اليونان والبابليين وغيرهم في بعث آلهتهم أو أئمتهم في زمن ما (لأن المسيح قام بنفس جسده الذي مات، ورآه بعد قيامته كثيرون رؤية العيان)، اتضح لنا أنه ليس من المعقول أن يكون الرسل قد اقتبسوا موضوع قيامة المسيح من العقائد الوثنية، كما يقول المعترضون.

12 - **" معجزة تحويل الماء الى خمر، المسندة الى المسيح، قيل إن ديونيس إله الخمر قام بمثلها، وإن الركوب على أتان المسند الى المسيح، قيل أن إله الشمس كان يقوم بمثله**، لأن الحمل والحمار كانا من الحيوانات المقدسة لديه، وهذا دليل على أن المسيح لم يكن شخصا حقيقيا، بل أن سيرته مقتبسة من الأساطير الوثنية".

الرد: (أ) لا يخفى عن القارئ أن السبب في ادعاء اليونان أن ديونيس حول الماء الى خمر، يرجع الى رغبتهم في تشجيع الناس على شرائه وشربه، لأنهم كانوا يميلون الى السكر والخلاعة، ولأنهم كانوا يملكون كروما كثيرة يريدون بيع نتاجها. ولكن المسيحية تحرم الخمر، فقد قال الكتاب المقدس:" لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة" (أفسس 18:5). كما قال لكل مؤمن:" لا تكن بين شريبي الخمر، بين المتلفين أجسادهم .. لا تنظر الى الخمر اذا احمرت، حين تظهر حبابها في الكأس وساغت مرقرقة. في الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان" (أمثال 20:23، 31، 32).

أما الحالة الوحيدة التي صرح فيها الكتاب المقدس بشرب الخمر فهي حالة المرض، فقد قال بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس:" لا تكن فيما بعد شراب ماء، بل استعمل خمرا قليلا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة" (1تيموثاوس 23:5). ولا مجال للإعتراض على هذا التصريح، لا من الناحية الطبية أو الدينية، لأن الكحول الموجود في الخمر نافع لبعض أمراض المعدة إذا أخذ بكمية قليلة، كما قال الرسول، ولأن الخمر من حيث هي مادة، ليس فيها شر، لكن الشر هو في سوء استعمالها ـ مثلها في ذلك مثل الأفيون فإنه يُستعمل علاجا في بعض الأمراض، ولكن إذا استعمل كـ" مكيف" كان شرا وإثما.

والكلمة المترجمة " الخمر" يقابلها في اللغة العبرية عشر كلمات تدل على عشرة أنواع من الخمر، وأهمها "ياين" و"تشمار" و" مثيخار". والأول يُراد به عصير العنب الطازج، والثاني يراد به عصير العنب المركز، والثالث يراد به عصير العنب المخمر. والصنف الأخير هو المُسكر، أما الصنفان الأولان فلا يُسكران Young's Concordance,p.1053 وكانا يُستعملان عند الفلسطينيين كما يُستعمل القصب والعسل عند غيرهم. ويمكن أن نستنتج من أقوال العرب أيضا أن كلمة " الخمر" تُطلق على سائل العنب الطازج وعلى المسكر معا، وأن كلمة "العنب" عندهم هي نفس الكلمة التي تُطلق على الخمر عند غيرهم، فقد جاء في (مختار الصحاح ص310) " السلاف ما سال من عصير العنب، قبل أن يُعصر". ثم جاء بعد ذلك "ويسمى الخمر سلافا". وجاء في أحد القواميس "الوين، هو العنب الأسود" وهذه الكلمة هي بعينها المستعملة في اللغات الأجنبية للدلالة على الخمر، فهي في الإنكليزية مثلا " Wine". فلا يغيب عنا أنه إذا وردت في الكتاب المقدس آية تدل على فائدة شرب الخمر، كان الغرض من الخمر فيها هو نتاج الكرمة النافع للجسم، وإذا وردت آية عن ضرر شرب الخمر، كان الغرض من الخمر فيها هو النوع المسكر.

وليعرف القارئ السبب الذي دعا المسيح الى تحويل بعض الماء الى خمر حتى تتضح له مغالطة المعترضين وتشويههم للحقائق، نقول: إن المسيح كان قد دُعيَ الى عرس، ولما فرغت الخمر التي كانت فيه، قالت له أمه:" ليس لهم خمر". فقام بتحويل بعض الماء الى خمر (يوحنا 1:2- 11). ومن البديهي أنه لو كان قد حول الماء الى شراب آخر، أو حول حجارة الأرض الى فواكه أو طيور، لما كان عمله هذه يُعتبر وقتئذ معجزة، فالشرط الأساسي في المعجزة، هو أن تكون مناسبة لظروف الحال. وإذا أضفنا الى ذلك، أن الخمر التي صنعها المسيح، لم تكن من نوع يُسكر، بل كانت من نوع جيد لا يُسكر، أو إن جاز القول، كانت من نوع يوقظ العقل وينبهه، كما يُستنتج من سياق هذه الحادثة، لا يبقى مجال لهذا الإعتراض على الإطلاق.

فعندما ذاق رئيس المتكأ (وهو ضيف الشرف) الماء المتحول خمرا، ولم يكن يعلم من أين هي، قال لصاحب العرس: " كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولا، ومتى سكروا فحينئذ الدون. أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة الى الآن". ومن هذا نستنتج أن ضيف الشرف والحاضرين معه كانوا قد دخلوا في دور السكر بسبب الخمر الأولى. ولكن عندما ذاق هذا الضيف الخمر الجديدة التي عملها المسيح، أفاق من سكره، أو على الأقل استيقظ عقله لدرجة أمكنه معها أن يميز بين نوعين من الخمر.

(ب) أما عن الفقرة الثانية من الإعتراض، فنقول إن المسيح لم تكن لديه حيوانات مقدسة وأخرى نجسة، كما أنه لم يقتن طول حياته أي نوع من أنواع الحيوانات. كل ما في الأمر أنه لما قصد في أواخر خدمته أن يعلن لأورشليم التي رفضته، أنه ملكها الحقيقي الذي تنبأت التوراة عنه، رأى أن يدخلها كملك، لا راجلا كما اعتاد من قبل، بل راكبا على دابة، كما كان يفعل الملوك. فأخذ أتانا لأنها تتناسب مع هدوئه ووداعته وحياة البساطة التي كان يحياها. وقد سبق زكريا النبي، (الذي عاش سنة 500 ق.م.) ورأى بروح النبوة مشهد ركوب المسيح على الأتان كملك، فقال بالوحي:" ابتهجي جدا يا ابنة صهيون، اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك. هو عادل ومنصور، وديع وراكب على حمار وعلى جحش بن أتان" (زكريا 9:9، 10). ولذلك ليس هناك مجال للظن بأن رسل المسيح قد اقتبسوا موضوع ركوبه على أتان من أي دين من الأديان.

13 - " **إن الخبز والخمر اللذين أعطاهما المسيح لتلاميذه،** واللذين يتناولهما المسيحيون الى الآن في العشاء الرباني، كان يتناولهما الوثنيون من قبل في عبادة مثرا وهذا دليل على أن سيرته مقتبسة من الأساطير الوثنية".

الرد: إن استعمال الخبز والخمر معا لم يكن معروفا في عبادة مثرا وحدها بل إن معظم أهالي فلسطين وغيرهم من الشعوب كانوا يهتمون بهما كل الإهتمام دون أن تكون لهم أية علاقة بمثرا، إذ أنهم كانوا يستعملونها كطعام رئيسي يتغذون به على مدار السنة. فإذا رجعنا الى التوراة وجدنا أن موسى النبي كان قد وعد بني إسرائيل بأن يبارك قمحهم وخمرهم، إن عملوا بأحكامه (تثنية 13:7)، وأن داود النبي قال إن الله أعطى الإنسان خمرا تفرح قلبه وخبزا يسنده (مزمور 15:104)، كما قال إن الغذائين الرئيسيين كان يعتز بهما الناس ويعتمدون عليهما، هما الحنطة والخمر (مزمور 7:4). وإن سليمان الحكيم قال إن الصالحين يأكلون خبزهم بفرح، ويشربون خمرهم بقلب طيب (جامعة 7:9). وإن ملك اشور قال إن بلاده هي بلاد حنطة وخمر وخبز وكروم (إشعياء 17:36). فلا مجال للظن بأن المسيح اقتبس إعطاء تلاميذه الخبز والخمر، من أتباع مثرا أو غيرهم.

وإذا أضفنا الى ذلك أن الإقتباس من الأديان الأخرى لا يكون إلا لمجرد التقليد، وأنه لا يكون إلا عند إنشاء دين أو مذهب جديد، وأن السيد المسيح لم يقدم لتلاميذه الخبز والخمراعتباطا أو تقليدا كما كان يفعل قوم من الأقوام، بل لغاية روحية خاصة لم تكن معروفة عند أحد من قبل (وهي المواظبة على تذكر موته على الصليب فدية عنهم، وعن غيرهم من البشر)، وأنه لم يقدمهما لتلاميذه في بدء علاقته معهم أو أثناءها، بل قبل موته مباشرة، هذا الوقت الذي لا يفكر أي مشرع لدين جديد في إتيان عمل من نوعه. فضلا عن ذلك، فإنه لم يأت بالخبز والخمر من عندياته، بل كانا موجودين

أمامه على مائدة الفصح، التي كان يعدُّها كل إسرائيلي تذكارا لخروجه من أرض الفراعنه، على يدي موسى النبي. فالخبز كانوا يأكلونه على هيئة فطير (خروج 12) أما الخمر فبناء على تقاليد آبائهم. وكانوا يتناولون ثلاثة كؤوس: الأولى قبل تناول خروف الفصح، والثانية أثناء تناوله، والثالثة عند الفراغ من تناوله. وقد أشار لوقا الإنجيلي الى الكأس الأولى (لوقا 17:22). ويُقال إن السبب في تناولهم الخمر في هذه المناسبة هو الإعتراف به غذاء هاما أنعم به الله عليهم مثل غيره من الأغذية، ولذلك كانوا يرفعون الشكر إليه من أجله.

من هذا يتضح لنا أنه لا يمكن أن يكون المسيح قد اقتبس موضوع " العشاء الرباني" من هؤلاء الوثنيين أو من غيرهم.

14 - " **يُعرف يوم الأحد في الإنجليزية بـ**(Sunday) أي (يوم الشمس)، وتلاميذ المسيح يُقال إن عددهم كان 12 تلميذا، وهذا هو عدد بروج الشمس أيضا. ولذلك لا شك في أن المسيحية قد اقتبست من الديانة الشمسية".

الرد: (أ) كان يوم الأحد يسمى بالإنجليزية (Sunday) قبل دخول المسيحية بلاد الإنجليز، ولذلك فإن تسميته بهذا الإسم ليس دليلا على أن المسيحية اقتبست من الديانة الشمسية، بل دليل على أن الإنكليز كانوا يعبدون الشمس قبل إيمانهم بالمسيح. ومما يثبت أيضا عدم قانونية هذا الإعتراض أن العهد الجديد، الذي هو أول إعلان ظهر عن المسيحية، لم يعبر عن يوم الأحد باسم مقتبس من اسم الشمس أو غيرها من الكواكب، بل عبر عنه بـ" أول الأسبوع" (أعمال 7:20) أو " يوم الرب" (رؤيا 10:1). كما أن اللغات القديمة التي انتشر بها الإنجيل في أول الأمر استعملت هذين الإسمين فحسب. فيوم الأحد في اللغة اليونانية هو " كرياكي" أي " يوم الرب"، وفي اللغة اللاتينية هو " دي دومينيكا" أي " يوم الرب" ومن هذا الإسم اشتقت كلمة " ديمانش" الفرنسية، التي تطلق على هذا اليوم عينه. وفي اللغة القبطية هو " بي أو آي" أي " اليوم الأول" أو بتعبير آخر " يوم الأحد" كما هو معروف في اللغة العربية.

(ب) أما العدد (12) فهو من الأعداد الرمزية المستعملة بكثرة، لا في الإنجيل فقط بل وفي التوراة أيضا، التي كُتبت قبله بمئات السنين. فمكتوب أن أبواب السماء هي 12 بابا (رؤيا 12:21) وأن أساستها هي 12 أساسا (رؤيا 14:21)، وأن عدد القديسين الذين سيحيطون بعرش الله هو 24 (12+12) قديسا يمثلون قديسي العهدين القديم والجديد معا

(رؤيا 8:5)، كما أن أسباط بني إسرائيل كانوا 12 سبطا، وأن أبناء إسماعيل كانوا 12 ابنا، وأن عدد الأحجار التي بنى بها إيليا النبي مذبحه كانت 12 حجرا، وأن الأحجار التي وضعها يشوع بن نون في كل من النهر وعلى البر كانت 12 حجرا، (يعقوب 1:1، وتكوين 16:25، و1ملوك 31:18، ويشوع 3:4-24)، ولذلك فمن التجني على الحقيقة أن يُقال إن المسيحية قد اشتُقت من الديانات الوثنية، لأن رسل المسيح كانوا 12 رسولا، أو لأي سبب من الأسباب الشكلية الأخرى.

15 - " **يُقال إنه عند ما وُلد بوذا، ظهر نجم من السماء، وأتى لزيارته أحد الحكماء،** وإنه لما كبر جُرب بواسطة

الشيطان، وإنه اختار بعد ذلك اثني عشر تلميذا، وإنه كان يعلمهم تحت شجرة تين، وإنه استعمل كلمة " حبة الخردل" في أقواله، وإنه بفضله كان العمي يبصرون والعرج يمشون، كما قيل عن المسيح تماما، وهذا دليل على أن سيرة المسيح مقتبسة من تاريخ بوذا".

الرد: لقد درست كثيرا من الكتب المطولة عن البوذية لكبار الأساتذة والعلماء، فلم أعثر في أحدها على خبر من هذه الأخبار، إذ أنه لم يذكرها إلا كتاب صغير يحتوي على مقالات مقتضبة متفرقة لأشخاص مختلفين، وأسلوب هذا الكتاب ليس أسلوب العلماء الذين يرسلون أقوالهم بصراحة ويقين، بل أسلوب المحتالين الذين بدهاء ومكر يدسُون السم في العسل. ومع كلٍ فلنواجه اعتراضاتهم ونرد عليهم:

(أ) القول بظهور نجم عند مولد بوذا غير صحيح، ولكن المشاع عند معظم الوثنيين هو أن لكل إنسان نجمه، وأنه كلما كان الإنسان عظيما كان نجمه واضحا (أو عاليا، كما تقول العامة بيننا). وإذا كان الأمر كذلك، وكان النجم الذي ظهر يوم مولد المسيح، لم يظهر لليهود، بل لنفر في بلاد المشرق الوثنية، يكون الله قد سمح وكلم المُخلصين في هذه البلاد بلغتهم، ليهديهم الى الحق، الذي مع شوقهم إليه كانوا يجهلون السبيل الى معرفته. وتصرُّف مثل هذا يتوافق مع كماله كل التوافق.

(ب) كان بوذا ابن ملك، ولذلك كان من المنتظر أن يزوره لا واحد فقط من الحكماء والعظماء، بل أن يزوره عدد كبير من أولئك وهؤلاء. ولكن هل يصح أن تُتخذ هذه الزيارة دليلا على أن المسيحية مقتبسة من البوذية، لأنها ذكرت أن سمعان الشيخ الذي كان واحدا من أتقياء اليهود، رأى المسيح عندما كان في دور الطفولة؟!

(ج) كل شخص في الوجود عندما يقبل على عمل خطير، يجد نفسه بين عاملين: عامل الإقدام وعامل التقهقر، والعامل الأخير هو القصور الذاتي أو الضعف البشري. وبوذا لما وجد أن حياة الزهد والتقشف لا تُجدي، وجد نفسه بين عاملين،

عامل الإقدام يدعوه الى مواصلة سعيه وراء الحقيقة التي كان ينشدها، وعامل التقهقر يدعوه الى العودة الى عائلته وبيته. وقد شاء المحتالون أن يسمُّوا هذا الموقف من حياة بوذا بالتجربة، ويسمُّوا عامل التقهقر بالشيطان، ليجعلوا حياة المسيح (حسب وجهة نظرهم) مشابهة لحياة بوذا من بعض الوجوه. ولكن المسيح، لكماله المطلق، لم يكن للقصور الذاتي أو الضعف البشري مجال في نفسه، والتجربة التي مر بها كانت بعمل الشيطان وحده. فضلا عن ذلك، فإنه لم يتعرض لها بسبب تردد في نفسه، أو رغما عن إرادته، بل واجهها بكل ثبات، وبمحض إرادته واختياره. كما أن الغرض منها كان يختلف عن الغرض من أي تجربة من التجارب، إذ كان ينحصر في إعلان كماله المطلق، على الرغم من اتخاذه جسدا ووجوده في عالم الخطيئة والشر مثلنا، وذلك ليتأكد جميع الناس أنه هو وحده الذي يستطيع أن يفديهم ويكفر عنهم. فهل بعد كل ذلك تكون تجربة المسيح دليلا على أن المسيحية مقتبسة من البوذية؟!

(د) تنص كل الأساطير على أن تلاميذ بوذا كانوا خمسة، ولم يقل إنهم كانوا اثني عشر تلميذا إلا شخص غير مشهور يُدعى " جاوارد". ولو فرضنا جدلا أنهم كانوا اثني عشر تلميذا، كما يقول هذا المدعي، فهل يصح أن يكون قوله دليلا على أن المسيحية مقتبسة من الوثنية. والعدد "12" هو من الأعداد التي لها دلالتها الرمزية في الكتاب المقدس، والتي تستعمل لكثرة فيه، ليس في العهد الجديد فقط، بل وفي العهد القديم أيضا، الذي كُتب قبل ظهور بوذا بمئات السنين؟!

(هـ) لم يكن المسيح يعلم تلاميذه تحت شجرة تين، أو يلتقي بهم تحت مثل هذه الشجرة، كما يقول هؤلاء المحتالون، بل كان كما ذكر الكتاب المقدس، يمر في طريقه بشجرة تين. ومرة رآه شخصا يُدعى نثنائيل (الذي صار فيما بعد أحد أتباعه) واقفا تحت شجرة تين. لكن هل يصح أن يُتخذ هذا دليلا على أن المسيحية مقتبسة من الوثنية؟ طبعا كلا! لأنه لو كان شجر التين ليس له وجود في بلاد فلسطين، وذكر الكتاب المقدس أن المسيح مر بشجرة تين أو جلس تحتها، لكان من الجائز للمعترض أن يتخذ هذا القول ذريعة للإعتراض. أما وشجر التين موجود بكثرة في بلاد فلسطين، وينمو بكثرة على جوانب الطرق فيها، ويجلس كثير من الناس تحته في فصل الصيف إتقاء القيظ، فضلا عن ذلك فإن الكتاب لم يذكر مطلقا أن المسيح كان يعلم تلاميذه تحت شجرة تين، أو يلتقي بهم هناك، بل ذكر أنه كان يعلمهم ويلتقي بهم عند شاطئ البحر، وعلى الجبل، وفي الحقول، وفي البيوت، وفي المحال العامة، فقد انتفى مجال الإعتراض أمام المعترضين.

(و) إن الإعتراض بأن بوذا استعمل في أقواله كلمة " حبة الخردل" كما فعل المسيح، دليل على أن المعترض لم يعثر في المسيحية على شيء يمكن أن يتخذه برهانا على أنها مقتبسة من الوثنية. لأنه لو كان الخردل غير موجود في بلاد فلسطين، أو كانت العبارة التي استعمل فيها المسيح كلمة "حبة الخردل" هي نفس العبارة التي قالها بوذا أو شبيهة بها،

لكان من الجائز للمعترض أن يتخذ ذلك سببا للإعتراض. أما ونبات الخردل ينمو بكثرة في فصل الصيف في بلاد

فلسطين، ومنه تُصنع " المستردا" وبعض الأدوية التي تُستخدم في علاج الروماتزم، وأن العبارة التي استعمل فيها المسيح كلمة "حبة الخردل" تختلف كل الإختلاف عن العبارة التي قالها بوذا، فلا مجال ايضا لهذا الإعتراض على الإطلاق.

إن العبارة التي وردت فيها كلمة "حبة الخردل" من أقوال بوذا هي:" ذات يوم أتت الى بوذا امرأة ثكلى تلتمس منه العزاء والمواساة، فقال لها إنه يستطيع أن يعزيها ويواسيها إذا استطاعت أن تأتي له بشيء في حجم حبة الخردل، من بيت لم يدخله الموت". أما العبارات التي وردت فيها كلمة "حبة خردل" من أقوال المسيح فهي:" يشبه ملكوت السموات حبة خردل، أخذها إنسان وزرعها في حقله، وهي أصغر جميع البذور. ولكن متى نمت فهي أكبر البقول" (متى 31:13)، و" لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك، فينتقل" (متى 20:17).

(ز) أما قول المعترض إنه بفضل بوذا أخذ العمي يبصرون والعرج يمشون فليس له أساس في الأساطير البوذية. لكن لنفرض جدلا أن له أساسا في هذه الأساطير، فهل الحقيقة الواقعة تدل على صحة إسناد هذا القول الى بوذا؟ ألم يكن بوذا إنسانا عاديا، كما شهد هو عن نفسه، وشهد معاصروه عنه؟ وهل هناك حقا عمي أبصروا بفضله، وعرج استطاعوا أن يمشوا؟ وإذا كان الأمر لا يمكن أن يكون كذلك، ألا يكون الصواب هو أن هذه العبارة مجازية، قُصد بها أنه بفضل جهود بوذا، استطاع بعض الأشرار أن يسيروا في طريق الحق والإستقامة المصطلح عليه عند الناس وقتئذ؟ أما " المسيح" فمن الثابت لدى الجميع أنه شهد عن نفسه أنه الله، وأنه أثبت حقيقة لاهوته بحياته الكاملة ومعجزاته الفائقة، وبفضله حقا كان العُمي يبصرون، والعرج يمشون، والبُرص يطهرون، والموتى يقومون، كما أنه بفضله حقا أصبح الخطاة أبرارا والأشرار أطهارا، بدرجة تفوق المقاييس جميعا.

16 - **" كان يوم 25 ديسمبر (كانون الأول)، الذي يحتفل فيه المسيحيون في بلاد العرب بميلاد المسيح، يوم عيد الشمس في العبادة المثرية،** لأن هذا العيد كان يقع في 24 و 25 من كانون الأول (ديسمبر). وأن يوم 7 يناير، الذي

يحتفل فيه المسيحيون في بلاد الشرق بميلاده، كان يوم عيد ديونيس إله اليونان، لأن هذا كان يقع فى 6 و 7 من كانون الثاني (يناير)؟ وأن عيد القيامة الذي يحتفل المسيحيون به في شهر إبريل (نيسان)، هو عيد الربيع الذي كان يحتفل فيه الوثنيون بقيامة تاموز وغيره من آلهتهم".

الرد: اليوم الذي يحتفل فيه معظم المسيحيين بميلاد المسيح في الوقت الحاضر، لم يرد ذكره في آية من آيات الكتاب المقدس، بل ولم يكن معروفا على الإطلاق عند المسيحيين الذين عاشوا في القرنين الأول والثاني، الأمر الذي لا يدع مجالا لهذا الإعتراض. وفي أوائل القرن الثالث، أخذ بعض أساقفة المسيحيين في إقامة أعياد دينية، لتكون تذكارا للحوادث الهامة في تاريخ السيد المسيح. وعند قيامهم بهذا العمل اختلفوا على تحديد يوم عيد ميلاده، لأن اليوم الذي وُلد فيه لم يكن معروفا وقتئذ لديهم، أو لدى غيرهم. وأخيرا استقر رأيهم على أن يجعلوا هذا اليوم في يوم من أيام الأعياد الوثنية، ليمنعوا ضعفاء الإيمان من التأثر بهذه الأعياد وما كان يجري فيها من ضروب الخلاعة والعهارة، فصادف هذا الرأي قبولا عند معظم المسيحيين وقتئذ، فأخذ في الإنتشار بينهم. فهؤلاء الأساقفة لم يقتبسوا الأعياد المسيحية من الوثنية كما يقول المعترضون. بل أقاموا في الأعياد الوثنية أعيادا مسيحية ليصونوا المسيحيين ضعيفي الإيمان من الإختلاط بالوثنيين والتأثر بعاداتهم التي لا تتفق مع مباديء المسيحية وتعليمها.

أما عيد القيامة فلم يُقتبس من الديانة الوثنية كما يقول المعترضون، أو يُجعل في عيد من أعيادها كما كانت الحال مع عيد الميلاد، بل إنه كان يُقام منذ تأسيسه في أسبوع عيد الفصح، لأنه من الثابت تاريخيا أن السيد المسميح صُلب وقام من بين الأموات في هذا الأسبوع، كما يتضح من الكتاب المقدس والكتب التاريخية. وعيد الفصح هذا يقع دائما في شهر نيسان المقابل لشهر إبريل، وكان الله قد أمر بني إسرائيل بالإحتفال به على يد موسى النبي قبل ميلاد المسيح ب1500 سنة تقريبا (خروج 14:1- 31).

فإذا رجعنا الى الكتاب المقدس وجدنا العهد القديم يحدد الأعياد التي كان يجب على الإسرائليين أن يعيدوا فيها، بينما لا ينص العهد الجديد على وجود عيد يجب على المسيحيين أن يعيدوا فيه. والآية الوحيدة التي ورد فيها ذكر عيد للمسيحيين هي:" لأن فصحنا أيضا المسيح قد ذُبح لأجلنا. إذا لنعيد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث، بل بفطير الإخلاص والحق" (1كورنثوس 7:5، 8)، ومعنى ذلك أن حياة المسيحيين الحقيقيين يجب ان تكون باسرها عيدا روحيا

عماده الطهارة والقداسة والتوافق مع الله فى افكاره وصفاته.

الوهية المسيح

1 - **" لم يكن المسيح الا نبيا من أنبياء الله، حل فيه كما كان يحل بروحه في غيره من الأنبياء، لأنه ليس من المعقول أن يتجسد الله بذاته".**

الرد: (أ) لو كان المسيح مجرد نبي لكان قد وُلد مثل الأنبياء وعاش مثلهم، لكنه وُلد من عذراء، وعاش بلا خطيئة على الإطلاق، وبعد موته قام من بين الأموات وصعد الى السموات، مخالفا في ذلك جميع الأنبياء وغيرهم من الناس وسائر المخلوقات. ولذلك لا يعقل أنه كان نبيا من الأنبياء أو واحدا من الناس أو سائر المخلوقات.

(ب) أما عن تجسد الله بذاته، وإن كان يفوق العقل والإدراك، لكنه لا يدعونا للشك من جهته، لأنه فضلا عن توافقه مع محبة الله لنا وحاجتنا نحن البشر إليه، فقد أنبأت التوراة عنه قبل حدوثه بمئات السنين، كما شهد الإنجيل عنه بآيات واضحة كل الوضوح، وتدل جميع القرائن على أن نبوات التوراة وشهادة الإنجيل صادقة كل الصدق. أما من جهة قدرة الله على اتخاذ جسد له فليس موضع اعتراض، لأن الذي خلق العالم من لا شيء يستطيع أن يتخذ لنفسه جسدا من عذراء لإتمام مقاصده السامية من نحو العالم الذي خلقه، لا سيما وأنه بإتخاذه هذا الجسد لم يتحيز بحيز، أو ينحصر في مكان، الأمر الذي يتوافق مع كماله كل التوافق.

2 - **" لم تُكتب التوراة بالوحي،** إنما كتبها أناس مجتهدون في حدود ثقافات وعقائد قديمة، فلم يكونوا إلا معبرين عن أمانيهم أو أماني غيرهم. **وإذا سلمنا بأن التوراة كُتبت بالوحي، فإنها مع الإنجيل قد أصابهما التحريف من زمن بعيد،** ولذلك لا يصح الإعتماد عليهما".

الرد: الأدلة على صدق شهادة الكتاب المقدس لا تدع مجالا للظن بأنه كُتب بوحي من خواطر الناس. أما الإدعاء بأنه قد أصابه التحريف فلا يستند الى أساس تاريخي أو ديني، فالتاريخ لا يذكر لنا في أي عصر من عصور ه أنه قد حدث تحريف في الكتاب المقدس. والدين يشهد أن أقوال هذا الكتاب ثابتة الى الأبد، فقد جاء به أن السماء والأرض تزولان، ولكن كلمة واحدة منه لا تزول (متى 18:5).

فضلا عن ذلك، فإن الإسلام مع اختلافه عن المسيحية في كثير من الموضوعات، قد شهد كثير من رجاله أن الكتاب المقدس لم يصبه تحريف ما، فقد قال البخاري:" ليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله تعالى، ولكنهم (أي اليهود) يتأولونه على غير تأويله" (نقلا عن ضحى الإسلام ج1ص328) أي أن الكتاب المقدس لم يعتريه تحريف في ذاته كل ما في الأمر أن اليهود كانوا يفسرون آياته تفسيرا رأى أئمة المسلمين أنه لا يتفق مع المعنى الذي يفهمونه منها. وقال الإمام الرازي:" إن التوراة قد طبقت مشارق الأرض ومغاربها ولا يعلم عدد نسخها إلا الله، ومن الممتنع أن يقع التواطؤ على التبديل والتغيير في جميع تلك النسخ، بحيث لا تبقى في الأرض نسخة إلا مبدلة مغيرة"، فبناءً على قولهما، يكون الإيمان والعقل معا، يشهدان أن التوراة لم يصبها تحريف ما.

أما الخلاف الموجود بين القرآن والكتاب المقدس فلا يقوم دليلا على أن الأخير قد أصابه التحريف، لأن هذا الخلاف كان موجودا أثناء ظهور الإسلام، وقد أشار إليه القرآن ووقف إزاءه موقف المسالمة والإتفاق مع المسيحيين على الإيمان بإله واحد، فقد قال في سورة العنكبوت 46:" ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون". وقال الزمخشري في تفسيره لهذه الآية:" قال النبي (ص): ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله. فإن كان باطلا لم تصدقوهم، وإن كان حقا لم تكذبوهم،" (ج3 ص7) - وهذا دليل على أن الكتاب المقدس يحوي إعلانات لا يستطيع العقل أن يحكم فيها، هي الإعلانات الخاصة بذات الله. ولكن شكرا له، لأنه وإن كان العقل لا يستطيع أن يحكم فيها إلا أنه لا يستطيع أن ينقضها، لأنها ليست ضده بل أسمى من إدراكه، الأمر الذي يتوافق مع ذات الله كل التوافق، لأن هذه لا يمكن للعقل أن يضعها موضع الفحص والبحث.

3 - **" كان الأنبياء يقومون بإعلان الله للبشر وهدايتهم إليه، ولذلك لم يكن هناك داعٍ لأن يقوم تعالى بمهمة كان يقوم بها نفر من عبيده".**

الرد: لم يعلن الأنبياء للبشر ذات الله بل قاموا فقط بتبليغ أقواله لهم. إذ فضلا عن أنهم، مثل غيرهم من الناس، غير

معصومين من الخطيئة، الأمر الذي لا يجعلهم أهلا لإعلان ذات الله، فهم أيضا مثلهم محدودون في ذواتهم. والمحدودون لا يستطيعون أن يعلنوا غير المحدود. فإذا أضفنا الى ذلك أن غرض الله من التجسد لم يكن مجرد إعلان ذاته للبشر، بل الظهور بينهم بحالة مُدركة لهم، ليستطيعوا معرفته والإقتراب منه والتوافق معه، اتضح لنا أن هذا الإعتراض لا مجال له إطلاقا.

4 - " ما الفائدة التي تعود علينا من ظهور الله مستترا وراء الجسد؟ ألا يتساوى هذا مع عدم ظهوره لنا إطلاقا، إذ أننا في كلتا الحالتين لا نستطيع أن نراه كما هو؟".

الرد: مر بنا أن الإنسان لا يستطيع أن يرى الله أو يتصل به، لأنه فضلا عن كونه محدودا، ولا يستطيع من تلقاء ذاته أن يتصل بغير المحدود، فإنه أيضا بسبب ضعفه ونقائصه، يعجز كل العجز عن مشاهدة الله.

وقد شهدت " الأحاديث القدسية" أيضا بهذه الحقيقة فقد جاء بها:" قال الله تعالى يا موسى لن تراني. إنه لن يراني حي إلا مات" (الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية ص14)، وجاء في كتاب الإسراء معجزة كبرى ص62 " قال رسول الله (ص) لن يرى أحد ربه حتى يموت". وهذا يتفق مع الكتاب المقدس، فقد قال قبل ظهور الإسلام بأكثر من 1800سنة: " الإنسان لا يراني ويعيش" (خروج 20:33) فالإنسان من هذه الناحية يشبه الخفاش الذي يعجز بطبيعته عن رؤية النور، فإذا أحس به هرب من مكانه بكل ما لديه من سرعة. فكان من البديهي ألا يظهر الله ذاته للناس في جلاله ومجده، بل أن يظهر ذاته لهم في الهيئة المألوفة لديهم ليستطيعوا الإفادة منه والتوافق معه، وهذه الهيئة هي الهيئة البشرية.

5 - " لا يتوقف التوافق مع الله على رؤيته بالعين، بل على إدراك النفس لمحبته وكماله وجماله. ولذلك لم يكن هناك داع لأن يتجسد الله، إذ أنه موجود في كل مكان، وفي أقواله لنا ما يكفي نفوسنا لإدراك كل شيء عنه، وبالتالي للتوافق معه".

الرد: حقا إن التوافق مع الله لا يتوقف على رؤيته بالعين، بل على إدراك النفس لمحبته وكماله وجماله، لكن هل تستطيع النفس أن تدرك شيئا عن الله من مجرد السمع أو القراءة عنه؟ الجواب: طبعا لا، لأن النفس محدودة، والله غير محدود، والمحدود لا يدرك من تلقاء ذاته شيئا عن غير المحدود. لذلك كان من البديهي أنه عندما أراد الله أن يجعلنا ندرك ذاته ظهر لنا بهيئة محسوسة نستطيع عن طريقها الإتصال به، وهذه هي الهيئة التي تنازل واتخذها.

ولإيضاح هذه الحقيقة للذين يميلون الى التمثيل بالمحسوسات نقول إن بخار الماء موجود في كل مكان، لكننا لا نستطيع أن نرتوي إلا إذا استحال هذا البخار الى ماءً نراه ونشربه. والكهرباء موجودة في الجو، لكننا لا نستطيع الإفادة منها إلا إذا تجمعت طاقاتها واستطعنا استثمارها في الإضاءة أو توليد الحرارة. وهكذا لو لم يتجسد الله، لما استطعنا أن نعرفه أو نفيد منه الفائدة الحقيقية.

6 - " لا يتفق تجسد الله مع ما هو خليق به من التصرف العلوي السامي، لأنه يحط من كرامته وجلاله، ويحد من سموه وبهائه".

الرد: هَب أن ملكا ترك قصره وارتدى لباس عامة الناس ثم عاش بينهم كواحد منهم، ليواسيهم ويطيب نفوسهم ويخلصهم من متاعبهم وآلامهم، فهل يعتبر هذا التصرف حطا من كرامته وجلاله؟ الجواب: طبعا لا. وعلى هذا القياس نقول إن تجسد الله لا يحط من كرامته أو جلاله، ولا يحد من سموه أو بهائه، بل يزيده مجدا وجلالا في أعيننا، لأننا بالتجسد قد عرفنا أنه يحبنا ويعطف علينا ويهتم بنا بدرجة لم تكن عقولنا لتقوى على إدراك أو تصور شيء عنها. ولذلك استطعنا بالتجسد أن نحب الله ونتوق إليه، وأن نكرمه ونمجده، بدرجة لم نكن لنبلغها لو لم يكن قد تجسد كما فعل.

7 - " إن كان ولا بد من تجسد الله، فلماذا لم يظهر بالهيئة التي تليق بمجده وبهائه، حتى تهابه الناس وتخضع له؟".

الرد: (أ) إن غرض الله من التجسد، لم يكن إظهار عظمته أو إثارة إعجاب الناس به (لأن تصرفا مثل هذا لا يصدر إلا من الناقص، الراغب في تعظيم الناس له)، بل هو جمعهم من حوله ليمتعهم بحبه وعطفه، ويخلصهم من خطاياهم وضعفاتهم، حتى تكون لهم معه حياة روحية سعيدة. وبما أنه لو كان قد ظهر بهيئة تتناسب مع مجده الأزلي لإرتعب الناس منه، وما استطاع واحد منهم أن يدنو أليه، كان البديهي أن يظهر لهم بالهيئة المألوفة لديهم، وهي الهيئة البشرية، لتتحقق أغراضه هذه. كما أنه لو كان قد تجنب الظهور بمجده الخاص الذي يرعب الناس، وظهر فقط بإحدى مظاهر العظمة الأرضية، لحُرم متوسطو الحال والفقراء من التمتع به، وهم السواد الأعظم من البشر، وهم في جملتهم أكثر من الأغنياء استعدادا لمعرفته والسير في سبيله. لذلك كان من البديهي أيضا ألا يظهر بأي مظهر من مظاهر العظمة الدنيوية، بل بالمظهر العادي الذي ظهر به فعلا، لأنه هو الذي يفسح المجال أمام جميع الناس للإقتراب إليه والإتصال

به والإفادة منه.

أما إساءة بعض الناس الى المسيح بسبب وجوده في هيئة الوداعة والتواضع التي ظهر بها، فلا يقوم دليلا على أنه كان من الواجب أن يظهر بمظهر القوة والجبروت، لأن القوة وإن أخضعت الناس حسب الظاهر ردحا من الزمن، لا تستطيع أن تصلح اعوجاجهم أو تهذب أخلاقهم. والدليل على ذلك أنه عندما يضعف تأثيرها عليهم، يعودون الى الحالة التي كانوا عليها من قبل، فتثور ثورتهم ويطلقون العنان لشهوتهم، كما نعلم بالإختبار. أما المحبة فهي الوسيلة الوحيدة لإصلاح النفس وتهذيبها. ومتى صلحت النفس وتهذبت. أطاعت الله وسلكت في سبيله من تلقاء ذاتها. ولذلك إذا رجعنا الى تاريخ المسيح وجدنا أنه بسبب احتماله إساءة المسيئين إليه ومعاملته إياهم بالمحبة والعطف، قد شعروا بكماله ونقصهم، ولذلك ثارت ضمائرهم ضدهم، فقرع بعضهم على صدره متألما نادما، وبكى البعض الآخر بكاءً مرا. أما من غلبه اليأس على أمره، عندما تبينت له شناعة خطيئته إزاء محبة المسيح الكاملة له، فقد انطلق وخنق نفسه شاهدا بنفسه عليها، أنها لا تستحق الحياة بعد أن أساءت الى من غمرها بالعطف والإحسان (متى 5:27).

(ب) لا ننكر أنه لو كان المسيح قد ظهر بمجده الخاص لكان الناس قد قدموا له السجود والإكرام، واعترفوا به ربا وإلها. لكن بما أنه لا يريد إكراما أو سجودا منهم، بقدر ما يريد إنقاذهم من خطاياهم وضعفاتهم، وإعطائهم حياة روحية أبدية، كان من البديهي أن يظهر لهم بالهيئة المألوفة لديهم، ليستطيعوا الإتصال به والحصول على هذه الحياة منه.

لقد كان المسيح بعيدا كل البعد عن الإهتمام بمظاهر الحفاوة التي يميل إليها الناس، كما أن إقناعه إياهم بلاهوته مع انحراف قلوبهم عنه لا يُرضى كماله ولا يعود عليهم بفائدة ما. فما أكثر الذين يؤمنون بالله في كل دين من الأديان، ومع ذلك يحيون حياة تتعارض مع كمال الله، الأمر الذي يجعلهم في نظره أكثر شرا وأسوأ حالا من الوثنيين الذين لا يعرفون شيئا عنه. وإذا أضفنا الى ذلك أن معظم الذين شاهدوا بأعينهم عظمة الله وتعهدوا بالطاعة الكاملة له (كاليهود وغيرهم من الشعوب القديمة) ونقضوا العهود التي قطعوها على أنفسهم، وعادوا الى شرورهم وآثامهم بعد مرور ساعات قليلة على هذه العهود (اقرأ مثلا خروج 4:32) اتضح لنا أن إيمان الناس بالله إيمانا حقيقيا لا يتوقف على ظهوره لهم بمظهر العظمة، بل على مقدار تأثر قلوبهم بنعمته ومحبته. ولذلك كان من البديهي ألا يظهر في تجسده بحالة تبهر عقول الناس وتخطف أبصارهم، وترغمهم على الإذعان لحقه وسلطانه، بل أن يظهر بحالة تؤثر على ضمائرهم وقلوبهم، وتجعلهم يميلون للإقتراب إليه والتوافق معه من تلقاء أنفسهم. وهذه هي الحالة التي ظهر بها لهم في تجسده.

ومع ذلك فقد ظهر من خلال حياة المسيح الناسوتية كمال ومجد أدبيين لا يقلان في شيء عن ذاك الذي يُنتظر ظهوره من الله نفسه.

وكان من الطبيعي ألا يختفي كمال الله الأدبي أثناء تجسده لحظة واحدة، بل أن يظهر بكل وضوح وجلاء لجميع الناس في كل الظروف والأحوال، لأن هذا الكمال هو من خصائص كيانه، بل هو عين خصائصه. ولا يمكن أن يخفي كائن خصائص كيانه. كما أن اختفاء مجده الظاهري عن الناس أثناء تجسده يرجع الى رغبته السامية في تقريبهم إليه. ولذلك فإنه بإخفائه هذا المجد عنهم، قد تصرف أيضا بحسب الكمال الذي يتميز به، لأن من خصائص هذا الكمال العطف على الناس والنزول الى مستواهم والأخذ بناصرهم، ليستطيعوا الإقتراب منه والتمتع به. ومع كل فقد أعلن المسيح مرة شيئا من مجده الظاهري عندما وجد أن الحاجة تستدعي ذلك. فمثلا عندما أراد أن يزيد بعض تلاميذه إيمانا به أخذ ثلاثة منهم وصعد بهم الى جبل عال، وهناك تغيرت هيئته قدامهم وضاء وجهه كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور (متى 1:17- 2)، فاستطاع أحدهم أن يشهد للناس قائلا:" لأننا لم نتبع خرافات مصنعة ... بل قد كنا معاينين عظمته... في الجبل المقدس" (2بطرس 16:1- 18). واستطاع المخلصون من تلاميذه وغير تلاميذه أن يئمنوا أنه " ابن الله" أو

" الله معلنا"، فقد قال له نثنائيل:" أنت ابن الله" (يوحنا 49:1)، وقالت له مرثا:" آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتي الى العالم" (يوحنا 27:11)، وقال له التلاميذ:" بالحقيقة أنت ابن الله" (متى 33:14)، وقال له بطرس:" آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي" (يوحنا 69:6)، وقال له توما:" ربي وإلهي" (يوحنا28:20). وقال أتباع كهنة اليهود عنه: " لم يتكلم قط إنسان مثل هذا الإنسان" (يوحنا 46:7)، وقال له أحد اللصين اللذين صُلبا معه:" أذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك" (لوقا 42:23)، وأخيرا قال قائد المئة والجند الذين صلبوا المسيح:" حقا كان هذا ابن الله"

(متى54:27)، وبذلك تحققت كل مقاصد الله من التجسد.

8 - " إذا كان المسيح هو الله، فلماذا لم يعلن ذلك صراحة أمام الناس حتى يؤمنوا جميعا به؟".

الرد: لا يخفى لدى العاقل أنه لو كان المسيح قد أعلن للناس عن حقيقة ذاته قبل أن يختبروها بأنفسهم لكانوا قد اعتبروه

مجدفا ومدعيا، ولما كانوا قد آمنوا به إطلاقا. لكنه شاء أن يستنتجوا هم حقيقة ذاته من حياته وأعماله، لكيلا يكون إيمانهم به نظريا أو سماعيا، بل اختباريا عمليا. فمثلا، عندما أرسل يوحنا المعمدان، وهو في السجن إثنين من تلاميذه إليه يسأله:" أأنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟"، لم يجبه له المجد على هذا السؤال، بل قال لتلميذيه:" إذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران: العمي يبصرون، والعرج يمشون، والبرص يُطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يُبشرون، وطوبى لمن لا يعثر فيَّ" (متى 11:2- 6) وذلك ليدرك يوحنا عمليا، من هو المسيح.

لقد أعلن المسيح عن حقيقة ذاته بكل صراحة للذين كانوا يشكون في شخصيته، أو لا يستطيعون اكتشافها. قال مرة لأعمى شفاه:" أتؤمن بابن الله؟" فلما سأله:" من هو يا سيد لأؤمن به؟" أجابه:" قد رأيته، والذي يتكلم معك هو هو". فقال له الأعمى:" أؤمن يا سيد" وسجد له (يوحنا 9:37- 38). ولما قال رئيس الكهنة الذي كان يحاكمه:" أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟" أجابه:" أنت قلت. وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء" (متى 26:63- 64).

و"القوة" اسم من الأسماء التي كانت تُستعمل عوضا عن اسم الجلالة في المحادثات العادية، صونا لهذا الإسم العظيم من الجري على الألسنة في غير أماكن العبادة، حتى يظل محتفظا بين الناس بالهيبة اللائقة به.

وعندما اعترف توما (الذي شك في قيامة المسيح من بين الأموات) بأنه "الرب والإله" صادق له المجد على هذا الإعتراف، وقال:" لأنك رأيتني يا توما آمنت! طوبى للذين آمنوا ولم يروا" (يوحنا 20:28- 29). فضلا عن ذلك فإنه كان يعلن لليهود بين الفينة والفينة أنه ابن الله، فقد قال لهم مرة:" الذي قدسه الآب وأرسله الى العالم، أتقولون له إنك تجدف، لأني قلت إني ابن الله؟" (يوحنا 10:36- 38)، ولذلك فلا مجال أيضا لهذا الإعتراض.

9 - " تُطلق كلمة "الله" في الكتاب المقدس على الملاك (مزمور 82:6) وهو ليس إلها، وتطلق على النبي (خروج 7:1) وهو ليس إلها أيضا. بل وتُطلق على إبليس (2كورنثوس 4:4) مع أنه ليس هو الله. فمن المؤكد أن يكون المسيح قد دُعي ابن الله أو الله، مجازا. لأنه لا يوجد إلا إله واحد، وهو الله".

الرد: لا يطلق الكتاب المقدس على ملاك أو إنسان أو مخلوق ما اسم "الله" بصيغة التعريف، كما يقول المعترض، بل يطلق على بعض الملائكة والأنبياء وغيرهم كلمة "آلهة" بصيغة النكرة، كما يتضح من النص الكتابي للآيات المعترض بها. وتُستعمل كلمة "إله" النكرة كثيرا بمعنى "سيد" أو "رئيس" أو "حاكم"، فنحن نقول عن الغنى المقتر مثلا، إن إلهه المال، وعن البطن أن إلهه بطنه، لأن المال هو الذي يسود الأول، والبطنة هي التي تسود الثاني. وعلى هذا القياس دُعي بعض الملائكة والأنبياء آلهة، لأن الله خولهم السلطة في فترة خاصة تنفيذ قصد من مقاصده. أما المسيح فلم يُذكر عنه في الكتاب المقدس أنه "إله" بصيغة النكرة، بل ذُكر عنه أنه "الله" بصيغة التعريف، ولذلك لا يصح أن تُعتبر تسميته بهذا الإسم من باب المجاز.

10 - " إذا كانت ولادة المسيح من عذراء دليلا على أنه ابن الله أو الله، فإن ملكي صادق المكتوب عنه أنه "بلا أب بلا أم، بلا نسب، لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة" (عبرانيين 7:3)، يكون أحق من المسيح بالألوهية".

الرد: وُصف ملكي صادق بهذا الوصف ليس من جهة ذاته، بل من جهة عمله الكهنوتي، لأنه لم يتسلم هذا العمل عن أب أو أم أو نسب، أو لمدة محدودة من الزمن يجب عليه الإبتداء به عند أولها والإعتزال عنه عند نهايتها، كما كانت الحال مع بني هرون، الذين كانوا يتوارثون خدمتهم الكهنوتية عن آبائهم في سن خاصة، ويعتزلونها في سن خاصة أيضا. بل أن ملكي صادق تسلم كهنوته من الله مباشرة، وظل يمارسه حتى نهاية حياته على الأرض. فضلا عن ذلك، فإننا لا نقول إن المسيح هو ابن الله لأنه وُلد من عذراء، بل نقول: لأنه في ذاته هو ابن الله، وُلد من عذراء - وهو "ابن الله" قبل ولادته من العذراء، لأنه هو الذي يعلن اللاهوت منذ الأزل الذي لا بدء له.

11 - " لا يدل قول المسيح " أنا والآب واحد" (يوحنا 10:30) على أنه واحد مع الآب في الذاتية أو الجوهر، بل يدل على أنه كان في حالة التوافق معه، لأنه قال في موضع آخر للآب عن تلاميذه:" ليكونوا واحدا كما نحن" (يوحنا 17:11)، ومن المعلوم أن الغرض من أن يكون التلاميذ واحدا، ليس أن يكونوا واحدا في الجوهر أو الذاتية، بل واحدا من جهة المحبة والوفاق".

الرد: المشبه لا يكون مثل المشبه به من كل الوجوه، فإذا قلنا مثلا عن إنسان إنه أسد فليس معنى ذلك أنه أسد حقيقي، بل معناه أن يشبه الأسد في الشجاعة. وعندما قال المسيح:" أنا والآب واحد" تناول رؤساء اليهود حجارة ليرجموه،

فأجابهم:" أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي، بسبب أي عمل منها ترجمونني؟" قالوا له:" لسنا نرجمك لأجل عمل

حسن، بل لأجل تجديف. فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها". وبسبب هذه الشهادة عن نفسه طلبوا أن يقتلوه (يوحنا 31:10- 39)، وعندما قال له فيلبس:" يا سيد أرنا الآب وكفانا"، أجابه:" الذي رآني فقد رأى الآب. فكيف تقول أنت أرنا الآب. ألست تؤمن أني في الآب والآب فيّ!" (يوحنا 14:9-10) ومن هذا يتضح لنا أنه لا يقصد بوحدته مع الآب مجرد التوافق معه، بل وحدته معه في الجوهر أو الذاتية. أما الوحدة التي أراد المسيح أن تكون بين تلاميذه، فهي كما ذكر الوحي في مكان آخر وحدانية في الروح (أفسس 3:4)، لأنهم جميعا سُقوا روحا واحدا (1كورنثوس 13:12). ولذلك كان عليهم أن يفتكروا فكرا واحدا (فيلبي 2:2) وأن يعيشوا معا كشخص واحد في المحبة والوفاق.

أما قوله لرؤساء اليهود بعد ذلك:" أليس مكتوبا في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة"؟ فمعنى آلهة هنا، رؤساء أو سادة حكام. وقوله هذا هو الرد الطبيعي لإقناع اليهود الذين يأبون الإقتناع.

12 - **" لا يدل قول المسيح:" أما أنا فلست من هذا العالم" (يوحنا 23:8) على أنه ليس من جنسنا، بل يدل فقط على أنه كان منفصلا عن الأشرار،** لأنه قال مرة لتلاميذه:" إنكم لستم من العالم" (يوحنا 19:15)، وعدم كون التلاميذ من العالم ليس معناه أنهم ليسوا من الجنس البشري، بل معناه أنهم انفصلوا عن الأشرار".

الرد: لا يكون المشبه مثل المشبه به من كل الوجوه. وقد علمنا أن المسيح لم يولد مثل الناس، ولا عاش مثلهم، ولا كانت نهايته على الأرض مثل نهايتهم، بل وُلد من عذراء، وعاش حياة الكمال الذي ليس بعده كمال، وأخيرا صعد بإرادته الى السماء. وهذا يوضح لنا عمليا أن تلاميذه لا يشاركونه في أنه ليس من هذا العالم، بل ولا يشاركه فيه أحد من الناس على الإطلاق.

13 - **" أليست شهادة المسيح عن نفسه أنه " ابن الإنسان"، تدل على أنه كان إنسانا عاديا"؟.**

الرد: قال المسيح عن نفسه إنه " ابن الإنسان" ليس لأنه كان إنسانا عاديا، فقد أوضحنا أنه ابن الله أو الله مُعلنا، ولكنه قال عن نفسه إنه ابن الإنسان لأنه اتخذ جسد إنسان، وكان في هذا الجسد رفيقا للإنسان ومحبا ومعلما له، كما سيكون فيما بعد ملكا على الإنسان. ومما يدل على أن ابن الإنسان هو ابن الله الأزلي، أننا إذا رجعنا الى التوراة، وجدنا أن المسيح لم يُعرف كابن الإنسان أثناء وجوده على الأرض فقط، بل كان يُعرف بهذا الإسم أيضا قبل ظهوره عليها. فقد ظهر لدانيال النبي في هيئة ابن الإنسان سنة 500ق.م. فقال دانيال:" كنت أرى في رؤى الليل، وإذا مع سُحب السماء مثل ابن إنسان، أتى وجاء الى قديم الأيام، فقربوه قدامه، فأعطي سلطانا ومجدا وملكوتا **لتتعبد له كل الشعوب** والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي **ما لن يزول،** وملكوته **ما لا ينقرض"** (دانيال 13:7- 14).

قال دانيال النبي عن المسيح إنه " ابن إنسان"، ولم يقل إنه " ابن الإنسان" بأل التعريف، لأن النبي لم ينظر الى المسيح في علاقته مع الناس، بل كان ينظر إليه من حيث المظهر العام الذي كان يبدو به في الرؤيا، والذي كان عتيدا أن يبدو به بالتجسد، في يوم من الأيام.

وقوله " قديم الأيام" هو الله في أزليته، وابن الإنسان هو أقنوم الابن في المركز الناسوتي الذي كان عتيدا أن يأخذه، ولذلك اقتضى الأمر، وهذا هو مركزه أن يُقال عنه إنه اقترب الى " قديم الأيام" للتمييز بين " الإبن" في ناسوته الحادث، والله أو اللاهوت في أزليته التي لا بدء لها. وهذه نبوة عن مجيء المسيح في آخر الدهور، لتسلم زمام الملك في العالم. ومن البديهي أنه وحده هو الذي يحق له أن يقوم بهذه المهمة، لأن الذي خلق البشر وصنع لهم خلاصا من خطاياهم، هو الذي يتولى الملك عليهم ومحاسبتهم على أعمالهم. ومن البديهي أيضا أنه سيقوم بهذه المهمة، ليس بوصفه ابن الله، بل بوصفه ابن الإنسان الظاهر في الجسد، لأنه بهذا الوصف هو القائم بإتمام مشيئة الله بين الناس (كما سيتبين بالتفصيل فيما يلي)، ولأن محاسبة الله (في جوهره غير المدرك) للناس، تكون موضع اعتراض منهم، لأنه تعالى من هذه الناحية لم يشاركهم في طبيعتهم البشرية التي يتعرضون بسببها للخطأ، لكن لا يكون هناك اعتراض إذا قام بهذه المهمة الله المتأنس أو ابن الإنسان. وقد أشار له المجد الى هذه الحقيقة فقال:" لأن الآب لا يدين أحدا، بل قد أعطى كل الدينونة للابن، وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا، لأنه ابن الإنسان" (يوحنا 22:5- 27).

فضلا عن ذلك، فقد أطلق السيد المسيح على نفسه لقب " ابن الإنسان" بمعنى "ابن الله" مرات متعددة أمام رؤساء اليهود الذين اجتمعوا لمحاكمته، فقد قال لهم: " من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء" (متى 64:26) مشيرا بذلك الى أنه المقصود بابن الإنسان الذي تتعبد له كل الشعوب، والذي تنبأ عنه دانيال النبي من قبل. ومما يدل على أن رؤساء الكهنة فهموا قصد المسيح من إطلاق لقب " ابن الإنسان" على نفسه، أنهم عندما سمعوا

قوله هذا، مزق رئيس الكهنة ثيابه قائلا:" قد جدف". وهذا دليل واضح على أن المراد بـ"ابن الإنسان" يراد هو "ابن الله" بعينه.

ويُقصد بالإصطلاح "ابن الله" الله مُعلنا في كمال ذاته وصفاته. والإصطلاح "ابن الإنسان" يراد به الإنسان معلنا في كمال الصفات التي خلقه بها أولا. وبما أن الإنسان خُلق في أول الأمر على صورة الله، لذلك فإن "ابن الإنسان" أو "الإنسان الكامل" أو "المسيح" يكون هو صورة الله في الإنسان، أو هو الله ظاهرا في الإنسان، لأن صورة الله ليست في الواقع سوى ذاته، إذ أنه ليست له صورة بعيدا عنه. وقد تبدو هذه الحقيقة غريبة في نظر بعض الناس، لكنها تتفق مع الحق الإلهي كل الإتفاق. ويُراد بالإصطلاح "ابن الله" "أقنوم الإبن" في علاقته مع الله أو اللاهوت، كما يُراد بالإصطلاح "ابن الإنسان" "أقنوم الإبن" في علاقته مع الإنسان. فإذا ذكرنا أن الإنسان في نظرنا ليس هو الهيكل البشري الخارجي، بل هو مجموعة الصفات الإنسانية السامية (لأننا نقول عمن تتوافر فيه هذه الصفات إنه " إنسان" أو "الإنسان"، وعمن لا تتوافر فيه هذه الصفات إنه " ليس إنسانا")، اتضح لنا أن الشخص الجدير بأن يُدعى "الإنسان" أو الإنسان الكامل، أو "ابن الإنسان"، هو المسيح وحده، لأنه هو الذي أعلن الله، الذي يجب أن يعرفه الإنسان، بوصفه مخلوقا على صورته. وقد عرف ابن العربي الشيء الكثير عن هذه الحقيقة فقال:" الكائن الذي يطلق عليه اسم " الإنسان الكامل" يُدعى "الله" لأنه جمع في عين واحدة الحضرة الإلهية بكل صفاتها". أما الذين لم يعرفوا هذه الحقيقة فقد ظنوا أن الإصطلاح "ابن الإنسان" هو نفس الإصطلاح "ابن آدم" الذي يُطلق على كل إنسان. لكن هذا الظن ليس له نصيب من الصواب للأسباب الآتية:

(أ) لم يُولد المسيح بالتناسل الطبيعي مثل الناس، بل وُلد من عذراء، فلا يصح أن يُقال عنه إنه "ابن آدم" مثل أحد الناس. وإن كان لا بد من إسناد شخصه من جهة الناسوت الى بشر كابن، فإنه لا يُدعى "ابن آدم" بل "ابن مريم" أو "نسل المرأة" (تكوين 15:3).

(ب) لا يُقصد بكلمة "الإنسان" الرجل وحده، بل يُقصد بها الرجل والمرأة على السواء، لأنها تدل على الإنسان عامة. فتسمية المسيح بـ"ابن الإنسان" لا يُفهم منها أنه "ابن آدم" بل أنه ابن الإنسان عامة، أو ابن الإنسانية وممثلها، بوصفه المتأنس منها لأجل الأخذ بناصرها.

(ج) أخيرا نقول: كما أن هناك أبناء كثيرين لله، ولكن المسيح وحده هو "ابن الله"، كذلك هناك أبناء كثيرون للناس، لكن المسيح وحده هو "ابن الإنسان". ولذلك هو وحده أطلق هذا اللقب على نفسه. وتدل كل القرائن على أنه قصد به "المعلن لله" أو "الله معلنا" لأنه أعلن أنه بوصفه ابن الإنسان يغفر الخطايا (مرقس 7:2) ويمنح الخلاص والسلام (لوقا 50:7) ويعطي الأموات بالخطيئة حياة روحية أبدية (يوحنا 25:5) ويجازي كل واحد حسب أعماله (متى 27:16) وغير ذلك من الأعمال التي لا يقوم بها إلا الله. ومما يثبت صدق هذه الحقيقة أن اليهود استنتجوا من كلام المسيح أن للقب "ابن الإنسان" معنى غير المعنى الذي يتبادر الى الذهن، فسألوه مرة في حيرة:" من هو هذا ابن الإنسان!؟" (يوحنا 34:12). وما كان للحيرة أن تجد مجالا الى نفوسهم، لو كانوا قد علموا أن "ابن الإنسان" هو بعينه "ابن الله".

ونقول أيضا إن الكتاب المقدس وإن كان لا يطلق على المسيح اسم "ابن آدم"، لكن يطلق عليه اسم "آدم الأخير"، (وذلك ليس بالنسبة الى مركزه كالأقنوم الأزلي، بل بالنسبة الى مركزه كابن الإنسان، المقام في الزمان من بين الأموات رأسا لجميع الذين يؤمنون به إيمانا حقيقيا)، وهذا بالمقابلة مع آدم الأول من حيث الرياسة والنيابة العامة، فآدم الأول هو رأس البشر الجسدي ونائبهم، أما المسيح أو آدم الأخير فهو رأس البشر الروحي ونائبهم. ولكن شتان ما بين آدم الأول وآدم الأخير من حيث نتائج الرياسة والنيابة، فالأول بخطيئته أورث الخطيئة لنسله وجلب عليهم جميعا قضاء الموت الأبدي، ولذلك قيل بالوحي:" في آدم يموت الجميع". أما المسيح فببره، كابن الإنسان الكامل يبرر جميع الذين يرتبطون به بالإيمان القلبي، ولذلك قيل بالوحي:" في المسيح سيُحيا الجميع" (1كورنثوس 22:15). أما من حيث مركز المسيح الأزلي، فإنه سابق في وجوده لآدم الأول، لأنه خالقه وجابله، ولذلك فمن التجني على الحقيقة أن يُقال إن لقب "ابن الإنسان" الذي أطلقه المسيح على نفسه، قصد به أنها بنٌ من أبناء آدم.

14 - **" إن كان المسيح هو ابن الله بمعنى "الله" أو " الله معنا"، فلماذا قيل عنه (أ) إنه " سيخضع للذي أخضع له الكل، كي يكون الله الكل في الكل"(1كورنثوس 28:15) (ب) ولماذا قال للناموسي:" لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله" (متى 16:19) (ج) ولماذا قيل نه " رجل" (أعمال 22:2) (د) ولماذا قال بنفسه عن ساعة انتهاء العالم:" وأما تلك الساعة فلا يعلم بها أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الإبن، إلا الآب"** (مرقس 32:13) **(هـ) ولماذا قال:" لا أقدر أن أعمل من نفسي شيئا.. وقد نزلتُ من السماء ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني" (يوحنا 30:5، يوحنا 8:6) (و) ولماذا قال للآب:" هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله**

الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا 3:17)" ؟

الرد: (أ) المسيح كابن الإنسان هو الوسيط بين الله والعالم، ولذلك قام ويقوم وسيقوم بجميع الأعمال التي تتطلب الوساطة بين الله والعالم. وعندما ينتهي العالم، وتنتهي تبعا لذلك جميع الأعمال التي تتطلب الوساطة، لا يبقى للوساطة مجال بعد، ولذلك يتخلى المسيح حينئذ عنها ويتبوأ فقط مركزه الأزلي الذي كان يشغله بالنسبة الى اللاهوت قبل خلق العالم، وبذلك يكون الله (أو اللاهوت) هو الكل في الكل، أي دون أن يكون في الوجود بعد خلائق تخالف مشيئته، وتحتاج الى قيام أقنوم الإبن بدور الوساطة فيشفع فيها أو يكفر عنها. ومن هذا يتضح لنا أن خضوع الإبن للآب في نهاية الدهور سيكون فقط بوصفه ابن الإنسان الوسيط بين اللاهوت والعالم. أما بوصفه الإبن الأزلي، فهو والآب واحد، والكرامة التي تليق بالآب هي بعينها التي تليق به . ومما يثبت صحة ذلك أن الآية لا تقول:" كي يكون **الآب** الكل في الكل" بل تقول:" كي يكون **الله** الكل في الكل" مما يدل على أنه لا فرق بين أقنوم وآخر في اللاهوت على الإطلاق.

(ب) لم ينفِ المسيح بقوله للناموسي:" لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله" الصلاح أو اللاهوت

عن نفسه، بل خاطب الناموسي على أساس اعتقاده فيه، لأن الناموسي لم يكن يعتقد أن المسيح هو الله، بل كان يعتقد أنه معلم من معلمي الدين (الذين اعتاد اليهود أن يُسندوا إليهم الصلاح والفضيلة جزافا). فانتهز المسيح هذه الفرصة، كما انتهز غيرها، وأجاب سائله بالإجابة التي تصحح اعتقاده في هؤلاء المعلمين. وكأنه يقول له: إن كنت تظن أني مجرد معلم، فاعلم أنه ليس هناك معلم صالح على الإطلاق، إذ أن جميع الناس إن لم يكونوا خطاة بأفعالهم، فهم خطاة بطبيعتهم وأفكارهم. فليس هناك كائن يستحق أن يُقال عنه إنه "صالح" سوى الله وحده. أما المسيح، من جهة ما هو في ذاته، فهو صالح كل الصلاح. وقد شهد له المجد بهذه الحقيقة فقد قال عن نفسه:" أنا الراعي الصالح" (يوحنا 11:10)، كما شهد بها تلاميذه الذين عاشوا معه وعرفوه. فقال بطرس عنه إنه:" لم يفعل خطيئة، ولا وُجد في فمه مكر" (1بطرس 22:2)، وقال بولس عنه إنه " قدوس بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات" (عبرانيين 26:7). لا بل إن أعداءه أيضا لم يجدوا فيه علة واحدة، فعندما سألهم مرة:" من منكم يبكتني على خطيئة؟" (يوحنا 46:8) لم يستطع واحد منهم أن يذكر له خطيئة واحدة، أما عن مقابلته إساءة الناس بالإحسان (الذي هو عين الصلاح)، فالأمثلة على ذلك كثيرة ويكفى منها قوله : " يا ابتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون"(لوقا 23 : 34).

(ج) كُتب عن المسيح أنه " رجل" من جهة كونه "ابن الإنسان". أما من جهة كونه "ابن الله" فقد كُتب عنه أنه "الكائن على الكل إلها مباركا الى الأبد" (رومية 5:9)، وأنه "الله الظاهر في الجسد" (1تيموثاوس 16:3).

(د) لم يكن المسيح بوصفه "ابن الإنسان" يعلم زمان انقضاء العالم، لأنه من هذه الناحية كان قد أخلى نفسه وعاش على الأرض كإنسان محدود. أما بوصفه "ابن الله" فقد كان يعلم زمن انقضاء العالم، ويعلمه أزلا، والدليل على ذلك أنه ذكر علاماته واحدة فواحدة. (اقرأ متى 4:24- 41). فإخلاء المسيح نفسه، لا يُراد به تجرده من لاهوته (لأن اللاهوت هو ذاتيته، ولا يمكن أن يتجرد أحد من ذاتيته) بل يُراد به فقط تنازله عن امتيازات اللاهوت الجليلة الباهرة، ليستطيع الناس أن يدنوا منه ويتوافقوا معه.

(هـ) لم يكن المسيح بوصفه "ابن الإنسان" يقدر أن يعمل من نفسه شيئا، أما بوصفه "ابن الله" فكان يعمل كل شيء بإرادته الذاتية، التي هي بعينها إرادة الأقنومين الآخرين. فمثلا عندما جاءه مرة أبرص قائلا:" يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرني" أجابه على الفور:" أريد فاطهر"، وللوقت ذهب عنه برصه (متى 3:8).

(و) قال المسيح للآب:" أنت الإله الحقيقي وحدك" ليس بوصفه ابن الله، بل بوصفه ابن الإنسان. وقوله هذا هو عين الصدق والصواب، لأنه ليس هناك إلا إله واحد، وهو الله أو اللاهوت لا يُدرك في ذاته بل يُدرك في تعينه، وتعينه هو الآب والإبن والروح القدس. ونظرا لأن اللاهوت واحد ووحيد ولا يتجزأ أو يتفكك على الإطلاق، فكل أقنوم من الأقانيم (إن جاز هذا التعبير) قائم بكل ملء اللاهوت، وإذن فكل منهم هو الإله الحقيقي. فالآب هو الإله الحقيقي، والإبن هو الإله الحقيقي، والروح القدس هو الإله الحقيقي، وكلهم الإله الحقيقي. ولذلك أعلن الكتاب المقدس أن الآب هو الله، والإبن هو الله، والروح القدس هو الله .

وقوله "الإله الحقيقي"، بالمقابلة مع "الإله الخيالي" أو "الله المحاط بالغموض والإبهام" الذي كان في عقول اليهود وعقول الفلاسفة الذين كانوا يقولون إنهم يؤمنون بالله. لأن الذي لا يعرف الله كالآب الذي يحب المؤمنين به كما يحب الأب أبنائه، يظل الله بالنسبة له كائنا خياليا محاطا بالغموض والإبهام.

ومما يدل على وحدة الأقانيم في اللاهوت، وعدم وجود أي تمايز بين أحدهم والآخر، أن المسيح أعلن في قوله السابق

ذكره أن الحياة الأبدية ليست متوقفة على معرفة الآب على انفراد، بل على معرفته بالارتباط مع معرفته هو (أي معرفة المسيح). فقد قال " وهذه هي الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك **ويسوع المسيح** الذي أرسلته". وهذا ما يتفق مع الحقائق الإلهية الخاصة بوحدة الإبن مع الآب في اللاهوت كل الإتفاق. لأن الحياة الأبدية هي في معرفة الله، ولا يمكن معرفة الله إلا في المسيح "أن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة، هو الذي أشرق في قلوبنا، لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح" (2كورنثوس 6:4).

وقد تبدو هذه الحقيقة ضد العقل، لكنها في الواقع ليست ضده، بل أسمى من إدراكه، إذ أنها تتفق مع خصائص ذات الله كل الإتفاق. لأن وحدانيته جامعة، وجامعيتها أقانيم، والأقانيم وإن كان أحدهم غير الآخر إلا أنهم واحد في اللاهوت، واللاهوت لا يتجزأ أو يتفكك على الإطلاق.

إن الحياة الأبدية هي بمعرفة الله، لأنه مصدر الحياة، بل هو الحياة عينها. ولما كان الله هو الآب والإبن والروح القدس، فقد أعلن الوحي أن الآب هو الحياة الأبدية (1يوحنا 20:5)، وأن الإبن هو الحياة الأبدية (1يوحنا 2:1) وأن الروح القدس هو روح الحياة (رومية 20:8).

ولقد ذكرنا فيما سلف، أن إرسال الآب للإبن، ليس معناه أن الآب أفضل من الإبن، بل معناه اتحاده معه في العطف على البشر. وكل ما في الأمر أن "الإبن" لكونه المعلن للاهوت منذ الأزل، هو وحده الذي يقوم بإعلانه للبشر.

15 - " هل تتحقق ولادة الله من امرأة، مع قداسته تعالى؟"

الرد: خلق الله المرأة كما خلق الرجل، وبما أن الله طاهر ولا يصدر عن الطاهر إلا كل طهارة، إذن فلا نجاسة في المرأة أو الرجل من حيث تكوينهما الجسدي الذي خلقهما الله عليه. فضلا عن ذلك، فإن الله كان قد تدخل بصفة خاصة في ولادة المسيح من العذراء، فقد حل عليها بروحه وظللها بقوته (لوقا 35:1)، فلا مجال لهذا الإعتراض على الإطلاق.

16 - " إن كان ولا بد من تجسد الله، فلماذا لم يظهر في العالم رجلا كامل النمو بدلا من ولادته من إمرأة، ومروره في أدوار الطفولة والصبى التي لم يفعل فيها شيئا مذكورا؟".

الرد: (أ) النمو والتقدم هما السُنة التي وضعها الله للأفراد والمجتمعات، فكان من البديهي أن يظهر المسيح (وقد رضي أن يكون إنسانا) طفلا يتدرج في النمو قامة وعقلا، وتتدرج معه الجماعة المحيطة به يقظة ووعيا، تتهيأ بسببهما لقبول المسيح والإستماع إليه. وقد أشار الكتاب المقدس الى هذه الحقيقة، فقال عنه بوصفه ابن الإنسان:" وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس" (لوقا 52:2).

(ب) فإذا عرفنا أن غرض الله من التجسد لم يكن مجرد إعلان ذاته لنا، بل الإتحاد الجوهري بنا، ليكون الرأس الفعلي أو الحقيقي لجنسنا (عوضا عن آدم الأرضي الذي بانتسابنا إليه وتوالدنا منه، قد ورثنا الطبيعة الخطائة، وورثنا معها قضاء الموت الأبدي)، حتى نستطيع بدورنا أن نتحد بالله اتحادا عمليا حقيقيا، اتضح لنا أنه لو كان قد ظهر في العالم رجلا كامل النمو، أو بتعبير آخر ظهر فيه دون أن يأخذ جسدا من جنسنا، لكان قد ظل غريبا عنا ومفارقا لنا، وبالتبعية لما كان رأسا لنا، ولما كان لنا نحن صلة فعلية به. لكن بتفضله بالولادة من جنسنا اتحد بنا، وبحكم مركزه صار رأسنا ووليا، وأصبح لنا بدورنا أن نتحد به اتحاد الأغصان بالكرمة، وبذلك تحققت أغراضه السامية من التجسد.

17 - " أليس تجسد الله من جنس خاص من الناس يفيد تحيزه لشعب خاص، وهذا ما لا يتناسب مع محبته للبشر أجمعين".

الرد: (أ) لو لم يتخذ الله لنفسه جسدا من اليهود، لكان قد اتخذ لنفسه جسد من شعب آخر، وفي هذه الحالة يكون قد تجسد أيضا من جنس خاص دون غيره من الأجناس، ولذلك فإن هذا الإعتراض لا مجال له إطلاقا. كما أن الإدعاء بأن تجسد الله من جنس خاص لا يتناسب مع محبته للبشر أجمعين، قد دلت الحقيقة الواقعة على عدم صدقه، لأننا إذا تطلعنا الى حياة المسيح على الأرض وجدنا أنه كان يحب الجميع على السواء. فقد شمل بإحسانه جميع الناس على اختلاف أجناسهم (لوقا 16:17)، وكان يناديهم:" تعالوا اليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال (بدون استثناء) وأنا أريحكم" (متى 28:11). وقال:" لي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة (أي حظيرة اليهود). ينبغي أن آتي بتلك أيضا فتسمع صوتي، وتكون رعية واحدة وراع واحد" (يو16:10). ولذلك قال الوحي عنه إنه "جعل الإثنين (أي اليهود والأمم) واحدا، ونقض حائط السياج المتوسط، مبطلا بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الإثنين في نفسه إنسانا

واحدا جديدا" (أفسس 14:2). وقال أيضا: فإن فيه " ليس يوناني ويهودي، ختان وغرلة، بربري سكيثي، عبد حر" بل

الجميع واحد (كولوسي 11:3). وقد أدرك هذه الحقيقة الأستاذ سافير اليهودي، فقال:" كان يسوع يهوديا، ومع ذلك كان من جنس البشر جميعا". وقال غيره:" المسيح هو "ابن الله" وهو ليس لعصر خاص أو لجماعة خاصة، بل لجميع الناس وجميع العصور". وقال آخر:" المسيح حقا " الإنسان العالمي" لأنه لم ينحصر ضمن هيئة خاصة، بل تخطى كل الحواجز التقليدية والإجتماعية والسياسية والجنسية، وأحب كل الناس بلا استثناء". ولا غرابة في ذلك فقد كان " ابن الإنسان" أو "ابن الإنسانية".

(ب) فضلا عن ذلك فإن التعليم الذي أتى به المسيح، ليس تعليما لا يتيسر تنفيذه بواسطة جماعة دون غيرها، أو في أزمنة دون سواها، بل يتيسر تنفيذه بواسطة كل الناس في كل البلاد والأوقات. فمثلا لم يأمر الناس بالصلاة في أوقات خاصة، مرتبطة بساعات النهار والليل، ولم يحلل لهم تناول بعض الأطعمة دون الأخرى، ولم يحدد لهم مواعيد للمواسم والأعياد، مرتبطة بأوقات الحصاد وأوجه القمر، كما كان الحال مع اليهود الذين عاشوا في منطقة جغرافية محددة، بل أمرهم أن يصلوا في كل حين (لوقا 1:18) وأن ما يدخل الفم لا يُنجس الإنسان، بل ما يخرج منه، لأن من الفم تخرج أقوال الشر التي هي النجاسة (متى 35:12). وطلب منهم على لسان رسوله، أن تكون حياتهم كلها أعيادا روحية، تتجلى فيها القداسة والطهارة والصلة الحقيقية مع الله (1كورنثوس 8:5). ولذلك فإن تعليمه لا يمكن تنفيذه في بلاد فلسطين وحدها، بل يمكن تنفيذه أيضا في الجهات القطبية التي تغيب عنها الشمس نصف العام، ويغيب عنها القمر النصف الآخر، كما يمكن تنفيذه في الجهات القاحلة التي لا زرع فيها ولا حصاد.

18 - " لماذا اختار المسيح أن يتجسد من اليهود، دون غيرهم من البشر؟".

الرد: طبعا ليس هناك فضل لجنس على الآخر عند الله. وإن كان هناك فضل لأحد على الآخر عنده، فأتقى الناس أفضلهم، لأنه ليس لدى الله محاباة (غلاطية 6:2). وقد شهد الوحي بهذه الحقيقة فقال إن كل من يصنع البر في أي أمة مقبول عنده (أعمال 35:10). ولما وجد أن إبراهيم أتقى الناس الذين عاشوا في جيله، اختاره ودعاه خليلا له (يعقوب 23:2)، ثم اتخذه وسيلة لإعلان اسمه بين الناس، ووعده بأن في نسله ستتبارك كل أمم الأرض (تكوين 3:12). ونظرا لأن الله لا يلغي ولا ينسى وعدا من وعوده مهما طال عليه الزمن، اصطفى من ذرية إبراهيم في الوقت الذي استحسنه، فتاة، أقل ما يُقال عنها إنها أطهر الفتيات ليتجسد منها ويبارك كل أمم الأرض كما وعد من قبل.

فإذا تأملنا حياة المسيح على الأرض، وجدنا أنه وإن كان قد تجسد من اليهود للسبب المذكور، إلا أنه كان متجردا من الجنسية اليهودية، بل ومن الروابط العائلية التي هي من أقوى الروابط وأدقها، فكل علاقاته كانت بين الله والناس بصفة عامة. فمثلا عندما قال له مرة نفر من الناس:" أمك وأخوتك يطلبونك" أجابهم: " من أمي وإخوتي!" ثم نظر الى المؤمنين الجالسين حوله وقال:" ها أمي وأخوتي، لأن من يصنع مشيئة الله، هو أخي وأختي وأمي" (مرقس 35:3). ولما رفعت امرأة صوتها قائلة له:" طوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين رضعتهما" أجابها " بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه" (لوقا 27:11). ولما اعترضته السامرية:" كيف تطلب مني ماء لتشرب، وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية، لأن اليهود لا يعاملون السامريين" (يوحنا 9:4) لم يتراجع عن الحديث معها، أو يوبخها وينتهرها، بل واصل حديثه معها ليخلصها من الخطايا التي كانت غارقة فيها، ويقودها الى حياة الطهر والعفاف. ولذلك قال الرسول:" إذا نحن من الآن لا نعرف أحدا حسب الجسد. وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد، لكن الآن لا نعرفه بعد (حسب الجسد). إذا إن كان أحد (أي أحد بلا استثناء) في المسيح، فهو خليقة جديدة" (2كورنثوس 16:5، 17). فهل بعد هذا الإيضاح، يوجد مجال للإعتراض المذكور؟!.

19 - " إذا كان المسيح هو الله، فلماذا ظهر في أماكن محدودة، ولم يظهر في جميع الأمكنة، حتى يراه جميع الناس ويؤمنوا به؟".

الرد: إذا رجعنا الى العصر الذي عاش فيه المسيح على الأرض، وجدنا أن الشعب الوحيد الذي كان يؤمن بالله إيمانا خالصا من كل زيغ هو شعب اليهود، إذ أن الشعوب الأخرى كانت تعبد الكواكب والأوثان وغيرها، وإن كانت قد وُجدت لدى بعضها فكرة عن الله، فإن هذه الفكرة كانت غير صحيحة أو ناقصة، فكان من المتعذر على هذه الشعوب أن تقبل المسيح كالله المتأنس، لو كان قد ظهر بينها.

ولذلك كان من البديهي أن يظهر المسيح بوصفه " الله المتأنس" بين اليهود، لأنهم أقرب الناس الى الإيمان به، وكان من البديهي أيضا أن يظل بينهم حتى يعرفوه حق المعرفة، ويؤمنوا به كل الإيمان. ولكن لما رفضوه (على الرغم من الأدلة الكتابية والإختبارية التي تثبت حقيقة ذاته) اختار من بينهم أشخاصا كانوا أكثر استعدادا من غيرهم لمعرفته والتوافق

معه، وقضى مدة طويلة في تدريبهم وتعليمهم، حتى عرفوا بعد قيامته من بين الأموات حقيقة ذاته كل المعرفة. ثم كلفهم بعد ذلك أن يحملوا رسالته ليس الى اليهود وحدهم، بل والى كل الأمم أيضا (متى 19:28)، بعد أن أيدهم بمواهب معجزية، تثبت صدق الرسالة التي يحملونها. ولهذا السبب لم يمض القرن الأول حتى كانت معرفة المسيح قد انتشرت بمجرد المناداة بإسمه في جميع أجزاء المعمورة، على الرغم من تعارض تعليمه مع طبائع الناس وأهوائهم، الأمر الذي لم يحدث نظيره على الإطلاق.

وإذا أضفنا الى ذلك (1) أن فلسطين التي ظهر فيها المسيح، لم يره كل شخص من سكانها، بل أن كثيرين لم يروه إطلاقا وأنه لو كان قد انتقل الى كل بلاد العالم، لكان كثيرون أيضا من سكانها لا يرونه. و(2) أن معرفة الله في المسيح لا تتوقف على رؤيته بالعين بل على الإيمان به بالقلب. وفي هذه الحالة يستوي الذين رأوه والذين لم يروه إن كانوا قد آمنوا به أو لم يؤمنوا. فيتضح لنا أن هذا الإعتراض لا مجال له على الإطلاق، لأن معرفة المسيح كانت قد انتشرت بواسطة تلاميذه في جميع البلاد، في برهة وجيزة.

20 - **" إن تجسد الله، إما أن يظل الى آخر الدهور فتدوم فوائده، وإما أن يكون هناك مبرر لتمتع جيل خاص برؤيته في الجسد دون غيره من الأجيال".**

الرد: بالرغم من ظهور الله في الجسد في العالم، ورؤية الناس لأعماله ومعجزاته، إلا أن معظمهم استمر في شرورهم وآثامهم. وبما أنه يريد أن يقترن الإيمان به بحياة القداسة (لأن الإيمان به بدون هذه الحياة أشر من عدم الإيمان)، وبما أن حياة القداسة لا تتأتي بواسطة الإقتناع النظري بحقيقة الله، بل بواسطة الإتصال الروحي به، وبما أن هذا الإتصال لا يتولد عن النظر إليه بعين الجسد الخارجية بل عن النظر إليه بعين الإيمان الباطنية، إذن كان من البديهي أن يقتصر الرب في أمر ظهوره بالجسد على المدة التي قضاها في العالم (وهذه والحمد لله كافية كل الكفاية، لإثبات شخصيته وإظهار محبته المطلقة للبشر أجمعين) حتى تكون علاقتهم به ليست العلاقة الجسدية بل العلاقة الروحية. فهو روح، والذين يريدون أن يتصلوا به فبالروح ينبغي أن يتصلوا، والذين يريدون أن يسجدوا له فبالروح ينبغي أن يسجدوا (يوحنا 24:4).

ولذلك صرح له المجد بأفضلية انطلاقه من العالم على بقائه بالجسد فيه، فقد قال لتلاميذه:" الحق أقول لكم، إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي (أي الروح القدس). لكن إن ذهبت أرسله لكم (يوحنا 7:16). والروح القدس كما تبين لنا في الباب الثالث من كتاب (الله - ذاته ونوع وحدانيته) هو الذي يعلم نفوسنا ويهذبها ويسمو بها، ويحفظها في حالة الإتصال بالله والتوافق معه. وهذا هو غرض الله من التجسد.

21 - **" ناسوت المسيح خاضع لقانون الطبيعة العام، وهو أن المادة الى الفناء، فليس من المعقول أن يظل الى الأبد".**

الرد:" إن القول بأن المادة تفنى لا يزال موضع بحث العلماء، ففريق يعتقد أن ما يُقال عنه إنه فناء للمادة ليس إلا تغير في شكلها الظاهري، وفريق آخر يقول إنها بالإشعاع تفقد جزءا فقط من خواصها. فإذا تأملنا الناسوت الذي ظهر به المسيح على الأرض، وجدنا أنه وإن كان بإرادة صاحبه، كان متوافقا مع قانون الطبيعة العام (إذ أخضعه صاحبه لحكم هذا القانون، حتى كفر بنفسه عن الناس)، لكنه قام من بين الأموات بحالة تفوق القوانين الطبيعية: حالة حسب إرادة صاحبه تتوافق مع السماء، فأصبح ناسوتا لا يأكل ولا يشرب، ولا يتعب ولا ينام، لأن السماء ليس فيها مجال للأكل أو الشرب أو التعب أو النوم، أو أي عمل آخر من الأعمال الجسدية

فإذا أضفنا الى ذلك أن أجساد الموتي ستُبعث يوما من قبورها بأجساد غير قابلة للفناء، وأنها ستنال في هذه الأجساد جزاء ما كانت عليه في دنياها، لا يجوز لنا التشكك مطلقا في أن ناسوت المسيح سيظل الى الأبد، بالحالة الروحية التي تتوافق مع السماء.

وقد أشار الرسول الى موت وقيامة كل جسد من أجساد القديسين، فقال:" ... يُزرع في فساد ويُقام في عدم فساد. يُزرع في هوان ويُقام في مجد. يُزرع في ضعف ويُقام في قوة. يُزرع جسما حيوانيا ويُقام جسما روحانيا ..." (1كورنثوس 42:15- 44).

22 - **" كل ما له بداية، له أيضا نهاية. وبما أن اتخاذ الله جسدا له قد حدث في زمن خاص، إذه لا بد أن يتلاشى هذا الجسد في زمن خاص أيضا".**

الرد: إننا لا نستطيع التسليم بأن كل ما له بداية له أيضا نهاية، لأن هناك شواذ لهذه القاعدة. فمثلا النفس البشرية حادثة

أو لها بداية، لكنها كما يتبين من كتب الدين والفلسفة أيضا، خالدة ليست لها نهاية. كما أن الأجساد التي نلبسها الآن، وإن كانت تتحلل بالموت، إلا أنها ستُبعث من رفاتها يوما ما. ولذلك لا مجال للظن بأن ناسوت المسيح قد تلاشى أو قد يتلاشى. وإذا أضفنا الى ذلك أن بقاء ناسوت المسيح في الأبدية يتوقف عليه إدراكنا لله، اتضح لنا أن هذا الإعتراض لا مجال له إطلاقا.

23 - " إذا كان الله هو الذي تجسد، فلماذا يُنسب التجسد الى أقنوم الإبن وحده؟"

الرد: إن الفاعل كما يقول رجال الفلسفة، قد يكون هو القابل وقد يكون أيضا غير القابل (" القابل" هو الذي يقبل، وفي موضوعنا هذا هو " الذي قبل التجسد").

ولما كان اللاهوت هو الفاعل لإجراء التجسد، وأقنوم الإبن هو القابل له، لأنه بصفته الأقنومية هو الذي يعلن الله ويظهره، لذلك يكون هو وحده الذي تجسد. وطبعا لا يغرب عن بالنا أن قيام الإبن "بالتجسد" دون الأقنومين الآخرين ليس معناه أنهما لا يستطيعان التجسد، لأن الأقانيم واحد في الجوهر بكل خصائصه وصفاته، إنما لأن "الإبن"، للأسباب السابق ذكرها ، هو الذي تجسد بصفته الأقنومية، لذلك يكون هو الذي تجسد، فيُقال "الإبن قد تجسد"، أو "الله قد تجسد" لأن كل أقنوم هو الله بذاته، وكل عمل يعمله أي أقنوم، فالله هو الذي يعمله .

ومع ذلك فإن الأقنومين الآخرين وإن كانا لم يتجسدا، إلا أنهما لوحدتهما مع أقنوم "الإبن" في اللاهوت، كانا عاملين أيضا في تجسده. فالآب أرسل الإبن الى العالم (يوحنا 37:5)، والروح القدس أيضا أرسله (إشعياء 16:48).

24 - " إذا كان المسيح قائما بالاهوت والناسوت معا، أفلا يكون السجود له سجودا للناسوت مع اللاهوت، وهذا هو الشرك بعينه؟".

الرد: المسيح باللاهوت والناسوت معا هو شخص واحد:" الله المتأنس" وليس " الإنسان الإلهي" كما يقول بعض الهراطقة، ولذلك فإن السجود له لا يُعتبر شِركا على الاطلاق , لأن ناسوته ليس شخصا سواه. ولايضاح هذه الحقيقة نقول : لو أن ملكا نبيلا فى سبيل تقريب مواطنيه اليه ليمتعهم بما لديه من خير , ارتدى لباسا مثل لباسهم وسكن بينهم واختلط بهم وعاش معهم كواحد منهم , حتى ازال كل مانع يمنعهم عنه , فهل يغير ذلك من كونه الملك المستحق للاكرام والاحترام ؟ الجواب : طبعا كلا.واذا كان الأمر كذلك , فان وجود اله فى الجسد لا يمكن ان يقلل شيئا من كونه ذات الله المستحق للعبادة والسجود.

وقد أظهر المسيح بيان هذه الحقيقة بكل وضوح وجلاء , فقد كان يتقبل السجود من الناس (متى 2 : 11 و 14 : 23 و 28 : 17 ولوقا 24 : 52) كأمر عادى يليق تقديمه اليه , كما كان يتقبل منهم الاعتراف بأنه الرب والاله (يوحنا 20 : 28) . دون ان يبدى أى تردد على الاطلاق . وطبعا ما كان من الممكن ان يتقبل هذا أو ذاك , لو لم يكن هو الله , لأن الذى يتقبل من دونه سجودا من الغير أو اعترافا بأنه هو الله , لا يكون الا معتوها أو متكبرا . والحال أن المسيح حكيم كل الحكمة , ومتواضع كل التواضع, كما شهد اصدقاؤه واعداؤه على السواء.

الثالوث

1- قول السيد المسيح أن الآب ارسل الابن الى العالم (يوحنا 5 : 37) يدل على أن الآب اسمى من الابن مقاما .

الرد : مجئ الابن الى العالم لا يعنى تحركه من مكان الى مكان , بل ظهورة فى العالم بهيئة واضحة. لأن اللاهوت منزه فى ذاته عن التحيز بمكان , وبالتبعية من الانتقال من مكان الى مكان. ولم يكن مجئ الابن بارادة الآب مستقلة عن ارادة الابن, بل كان بارادتهما وارادة الروح القدس معا. فقد قال المسيح : "من عند الله خرجت" (يوحنا 16 : 27). , أى خرجت بمحض ارادتى . وقال الرسول عنه : " الذى اذ ؤكان فى صورة الله, لم يحسب خلسة ان يكون معادلا لله , لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد"(فيلبى 2 : 6 – 7) .

أى انه أخلى نفسه وأخذ صورة عبد بمحض ارادته . وعن مجئ المسيح بارادة الآب والروح القدس معا , قال له المجد على لسان أشعياء النبى سنة 700 ق م : " والآن السيد الرب ارسلنى وروحه" (أشعياء 48 : 16) .

ولوحدة جوهر الأقانيم الثلاثة لا يكون ارسال الآب للابن دلالة على وجود أى تفاوت بينهما , بل بالعكس يدل على توافقهما , وتوافق الروح القدس معهما فى الاهتمام بالبشر والعطف عليهم . أما السبب فى ظهور الابن (أو مجيئه) دون الأقنومين الآخرين , فيرجع الى انه الذى يعلن الله ويظهره, كما مر بنا .

2- يدل قول المسيح : "أبى أعظم منى" (يوحنا 14 : 28) على أنه أقل من الآب مقاما .

الرد : لا يقصد المسيح بقوله هذا ان الآب أعظم منه من ناحية كونه "ابن الله" أو "الإبن الأزلي" لأنه من هذه الناحية واحد مع الآب في اللاهوت بكل خصائصه وصفاته. فقد قال عن نفسه:" أنا والآب واحد"، و "أنا في الآب والآب فيَّ"، و " من رآني فقد رأة الآب"، و "لكي يكرم مالجميع الإبن كما يكرمون الآب". ولكنه يقصد أن الآب أعظم منه، من ناحية كون المسيح " ابن الإنسان" فقد أخلى نفسه، وأخذ صورة العبد الكامل، الذي ينفذ جميع مقاصد الله

(فيلبي 7:2). ويُقصد بـ" العبد الكامل" في فلسفة ابن العربي " العقل بالفعل" أو "الله عاملا" لأنه جمع في عين واحدة الحضرة الإلهية بكل صفاتها. والكتاب المقدس قد سبق وأشار الى ذلك، فقد أطلق اسم "العبد الكامل" على السيد المسيح، الذي هو (الله مُعلنا) (إشعياء 13:52).

والقرينة تثبت صحة ذلك، لأننا إذا رجعنا الى الآية المعترض بها، وجدنا المسيح يعلن أن الآب أعظم منه بمناسبة عودته إليه، بعد إتمام مهمة الفداء التي جاء لأدائها. ونحن نعلم من الكتاب المقدس أنه له المجد قد قام بهذه المهمة بوصفه " ابن الإنسان" فقد قال: "لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك" (لوقا 10:19، متى 11:18)، وقال " ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدم بل ليخدِم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (متى 28:20).

اعتراض (3):" يدل قول السيد المسيح لتلاميذه:" إني أصعد الى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم (يوحنا 17:20)، وقوله: " إلهي إلهي، لماذا تركتني؟" (متى 46:27) على أنه كان واحدا من البشر لا أكثر ولا أقل".

الرد: السيد المسيح هو أحد أقانيم اللاهوت، لكن بتجسده من جنسنا أصبحت له طبيعتان كاملتان، هما اللاهوت والناسوت. هاتان الطبيعتان متحدتان كل الإتحاد. فمن حيث اللاهوت كان ولا يزال وسيظل الى الأبد هو الله بعينه، الذي لا إله مثله إطلاقا، فمكتوب أنه فيه " يحل كل ملء اللاهوت جسديا" (كولوسي 10:2)، وأنه "الكائن على الكل إلها مباركا الى الأبد" (رومية 5:9). أما من حيث الناسوت فكان كأحد الناس، ولذلك كان يدعو الله من هذه الناحية أبا وإلها له. لكنه كان خاليا من الخطيئة خلوا تاما، الأمر الذي لا يتوافر في إنسان ما.

وتُثبت القرينة صدق هذه الحقيقة، فإذا رجعنا الى أولى الآيتين المعترض بهما، وجدنا المسيح يقول إن الله أبوه وإلهه، بمناسبة إعلانه عن عودته إليه، بعد إتمام مهمة الفداء التي جاء للعالم للقيام بها لأجلنا، بوصفه ابن الإنسان.

وإذا رجعنا الى الآية الثانية وجدنا المسيح يدعو الله إلها له، عندما كان معلقا على الصليب كفارة عن الإنسان. وكان قد

سمح أن يُعلق عليه لهذا الغرض بوصفه "ابن الإنسان"، (لأن الكفارة تكون دائما من نوع المكفر عنه)، كما أن قوله بعد ذلك لله:" لماذا تركتني؟" يدل على أنه لم ينطق به كإبن الله، لأنه من هذه الناحية واحد مع الآب والروح القدس في اللاهوت، ولا انفصال له عنهما على الإطلاق. لكن هناك حالة واحدة يصح أن يُترك فيها من الله، وهي حالة وجوده كإبن الإنسان للقيام بالتكفير عن الناس، لأن المكفر يجب أن يضع نفسه موضع الذين يكفر عنهم من كل الوجوه، حتى تكون كفارته حقيقية وقانونية. ولما كان الناس عن بكرة أبيهم خطاة، ويستحقون الترك من الله الى الأبد، سمح له المجد أن يُعتبر أثيما، وأن يُترك من الله عوضا عنهم، وأن يحتمل كل ما يستحقونه من قصاص، حتى يصيروا أبرارا، ولهم حق الإقتراب من الله والتمتع به، إن هم قبلوا كفارته، وسلموا حياتهم له تسليما كاملا.

اعتراض (4):" يدل قول السيد المسيح:" من قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له، وأما من قال على الروح القدس، فلن يُغفر له، لا في هذا العالم ولا في الآتي" (متى 32:12)، على أن الروح القدس أسمى مقاما من الإبن".

الرد: غرض المسيح من هذه الآية أن يعلن لسامعيه أن الذين لم يؤمنوا بلاهوته من الناس الذين كانوا في عهده، يُلتمس لهم بعض العذر، لأنهم لم يروه كالله الذي لا حد لمجده أو جلاله، بل رأوه كإنسان محدود متحيز بحيز. أما الذين أنكروا منهم قوة الروح القدس التي كان يعمل بها معجزاته وأسندوها الى الشيطان، فليس لهم عذر على الإطلاق، لأن قوة الروح القدس كانت ظاهرة بدرجة لا تدع مجالا للشك أمام إنسان ما في أنها قوة الله نفسه، ولأنهم أيضا كانوا يعلمون تمام العلم، كما يعلم جميع الناس في كل العصور، أن الشيطان لا يشفي المرضى أو يحيي الموتى، كما كان يفعل المسيح بقوة الروح القدس. ولذلك فمن البديهي ألا يُغفر لهم ذنب إنكارهم لشخصيته والحط من مكانته، لأن هذا التصرف رفض متعمد لله وأعماله، وإصرار على عدم الطاعة لسلطانه. ومن يتصرف هكذا يطوح نفسه بعيدا عن رحمة الله، ويحرمها من عفوه وغفرانه. فليس هناك مجال للظن، بأنه يُفهم من هذه الآيات أن أقنوم الروح القدس أفضل مقاما من أقنوم الإبن. ومما يدل أيضا على صدق هذه الحقيقة أنه له المجد لم يقل: من قال كلمة على ابن الله يُغفر له، بل قال:" من قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له"، لأنه كإبن الإنسان، كان يبدو كأحد الناس، ولذلك كان من المحتمل أن يشك في شخصيته الذين لم يكن لديهم علم بما هو مكتوب في التوراة عنه. وشكهم هذا، كان من الجائز أن يُغفر لهم، لو أنهم لم يشاهدوا معجزاته، التي كان يعملها بقوة الروح القدس.

اعتراض (5):" يدل قول السيد المسيح " خرجت من عند الآب وقد أتيت الى العالم، وأيضا أترك العالم وأذهب الى الآب" (يوحنا 28:16)، على انفصال الإبن عن الآب، أو بتعبير آخر على عدم وحدته معه".

الرد: المسيح باستعماله الكلمات " خرجت .. أترك.. أذهب" يكلمنا باللغة التي نفهمها. أما من حيث هو في ذاته، فإنه لا ينتقل من مكان الى مكان، لأنه لا يتحيز بحيز. وقد شهد له المجد بهذه الحقيقة، فذكر عندما كان موجودا بالجسد على الأرض، أنه كان في نفس هذا الوقت موجودا في السماء (يوحنا 13:3)، كما ذكر أنه بعد انطلاقه عن تلاميذه بالجسد، سيكون ماكثا معهم، كما سيكون ماكثا أيضا الى انقضاء الدهر مع أن ظهوره في مكان ما لا يؤدي الى انفصاله عن اللاهوت، أو انفصاله عن أحد الأقنومين الآخرين، بأي حال من الأحوال. وقولنا " في مكان ما" هو بالنسبة إلينا، وليس بالنسبة الى الله، لأن الله لا يتحيز بمكان. ولا غرابة في ذلك، فجوهر الأقانيم وهو اللاهوت، غير قابل للإنقسام أو التجزئة، أو التحيز بمكان أو زمان، فهم مميزون أحدهم عن الآخر، لكنهم واحد بوحدانية غير قابلة للتفكك على الإطلاق.

اعتراض (6):" إذا كان الأقانيم واحدا في الخصائص والصفات، فلماذا يُقال إن الآب كان يمثل العدالة، ولذلك كان يريد القضاء على البشر بسبب خطاياهم، وأن الإبن كان يمثل الرحمة، ولذلك ظهر في العالم ومات على الصليب كفارة عنهم؟".

الرد: هذا القول ليس له أساس في الكتاب المقدس، لأن الأقانيم الثلاثة ـ لوحدة جوهرهم ـ يتصفون بالعدالة والرحمة (وباقي الصفات الأخرى) بدرجة واحدة. فالله بأقانيمه (وليس أقنوم واحد) لا يحب الخطيئة، ولا يقبل الناس الملوثين بها في حضرته، وفي الوقت نفسه يحب هؤلاء الناس ويعطف عليهم الى درجة لا حد لها، لأنه سبق وخلقهم على صورته كشبهه. ولذلك فإن المسيح على الصليب لم يكن معلنا لرحمة الله فقط، بل كان معلنا لعدالة الله ورحمته معا، فقد قيل في ذاته نتائج الخطيئة بأسرها تحقيقا للعدالة، وقبلها نيابة عن الناس تحقيقا للرحمة (وقد تفرد بهذا العمل لأنه الأقنوم الذي يعلن الله)، وقد شهد الكتاب المقدس بهذه الحقيقة فقال:" إن الله (أو اللاهوت) كان في المسيح، مصالحا

العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم... لأنه جعل الذي لم يعرف خطية (يقصد السيد المسيح)، (كفارة) خطية لأجلنا،

لنصير نحن بر الله فيه" (2كورنثوس 19:5 ـ 21). كما أنه لا سبيل للظن بأن عمل " الإبن" في الفداء أعظم من عملي الآب والروح القدس فيه، فإن آلام الكفارة لم تقع على اللاهوت، بل على ناسوت المسيح وحده، لأن اللاهوت غير قابل للتأثر بأي مؤثر ـ كما أن الأقانيم واحد في الجوهر بكل صفاته وخصائصه. فإن كان الإبن قد بذل نفسه عنا، فهو لم يقم بذلك بالإستقلال عن الأقنومين الآخرين، بل بالإتحاد معهما، فالآب بذله، وبالروح الأزلي قدم هو نفسه، وبذله.

اعتراض (7):" قول السيد المسيح عن الروح القدس إنه ينبثق من الآب (يوحنا 26:15)، يدل على أن الآب كان موجودا قبل الروح القدس، وأن الروح القدس قد انفصل منه، وهذا يتعارض مع القول بأقنوميته، لأن انبثاقه يدل على أنه مجرد قوة، كما يتعارض مع القول بوحدانيته مع الآب في الأزلية، وفي خصائص اللاهوت الأخرى، تبعا لذلك".

الرد: ليس الروح القدس منبثقا من الآب بمعنى أنه منفصل منه أو صادر عنه، لأن الكتاب المقدس ينكر نظرية الصدور التي قال بها الفلاسفة إنكارا تاما. أما الآية الخاصة بانبثاق الروح القدس فهي "روح الحق الذي من عند الآب ينبثق". وشتان بين الإنبثاق من الآب والإنبثاق من عند الآب. فالعبارة الأولى تدل على أن الآب سابق في وجوده للروح القدس، وأن روح القدس منفصل منه أو صادر عنه، بينما العبارة الثانية تدل على أن الروح القدس موجود مع الآب، ثم انبثق أو خرج (أو بالأحرى ظهر) من عنده من تلقاء ذاته.

ولا يُقصد بالعبارة " من عند" هنا مكان ما، لأن اللاهوت منزه عن المكان والزمان، بل يُقصد بها التعبير باللغة التي نفهمها، على أن الروح القدس أقنوم خاص، وأنه كان مع الآب قبل حلوله على المؤمنين. ولذلك نرى أن العبارة "من عند" هذه، هي بعينها التي استُعملت في موضع آخر للدلالة على وجود أقنوم الإبن مع الآب قبل ظهوره في العالم، فقد قال له المجد مرة " خرجت (أو ظهرت) من عند الآب" (يوحنا 28:16، 8:17). أما من حيث أزلية الروح القدس والإبن معا، فقد تحدثنا عنها بالتفصيل فيما سبق.

كما نلاحظ أن الفعل ينبثق، مبني للمعلوم ولي للمجهول، وهذا دليل آخر على أن الآب لم يخرج الروح القدس من ذاته، بل أن الروح القدس هو الذي خرج أو ظهر من تلقاء ذاته، الأمر الذي يدل على أنه لم يكن جزءا من الآب، وأخرجه الآب من ذاته، بل أنه كان معه أزلا.

فإذا رجعنا الى اللغة الإنجليزية مثلا، وجدنا أنها لا تعبر عن "من عند" في هذه الآية بـ out of مثلا، التي تدل على الإنتقال من الداخل الى الخارج، بل يعبر عنها بـ from أي "من عند". وهذا دليل على أن الروح القدس ليس منبثقا من الآب بمعنى أنه خارج من ذاته، بل بمعنى أنه خارج (أو ظاهر) من عنده، الأمر الذي يدل على أنه كان بأقنوميته معه، قبل حلوله على المؤمنين.

وفي ضوء هذه الحقيقة نقول: بما أن الروح القدس كان مع الآب والإبن أزلا، وبما ان انبثاقه لا يُقصد به انفصاله من أقنومية الآب، بل خروجه أو ظهوره من عنده، وبما أن الكتاب المقدس قد عبر عن هذا الإنبثاق في موضوع آخر بالإرسال (يوحنا 26:14)، وبما أن هذا الإرسال، كما هو مسند الى الآب، مسند أيضا الى الإبن (يوحنا 26:15)، إذن لا خطأ في القول إن الروح القدس منبثق من عند الآب والإبن، بمعنى أنه خارج من عندهما. وإذا كان الأمر كذلك، لا يكون هناك اختلاف بين الأرثوذكس والكاثوليك والإنجيليين في هذا الموضوع. لأن الفريقين الأخيرين لا يعتقدان أن الآب والإبن قد بثقا الروح القدس، بل بالعكس يعتقدان أن الأقانيم الثلاثة واحد في اللاهوت بكل خصائصه وصفاته، وأن الإنبثاق المسند الى الروح القدس معناه الظهور وليس الصدور. ولذلك فإن هذه الآية لا تدل على عدم أقنومية الروح القدس أو أسبقية الآب له في الوجود، كما يقول المعترضون، بل تدل على أقنوميته ووجوده السابق مع الآب.

اعتراض (8):" إذا كان كل أقنوم غير الآخر، فإن الصلاة الى أحد الأقانيم، لا تكون للأقنومين الآخرين، ولذلك لا تكون موجهة الى الله في ذاته".

الرد: وإن كان كل أقنوم غير الآخر، إلا أن الثلاثة أقانيم واحد في اللاهوت، واللاهوت واحد ووحيد، وغير قابل للتفكك على الإطلاق كما ذكرنا مرارا وتكرارا. ولذلك فإن الصلاة المقدمة للأب (مثلا) هي مقدمة لله أو للاهوت في تعين الآب أو أقنوم الآب. ونظرا لأن لاهوت الآب هو بعينه لاهوت الإبن والروح القدس أيضا، تكون الصلاة المقدمة للآب مقدمة لله في ذاته,

اعتراض (9):" إذا كانت عقيدة التثليث حقيقية موحى بها، فلماذا لم يعلنها الله بالتفصيل في التوراة، من أول الأمر؟".

الرد: نظرا لإنتشار الوثنية في الأزمنة الغابرة، واحتمال إساءة اليهود فهم حقيقة التثليث وقتئذ، وجواز اتخاذهم إياها أساسا للإعتقاد بصدق عقيدة تعدد الآلهة، التي كان الوثنيون يؤمنون بها، كان من البديهي ألا يقوم الله (وهو العليم بسرعة زيغان الإنسان وراء الباطل) بإعلان حقيقة كونه ثلاثة أقانيم دفعه واحدة، بل أن يعلنها لهم شيئا فشيئا، وذلك تبعا لإتساع مداركهم الروحية والعقلية. ولذلك إذا رجعنا الى التوراة، اتضح لنا أنه كان يعلن فيها أنه ليس أقنوما واحدا بل أقانيم، كما ذكرنا سابقا.

اعتراض (10): " هناك آيات كثيرة تدل على أن "الإبن" مخلوق بواسطة الله أو مولود منه، فقد قال الرسول بالوحي: " المسيح بكر كل خليقة. فإن فيه خُلق الكل، ما في السموات وما على الأرض" (كولوسي 1:15- 17)، وقال أيضا: " يسوع المسيح بداءة خليقة الله" (رؤيا 3:14)، وقال الله للمسيح:" أنت ابني. أنا اليوم ولدتك"

(مزمور 2:7)، وقال النبي بالوحي عنه:" الذي مخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل" (ميخا 5:2)، وقال هو عن نفسه على لسان النبي:" الرب قناني أول طريقه، من قبل أعماله منذ القدم. منذ الأزل مُسحت، منذ البدء، منذ أوائل الأرض. إذ لم يكن غمرٌ أبدئتُ" (أمثال 8:22 - 24).

الرد: هذه الآيات، لا تدل على أن الإبن وُلد من الله، بمعنى أنه صدر عنه. كما أنها لا تدل على أنه خُلق من اللاشيء بواسطته، بل تدل على أنه أزلي وغير مخلوق، كما يتضح مما يأتي:

(أ) (المسيح) بكر كل خليقة. فإن " فيه خُلق الكل. ما في السموات وما على الأرض" - والفاء في كلمة "فإنه" هي فاء السببية، وهي مترجمة الى الإنجليزية مثلا for أي "لأنه". ولذلك فالمسيح لم يُدع "بكر كل خليقة" لأنه أول شخص خلقه الله، كما يقول المعترضون، بل دُعي بهذا لأن كل الخليقة خُلقت فيه. وإذا كان الأمر كذلك، فإن كلمة "بكر" هنا، لا تكون مستعملة بالمعنى الحرفي، بل بالمعنى المجازي. والمعنى المجازي للبكورية هو الرياسة أو الأفضلية والأولوية. وإذا رجعنا الى الكتاب المقدس وجدنا أن كلمة "بكر" قد وردت فيه بمعنى"رئيس" أو "أول"، لأن الناموس قد جرى على أن تكون الرياسة للبكر. فقد قال الله في (مزمور 27:89) عن داود النبي:" وأنا أيضا أجعله بكرا أعلى من ملوك الأرض" مع أن داود كان الإبن الثامن لأبيه، وكان بالنسبة الى الملوك المعاصرين له أصغرهم وأحدثهم سنا. فضلا عن ذلك فإن كلمة "بكر" هذه استُعملت في موضع آخر عن "المسيح" نفسه، بمعنى رئيس. فقد قال الله عنه "ليكون بكرا بين إخوة كثيرين" (رومية 29:8). ويُقصد بالإخوة هنا المؤمنون الحقيقيون بالمسيح، ويُعتبر المسيح بكرا بينهم أو رئيسا لهم، بوصفه ابن الإنسان الذي مجد الله على الأرض وتمم مشيئته، مثالا لما يجب أن يعملوه. ويُعتبرون هم إخوته، بوصفهم قد آمنوا به إيمانا حقيقيا والتصقوا به إلتصاقا روحيا، وعقدوا النية على السير في سبيله.

ولذلك لا غرابة إذا كان المسيح قد دُعي "بكر كل خليقة" بمعنى أنه رئيسها وسيدها، لأنه هو الذي أبدعها وأنشأها. واليهود أيضا يعرفون أن البكورية تعني الرياسة أو السيادة، وأنها عندما تُسند الى الله يُراد بها السيادة المطلقة والرياسة العامة. فقد ورد في التلمود اليهودي:" الله القدوس يُدعى بكر العالم، للدلالة على سلطته على كل الكائنات". فإذا أضفنا الى ذلك أن كلمة "بكر" عندما يُشار بها الى المسيح، لا تسبقها البتة كلمة "ابن"، فلا يُقال عنه أبدا أنه "الإبن البكر"، وإنه لا يشار البتة الى المسيح كمخلوق أو منبثق من الله، لا يبقى مجال للشك في أن المراد ببكورية المسيح، ليس ولادته قبل غيره، بل رياسته وسيادته كما ذكرنا.

(ب) " (يسوع المسيح) بداءة خليقة الله". هذه الآية لا تقول إن المسيح هو أول شخص خلقه الله، بل إنه بداءة خليقة بمعنى أصلها،لأن بداءة الشيء أصله أو مصدره الذي ابتدأ منه. ومما يؤكد لنا صدق هذه الحقيقة أن كلمة "بداءة" هذه موجوده في النسخة اليونانية "أرخى" وترد بمعنى رأس أو مصدر أو أصل، ولذلك فالآية المذكورة، لا تدل على أن المسيح هو أول مخلوق، بل تدل على أنه أصل الخليقة ورأسها ومصدرها. ومما يثبت أيضا صدق هذه أن المسيح دُعي "البداءة" (كولوسي 18:1) أي "الأصل" أو "أصل كل شيء".

وكلمة "رأس" الواردة في أمثال 10:9 "بدء الحكمة مخافة الله" في الأصل اليوناني أو السبعيني "أرخى". وهذه الكلمة هي بعينها المترجمة "بداءة" في الآية "يسوع المسيح بداءة خليقة الله"، الأمر الذي يدل على أنه يُراد بها أن يسوع المسيح هو رأس الخليقة. فضلا عن ذلك فإن كلمة "أرخي" هذه، هي أصل الكلمة التي كان يطلقها فلاسفة اليونان على "الأرخونات" أو "الأيونات" التي زعموا أنها هي التي خلقت العالم وتقوم بتدبير شئونه. كأن الوحي باستعماله هذه الكلمة بالذات عن المسيح، يعلن لهم أن رأس العالم أو خالقه والمدبر لأموره، ليس هو الأيونات أو الأرخونات، بل هو "المسيح" أو "الإبن الأزلي"

(جـ) "أنت ابني. أنا اليوم ولدتك" بالتأمل في هذه الآية يتضح لنا أن البنوة الواردة فيها ليست متوقفة على الولادة، بل إنها سابقة لهذه الولادة، أو بتعبير آخر إنها بنوة بدون ولادة، وذلك للأسباب الآتية:

(1) إن الله لا يلد، بمعنى يُخرج من ذاته، لأن عملا مثل هذا يؤدي الى حدوث تغير فيه، والحال أنه لا يتغير.

ولا يُعقل مطلقا أن يكون معنى الولادة هنا الخلق، لأنه لو فرضنا أن الله لم يكن متميزا بالإبن أزلا (أو بتعبير آخر لو فرضنا أن وحدانيته هي وحدانية مطلقة أو مجردة) وأسندنا إليه بعد ذلك خلق "الإبن"، نكون قد أسندنا إليه التغير، إذ يكون قد عمل بعد أن كان لا يعمل، ويكون قد دخل في علاقة بعد أن لم تكن له علاقة. وبما أنه لا يتغير فلا مفر من التسليم بأن "الإبن" أزلي بأزلية الله أو اللاهوت، أو بتعبير آخر بأن وحدانية الله وحدانية جامعة مانعة.

(2) لم يقل الله للمسيح:" أنا اليوم ولدتك. أنت ابني" بل قال له:" أنت ابني أنا اليوم ولدتك". وهذا دليل على أن البنوة هنا سابقة للولادة، أو بتعبير آخر إنها بدون ولادة. والبنوة التي بدون الولادة الخاصة بـ"الإبن" هي البنوة الأزلية التي يتميز بها أزلا، والتي لا تعني سوى إعلانه للاهوت.

(3) لا توجد بين فقرتي هذه الآية كلمة تدل على أنه من الجائز أن يكون معناها أن المسيح دُعي ابن الله، لأنه وُلد من الله، بل توجد بينهما " فاصلة". فلا يُقصد بالآية المذكورة سوى المعنى الذي يُفهم من الوضع الموجود عليه ألفاظها. وهو أن المسيح هو "ابن الله" أولا أو أصلا، ثم بعد ذلك وُلد منه في يوم من الأيام. والفاصلة تدلنا على أن كلا الفقرتين قائم بذاته، ومستقل في معناه عن غيره، ولذلك يجب أن تُفهم كل منهما على حدة.

والكلمة اليونانية المترجمة "اليوم" في هذه الآية، لا تدل على زمن من الأزمنة الأزلية، بل تدل على يوم من الأيام العادية، فلا يُفهم منها أن المسيح مولود من الله في وقت ما في الأزل، كما يقول بعض الهراطقة، بل يُفهم منها أنه موجود معه منذ الأزل، ولكن ظهر أو تجلى في يوم من الأيام.

وإذا كان الأمر كذلك، فما معنى الولادة في هذه العبارة؟ الجواب: لنفهم معناها علينا أن نتأمل كل الآيات التي وردت فيها هذه العبارة مع ما قبلها وما بعدها من آيات (لأن هذه هي الوسيلة الصحيحة لفهم كل آية في الكتاب).

فأولا: سجل داود النبي بالوحي خطابا من الله الى المسيح باعتباره ابن الإنسان، جاء فيه:" أنت ابني أنا اليوم ولدتُك. إسألني فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصي الأرض ملكا لك" (مزمور 2:1- 9).

ثانيا: قال الرسول بولس لليهود:" إن الله أقام يسوع كما هو مكتوب أيضا في المزمور الثاني، أنت ابني، أنا اليوم ولدتك" (أعمال 33:13).

ويتضح لكل من درس الأصحاح المقتبسة منه هذه الآية، أن كلمة " أقام" هنا لا يُراد بها إقامة المسيح من بين الأموات، بل تنصيبه مخلصا للعالم بعد إقامته من بين الأموات، مثلها في ذلك مثل كلمة " أقام" في الآية " أقام الله لهم مخلصا" (أعمال 23:13) و " أقام" في الآية " وأقام لهم داود ملكا" (أعمال 22:13). ولكن مما يسترعي الإنتباه أن الفعل الخاص باقامة المسيح مخلصا، يرد في اللغة اليونانية بصيغة المضارع التام، ولذلك يكون المعنى الحرفي للآية أن الله أقام يسوع مخلصا الى الآن، أما الفعل الخاص بإقامة داود ملكا فيرد في صيغة الماضي للدلالة على أن خدمته قد مضت وانتهت. فخدمة داود قد عفا عليها الزمن. أما خدمة المسيح فباقية الى انقضاء الدهر.

ثالثا: وقال لهم:" لمن من الملائكة قال قط، أنت ابني أنا اليوم ولدتك... وأيضا متى أدخل البكر الى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله" (عبرانيين 1:5- 6).

رابعا: ثم قال لهم:" كذلك المسيح أيضا لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة، بل الذي قال له أنت ابني أنا اليوم ولدتُك" (عبرانيين 5:5).

فمن الآية الأولى، يتضح لنا أن العبارة " أنت ابني، أنا اليوم ولدتك". قد استُعملت بمناسبة إعلان سلطان المسيح وملكه. ومن الثانية يتضح لنا أنها استعملت بمناسبة الإعلان عن إقامة المسيح مخلصا لجميع الناس. ومن الثالثة يتضح لنا أنها استُعملت بمناسبة الإعلان عن سمو المسيح فوق الملائكة. ومن الرابعة يتضح لنا أنها استُعملت بمناسبة الإعلان عن كهنوت المسيح الذي يفوق كل كهنوت.

مما تقدم، يتضح لنا أن الولادة في هذه الآية يُراد بها الإعلان والإظهار وهذا المعنى ليس بالغريب عن مسامعنا، فنحن نعلم أن الولادة يُراد بها معنويا إظهار غير الظاهر، وإعلان غير المعلن. والمسيح بسبب وجوده في الجسد كإنسان، لم

يكن ظاهرا ومعلنا للناس، كما هو في ذاته، ولذلك كان من البديهي ان يظهره الله ويعلنه للناس كما هو، في حقيقة ذاته وأمجاده، أو بحسب التعبير المجازي أن "يلده" لهم.

(د) " الذي مخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل" (ميخا 2:5) ـ وهذه الآية لا تدل على أن الإبن "وُلد" من الله في الأزل، لأنه فضلا عن استحالة حدوث ذلك، للأسباب التي ذكرناها فيما سلف، فإنه لو كان هذا هو المقصود منها، لكان قد قيل "مخرجه" بدلا من "مخارجه". إذ أن الكلمة الأخيرة تدل على أن "الإبن" قد خرج من أكثر من مصدر واحد، مع أن الله (لو فرضنا أن الإبن خرج منه منذ الأزل، كما يقول المعترضون) هو واحد. ولذلك يُقصد بالآية المذكورة التعبير عن النواحي المتعددة، التي كان ولا يزال يخرج منها الإبن، أو بتعبير أدق، يبدو منها لإتمام مقاصد اللاهوت، وذلك بوصفه المعلن له والمنفذ لأفكاره ومقاصده. ومما يؤكد لنا صدق هذه الحقيقة أن كلمة "منذ" تدل دلالة قاطعة على أنه لا يُقصد بهذه الآية أن الإبن خرج من عند الله في الأزل كعمل تم وانتهى، بل تدل على أن مخارجه outlets أو goings forth أو outgoings، كانت منذ الأزل ولا تزال الى الوقت الحاضر. ولذلك فإن فعل هذه العبارة (المستتر في اللغة العربية لإمكانية معرفته، كما يُقال في قواعد هذه اللغة)، موجود في اللغات الأجنبية في صيغة المضارع التام . present perfect tense فهو في اللغة الإنجليزية مثلا have been وهذا الفعل يدل تماما على ما تدل عليه كلمة "منذ" العربية، أي أنه يدل على أن مخارج الإبن كانت منذ الأزل ولا تزال الى الآن. ولذلك لا يمكن أن يكون الغرض من كلمة " مخارجه" هنا، سوى النواحي التي كان ولا يزال يبدو منها الإبن، لتنفيذ مقاصد اللاهوت.

(هـ) " الرب قناني أول طريقه، من قبل أعماله، منذ القدم، منذ الأزل"ـ هذه الآية لا تدل على أن أقنوم "الإبن" قد وُلد في الأزل، بل على أنه كان موجودا منذ الأزل. لأن قوله"قنانى" يدل على وجوده حينذاك , اذ ان الشئ لا يقتنى الا اذا كان أولا موجودا. أما اقتناء الله (أو اللاهوت) له أول طريقه , من قبل أعماله , منذ الأزل فذلك لأن اقنوم الابن هو الذى يظهر الله ويعلن مقاصده ويتممها. ولا يراد بالاقتناء هنا المعنى الحرفى الذى هو الحيازة أو التملك بل المعنى الروحى الذى يتوافق مع وحدانية الله وثباته , واستغنائه بذاته عن كل شئ فى الوجود , وهذا المعنى ينحصر فى ظهور اللاهوت فى أقنوم الابن , واتمام مقاصده منذ الأزل.

(و) " منذ الأزل مسحت..اذ لم يكن غمر أبدئت " . و"المسح" أو " المسح بالدهن" اصطلاح دينى يقصد به تعيين شخص فى وظيفته وفق مشيئة الله. وهذه الآية ايضا لا تدل على ان الابن خلق فى الازل , بل على انه كان موجودا فى الأزل, لأن عبارة " منذ الأزل مسحت" أو "عينت" تدل على انه كان موجودا فى الأزل , لأن الذى "يمسح" أو "يعين" يجب ان يكون أولا موجودا . كما ان كلمة "أبدئتط لا تعنى " خلقت" على الاطلاق, فهى لم ترد فى الأصل بما يقابل

was created أو was formed بل بما يقابل was brought forth أى "أظهرت أو " أعلنت" ومن البديهى الا يكون الأمر سوى ذلك , لأن الابن يتحدث عنه فى (أمثال 8) بوصفه حكمة الله , وليس من المعقول ان يكون الله بدون حكمة اصلا أو ازلا , ثم يصنع لنفسه , أو يخلق لها الحكمة فى وقت من الأوقات, اذ من المؤكد ان يكون متميزا بالحكمة اصلا أو ازلا , لأن هذا ما يتوافق مع كماله وعدم تعرضه للتغيير أو التطور.

مما تقدم يتبين بكل وضوح وجلاء ان الكتاب المقدس لا يفرق بين أقنوم وآخر , وان الآيات التى يقال انها تدل على اسبقية الآب على الابن أو أفضلية الروح القدس عليه , لا يراد بالابن فيها "الابن" من حيث مركزه "كأبن لله" , بل من حيث مركزه "كأبن الانسان" . أما من حيث مركزه "كأبن الله " فهو "الله" فى جوهره. وهو من هذه الناحية , واحد مع الأقنومين الآخرين , فى اللاهوت بكل خصائصه ومميزاته.

اعتراض (17): " يعتقد فريق من الوثنيين في الهند أن هناك ثلاث هيئات أو أقانيم لله، يطلقون عليها براهما وفشنو وسيفا، فبراهما هو الآب الممثل لمبادئ التكوين والخلق، وفشنو هو الإبن الممثل لمبادئ الحماية والحفظ، وسيفا هو الروح القدس، الذي هو المبدي والمهلك".

الرد: (أ) لم تكن كلمة الأقانيم معروفة عند الهنود أو غيرهم من الوثنيين، لأنها من الكلمات المسيحية المحض، التي صيغت في القرن الثاني للدلالة على تعينات اللاهوت. كما أن عبارة " هيئات الله" هي من تصنيف الفلاسفة الذين كانوا يحاولون تفسير أقانيم المسيحية تفسيرا فلسفيا بعيدا عن روح الكتاب المقدس. فضلا عن ذلك فإن وصف براهما بالآب وفشنو بالإبن وسيفا بالروح القدس، ليس له أصل في الأساطير الهندية، إنما هو من تلفيق المعترضين، لكي يضللوا البسطاء من الناس. كما أن إسناد الخلق والتكوين الى "الآب" والتدمير الى "الروح القدس" دليل على عدم الدراية

بالكتاب المقدس، لأن هذا الكتاب يسند الخلق والتكوين الى الله، بواسطة أقنوم "الكلمة" أو " الإبن"، ويسند الإحياء، لا التدمير، الى الروح القدس.

(ب) فضلا عما تقدم فإن قول المعترضين إن الوثنيين يعتقدون أن الله هو براهما وفشنو وسيفا، هو محض اختلاق، لأنه بالرجوع الى الأساطير الهندية، يتضح لنا أن الهنود كانوا يعتقدون في أول الأمر بآلهة متعددة، ثم اختصروها على مر الأيام الى 33 إلها (كما يتضح من كتاب الفيدا). وزعموا أن كل إله من هذه الآلهة يمثل صفة من صفات روح عظيم أطلقوا عليه اسم "براهمان". ومن أهم هذه الآلهة "حانيشا" إله الحزم والبصيرة، و " كارتيكا" إله الحرب، و" إندرا" إله المطر، و"إجي" إله النار، و" فارونا" إله المحيط، و"باما" إله الموت، و" كورا" إله الثروة. لكنهم رفعوا براهما وفشنو وسيفا فوق غيرها من آلهتهم بدعوى أنها تمثل صفات الخلق والرعاية، والإنتاج والتدمير، التي هي (كما يزعمون) أهم صفات "براهمان". كما أنه لم يخطر ببالهم مطلقا أن يجعلوا هؤلاء الثلاثة واحدا كما يقول المعترضون. بل بالعكس كانوا يقولون إن كلا منهم منفصل عن الآخر، ومختلف عنه في صفاته وطباعه وأعماله كل الإختلاف.

فبراهما يُمثل برجل يركب على ظهر أوزة، ويقال إنه كانت له رأس واحدة كغيره من آلهتهم، لكن عندما أخرج من ذاته أنثى له، وأخذ يتأمل فيها كلما انتقلت الى جهة من الجهات، نبتت له أربعة رؤوس أخرى، بعدد الجهات التي كانت تنتقل إليها. ولما رأى سيفا أن براهما قد تملكه الإعجاب برؤوسه الخمسة انقض عليه وقطع واحدة منها، وأصبح لبراهما أربعة رؤوس فحسب. وفشنو يُمثل بشاب جميل الصورة له أربعة أذرع، يلعب على ربابه أو مزمار، ويُقال إنه كان وديعا وشفوقا، وله عند الهنود عشرة آلاف اسم، وكانت امرأتهُ تُدعى لاكشمى أو الحظ الحسن، ونظرا لجماله فإن الهنود يذكرون اسمه بالإرتباط مع الشمس والنهار. أما سيفا فيُمثل برجل قوي قاس، ويقال إنه كانت له زوجة وولدان. وكان اسمه "رودا"، لأنه عندما وُلد كان يبكي (وكلمة "رودا" معناها "بكاء"). ويقال إنه عاش كل حياته شريدا، لأنه قطع رأس براهما، وأنه تزوج بعد ذلك ابنة ابن براهما بعد ما قتله في مجمع الآلهة. ويقال إنه تناول مرة طعاما مسموما، فلما رأت زوجته السم يسري في جسمه قبضت على رقبته لكي لا يصل الى رأسه، فتجمع السم في رقبته واسودت. ويقال إنه عندما ماتت زوجته، حمل جسدها، وفي نشوة من الجنون، أخذ يرقص به حول العالم. وسيفا كما يزعمون هو الذي تنتهي إليه أعمال براهما وفشنو، فهو الذي يخرجها ويلاشيها، ولذلك يُذكر اسمه مرتبطا بالليل والظلام ـ ولكل إله من هذه الآلهة أنصار من الهنود، يميز كل منهم نفسه بعلامات خاصة. وكان لبراهما في أول الأمر أنصار كثيرون، أما الآن فمعظم الوثنيين يعبدون فشنو وسيفا، والعبادة التي تُقدم لفشنو مصحوبة بالفرح والسرور، بينما العبادة المقدمة لسيفا مصحوبة بالرعب والخوف، ولكل وحد من هؤلاء الثلاثة اسرار كثيرة، وحوادث غرامية يخجل المرء من ذكرها. فهل يمكن بعد هذه التفصيلات أن يظن إنسان ما أن تثليث المسيحية مقتبس من الأساطير الهندية؟!

اعتراض (18):" يعتقد فريق آخر من وثنيي الهند أن بوذا ذو ثلاثة أقانيم، وأنه هو الألف والواو والميم، أي الأول والوسط والآخر، كما يقول النصارى عن المسيح".

الرد: فضلا عن أن كلمة " الأقانيم" هي من صميم التعبيرات المسيحية، الأمر الذي لا يدع مجالا للشك في سوء نية المعترضين وتلفيقهم، فإنه بالرجوع الى أساطير الهنود لا نجد أساسا لهذا الإعتقاد على الإطلاق، كما أن كل الصور الخاصة ببوذا تمثله رجلا عاديا مثل غيره من الرجال، لأنه كان إنسانا حقيقيا عاش في الهند حوالي 500 سنة ق.م. ورآه كثير من أهلها رؤية العيان. أما وصفه بأنه الأول والوسط والآخر، فلا يدل على أن المسيحيين قد استقوا عقيدة التثليث من الوثنيين، لأننا لا نقول إن الآب هو الأول والإبن هو الوسط والروح القدس هو الآخر. ولذلك فإن هذا الوصف يدل على أن الهنود قد اقتبسوا آراءهم، بعضهم من البعض الآخر، لأن الفريق السابق ذكره في الإعتراض السابق، كان يقول عن براهما إنه الأول، وعن فشنو إنه الوسط، وعن سيفا إنه الآخر. على اعتبار أن براهما، كما يزعمون، هو الخالق، وفشنو هو الحافظ لما خلقه براهما، وسيفا هو المُخرب لما خلقه براهما وحفظه فشنو.

اعتراض (19):" يعتقد فريق غيره من الهنود أن الواحد الذي هو أصل الوجود، اضطر الى ايجاد ثان، ومن الثاني والأول انبثق ثالث".

الرد: هذا الإعتراض مختلق بأكمله، إذ ليس له أي أساس في الأساطير الهندية. ولا شك عندي أن المعترضين قد اقتبسوه من الفلسفة اليونانية وأسندوه زورا الى الأساطير الهندية، لأن فلاسفة اليونان هم الذين كانوا يعتقدون بهذا الإعتقاد، فكان يقول بعضهم عن الديمورج (أي الصانع) هو الآب، والمادة هي الأم، والعالم الذي نتج منهما هو الوليد. وكان بعض آخر يقول إن للوجود أصلين، هما الخير والشر، وبإقترانهما معا وُلد العالم. وكان بعض غيرهم يقول إن الأصل الأول

هو الله غير المدرك، والثاني هو زوجته السكوت المفكر، وبإقترانهما معا وُلدت الكائنات. ولكن المعترضين استعملوا كلمة "انبثق" المسيحية بدلا من كلمة نتج أو ولد الوثنية، للتمويه على القراء. فضلا عن ذلك فإننا نحن المسيحيين لا نعتقد أن الآب هو أصل الوجود، أو أنه اضطر الى إيجاد الإبن. وإن كنا نعتقد أن الروح القدس منبثق من عند الآب، أو من عند الآب والإبن، إلا أننا نعتقد أنه كان أزلا مع الآب والإبن، لأن الثلاثة أقانيم هم تعين اللاهوت، واللاهوت لا بدء له، وهو واحد ووحيد ولا تركيب فيه على الإطلاق. وما معنى الإنبثاق هنا إلا الظهور، كما بيننا سابقا .

الإعتراض (20):" كان قدماء المصريين يعتقدون بمجموعات من الآلهة، كل مجموعة منها مكونة من ثلاثة أقانيم. فالمجموعة الأولى كانت مكونة من أمون وكونس وموت، والثانية من أوزيريس وإيزيس وحورس، والثالثة من خنوم وساتيت وعنقت. والأول من كل مجموعة، هو الأب، والثاني هو الإبن، والثالث هو الروح القدس".

الرد: ألفاظ الآب والإبن والروح القدس هنا هي ألفاظ اختلقها المعترضون للتمويه على القراء، إذ أنه ليس لها أساس في عقيدة قدماء المصريين. كما أن كلمة "الأقانيم" كما ذكرنا مرارا، من صميم التعبيرات المسيحية التي لم تكن معروفة قبل وجودها. فضلا عن ذلك فإننا إذا رجعنا الى عقيدة قدماء المصريين، وجدنا أنها لم تنص على أن كل مجموعة من هذه الآلهة تكون إلها واحدا، بل بالعكس كانت تنص على أن هذه الآلهة منفصل أحدها عن الآخر كل الإنفصال. والدليل على ذلك أنهم كانوا يمثلون أمون برجل، وكونس (وصحته خنسو) بالقمر، وموت بأنثى العُقاب، وأوزيريس برجل، وإيزيس بإمرأة، وحورس بالصقر، وخنوم بالكبش، وساتيت زوجته الأولى بإمرأة وعتقت زوجته الثانية بإمرأة أخرى، وكان كل إله من هذه الآلهة خاصا بقسم من أقسام مصر. فلكي يوحد قدماء المصريين هذه الأقسام ويكونوا منها مقاطعات كبيرة، قرنوا آلهة كل ثلاثة أقسام تقريبا معا، وكونوا منها مجموعة واحدة، وجعلوا فرق هذه المجموعات، التاسوع المصري العظيم، برياسة "رع" ـ الأمر الذي يدل على تلفيق المعترضين للحقائق لغرض في نفوسهم.

اعتراض(21):" كان أهل بابل يعتقدون بثالوث مكون من أب وأم وابن".

الرد: فضلا عن أن عقيدة التثليث المسيحية لا تنص على أن الله هو أب وأم وابن، بل تنص الى أنه هو " الآب والإبن والروح القدس" الأمر الذي لا يدع مجالا لهذا الإعتراض، نقول إن أهل بابل لم يكونوا يعتقدون حتى بثالوث مكون من أب وأم وابن، مثل غيرهم من وثنيي الشعوب القديمة، بل بثالوث آخر يشغل الإبن فيه مركز الزوج لأمه (أي أنه ثالوث مكون من أم وابن هو في الوقت نفسه زوجها) إذ كانوا يعتقدون أن نمرود مؤسس مملكتهم قد تزوج من أمه سميراميس، فأصبح إلها.. هذا هو التثليث الذي يقول المعترضون إن المسيحيين اقتبسوا عقيدتهم منه!!

اعتراض (22):" كان الفُرس يعتقدون بإله مثلث الأقانيم هو أورمازدا الخالق ومتراث المخلص وإهرمان المهلك" كما أن كلا من الكلدانيين والصينيين واليابانيين كان لهم إله مثلث الأقانيم.

الرد: لم يكن أحد من الفُرس أو الكلدانيين أو الصينيين أو اليابانيين، أو غيرهم من الشعوب الوثنية القديمة، يؤمن بإله واحد مثلث الأقانيم (كما يقول المعترضون) لأن كل الوثنيين كانوا يؤمنون بآلهة متعددة. وبمر الأيام اكتفوا منها بإلهين أو ثلاثة أو أكثر، جعلوها أفضل من غيرها من الآلهة. وهذه الآلهة منفصل أحدها عن الآخر كل الإنفصال، ومختلف عنه أيضا كل الإختلاف ولذلك لا يُعقل مطلقا أن تكون عقيدة التثليث المسيحية مقتبسة من عقائد الوثنيين في آلهتهم.

كان الفُرس (بعكس ما يقول المعترضون) يعتقدون بإلهين رئيسيين، هما " أورمازدا" إله الخير و" إهرمان" إله الشر. والأول، كما يقولون، سيبقى الى الأبد والثاني سيزول نهائيا من الوجود. أما "متراث" الذي يقول عنه المعترض إنه واحد من ثالوث الفرس، فهو أحد آلهة المرتبة الثانية، التي كان الفرس يؤمنون بها، بجانب هذين الإثنين، ولكن شاء المعترض أن يزج باسم متراث معهما، ليوهم المسيحيين أن عقيدة التثليث التي يؤمنون بها، مقتبسة من وثنيي الفرس.

أما الكلدانيون فكان فريق منهم يعتقد بثلاثة آلهة هي "أنو" الرئيس الأعلى وسيد الظلام، و"بيل" أو "بال" خالق العالم وسيد الأرض والسماء، و"يا" إله العلوم والمعارف. وفريق آخر كان يعتقد بثلاثة غيرها هي "سين" القمر، و"شماس" الشمس، و(أراد) المناخ. وكان الصينيون يعتقدون بثلاثة آلهة، هي السماء والشمس والقمر، ثم اعتقدوا بثلاثة غيرها هي بوذا وذمة وسنجه، واعتبروا الأول مؤسس الديانة، والثاني نفس الديانة، والثالث هو الطائفة. وكان اليابانيون يعتقدون أن إله السماء أزاناجي تزوج أخته فولدت جزائر اليابان، ثم لقحها ببذور الآله، فأخرجت اليابانيين. أما الشمس فخرجت من عين أزاناجي اليسرى، والقمر من عينه اليمنى، والرياح والأمطار من عطسه. فهل بعد هذه الإقتباسات يوجد شخص عاقل يصدق أن عقيدة التثليث المسيحية مقتبسة من الديانات الوثنية؟

أما السبب الذي دعا بعض الوثنيين الى الإكتفاء بثلاثة آلهة، فيرجع كما يرى كل باحث مدقق، الى أنهم كانوا يعتقدون أن

العدد (3) هو أول عدد كامل. أما المسيحيون فلم يقتبسوا عقيدتهم من آراء البشر واصطلاحاتهم، بل من أقوال الوحي التي لا يأتيها الباطل. ومن باب المصادفة البحتة، تبين أن البشر يعتقدون أن العدد (3) هو أول عدد كامل.

فإذا أضفنا الى ذلك أن عقيدة التثليث المسيحية تختلف كل الإختلاف عن عقائد الوثنيين في آلهتهم، كما تختلف أيضا كل الإختلاف عن آراء الفلاسفة جميعا، وأن كل القرائن تدل على أن الرسل لم يقتبسوا شيئا من العقائد الوثنية أو الآراء الفلسفية، بل كانوا يسجلون تعليم المسيح وحده. اتضح لنا أن كل الإعتراضات السابقة لا نصيب لها من الصواب إطلاقا. وقد شهد بهذه الحقيقة الأستاذ عباس محمود العقاد، فقال:" فكرة الله في المسيحية، لا تشبهها فكرة اخرى في ديانات ذلك العصر الكتابية أو غير الكتابية". وقال أيضا:" روح المسيحية في إدراك فكرة الله، هي روح متناسقة تشفُ عن جوهر واحد، لا يشبهه إدراك فكرة الله في عبادة من العبادات الوثنية، فالإيمان بالله على تلك الصفة فتح جديد لرسالة السيد المسيح لم يسبقه إليها في اجتماع مقوماتها رسول من الكتابيين ولا غير الكتابيين، ولم تكن أجزاءً مقتبسة من هنا وهناك، بل كانت كلاما متجانسا من وحي واحد وطبيعة واحدة" (كتابه "الله" ص149، 154).

اعتراض (23):" اقتُبست عقيدة التثليث من آراء فيلون اليهودي الذي وُلد سنة 40 ق.م، لأنه كان يقول بوجود كائن يُدعى "الكلمة" يقرن الله بالمخلوقات، ويقرن المخلوقات بالله".

الرد: (أ) لم يرد ذكر أقنوم "الكلمة" الذي هو أحد أقانيم الثالوث الأقدس في الإنجيل وحده حتى كان يجوز الإدعاء بأن عقيدة التثليث مقتبسة من آراء فيلون، بل أن التوراة التي كانت في الوجود قبل فيلون بمئات السنين، ذكرت الشيء الكثير عنه، كما اتضح لنا في بداية الكتاب.

(ب) تنص عقيدة التثليث على أن الآب والإبن والروح القدس هم الله الواحد، وأن كلا من الآب والإبن والروح القدس له أقنوميته الخاصة. لكن فيلون كان يقول إن الكلمة ليس هو الله، بل هو مخلوق خلقه الله، وإنه ليس أقنوما بل هو العقل أو الفكر. فضلا عن ذلك فإنه لم يذكر شيئا عن الروح القدس إطلاقا، ولذلك لا يعقل أن تكون عقيدة التثليث، قد اقتُبست من آراء فيلون كما يقول المعترضون.

(ج) فضلا عن ذلك، فإن رأي فيلون في "الكلمة" هو رأي كثيرين من الفلاسفة في كل دين من الأديان. وكل ما في الأمر أن بعضهم كان يستعمل عوضا عن "الكلمة" عبارة "العقل المدبر للكون" أو عبارات مشابهة لها. ويرجع السبب في إجماعهم على التسليم بوجود هذا الكلمة أو العقل، الى اعتقادهم أن وحدانية الله مطلقة أو مجردة، لأنه إذا كانت هذه وحدانيته، فإنه يكون منزها عن الإتصال بالعالم مباشرة، لأن اتصاله به يجعله معرضا للتغير والتطور. وهذا دليل غير مباشر على أن كون الله ثلاثة أقانيم، أمر يتوافق مع ثباته.

اعتراض (24): " اقتُبست عقيدة التثليث من آراء أفلوطين، الذي عاش في القرن الثاني للميلاد، لأنه كان يقول إن الله أقانيم".

الرد: (أ) ليست عقيدة التثليث دخيلة على المسيحية، بل إنها صُلب رسالة التوراة والإنجيل معا.

(ب) لم يظهر أفلوطين إلا بعد انتشار المسيحية بقرنين، كان التثليث فيهما معروفا كل المعرفة عند المسيحيين، كما كان موضوع شهادة علمائهم ورجال الدين منهم.

(ج) اقتُبست عناصر فلسفة أفلوطين من فلسفة أفلاطون (ولذلك سُميت بالأفلاطونية الحديثة) كل ما في الأمر أنه استعار الإصطلاحات المسيحية واستعملها في التعبير عن الآراء التي اقتبسها منه.

(د) تختلف آراء أفلوطين عن عقيدة التثليث، لأنه نفى عن الأقنوم الأول الوجود الواقعي، فقال إنه ليس جوهرا، وإنه لا يتصف بصفة ولا يتصل بغيره. وفصل "الإبن" عن "الآب" إذ جعل " للإبن" جوهرا وصفات خاصة، كما جعل "الروح القدس" نفسا للعالم. وأكثر من ذلك جعل المادة أقنوما رابعا للاهوت، الأمر الذي يدل على أنه اقتبس آراء من أفلاطون، لأن هذا كان يعتقد أن المادة التي صُنع منها العالم أزلية. ولذلك لا يُعقل مطلقا أن تثليث المسيحية قد اقتُبس من آراء افلوطين.

اعتراض (25): " رسل المسيح هم الذين ابتدعوا عقيدة التثليث وأذاعوها بين الناس".

الرد: (أ) إن عقيدة التثليث أصلية في التوراة كما تبين لنا في الباب الأول. وعندما جاء السيد المسيح الى الأرض أعلن صدقها بكل وضوح وجلاء، كما تبين فيما سبق. فإذا أضفنا الى ذلك، أن هذه العقيدة ليس لها نظير في الطبيعة أو

مؤلفات أهل العالم على الإطلاق، كما قلنا في الرد على الإعتراضات، وأن الرسل كان يختلف بعضهم عن البعض الآخر في الطباع والثقافة والسن والنشأة والعمل، كما حلت بهم كثير من المحن والإضطهادات اضطرتهم الى التشتت في نواحي العالم المتعددة، اتضح لنا أنه لا يمكن أن يكونوا قد اتفقوا فيما بينهم على ابتداع عقيدة التثليث أو غيرها من العقائد المسيحية.

(ب) ولو فرضنا جدلا أن الرسل قد ابتدعوا عقيدة التثليث (كما يقول المعترضون) فهل من المعقول أنهم كانوا يجرؤون على إذاعتها، وهم يعلمون تمام العلم أنها تتعارض كل التعارض مع ما يتمسك به الناس من عقائد عن الله، وأنها أسمى من مداركهم سموا لا يستطيعون بلوغه على الإطلاق، وأنهم بذلك يعرضون أنفسهم لمقاومة هؤلاء الناس واضطهادهم، كما يعرضون كل تعاليم الإنجيل للرفض والمقاومة؟! الجواب: طبعا كلا. إذن فإذاعتهم لهذه العقيدة على الرغم من كل ذلك دليل على أنهم لم يبتدعوها، بل عرفوها من المسيح نفسه

كما أننا لو فرضنا أيضا جدلا أنهم ابتدعوها وأذاعوها على الرغم من كل هذه الموانع والعوائق، أما كانوا يحاولون البرهنة على صدقها بالأدلة التي كانوا يرونها كافية لإقناع الناس؟! الجواب: طبعا نعم. لكن إذا فحصنا الكتاب المقدس لا نعثر في عبارة واحدة منه على أية محاولة من هذا النوع. كما أننا إذا تأملنا جميع الآيات الخاصة بالتثليث، رأينا أنها لا ترد بأسلوب يلفت النظر إليها بصفة خاصة، أو يدل على أنها متعلقة بموضوع جديد، لا علاقة له بغيره من الموضوعات الكتابية، بل ترد بأسلوب الكتاب المقدس العادي، وفي حالة التوافق الكامل مع جميع موضوعاته الأخرى. وقد أشار الأستاذ العقاد الى هذه الحقيقة، فقال في كتابه "الله" ص141 "الإنجيل تدل على رسالة واحدة صدرت من وحي واحد". ولذلك ليس هناك مجال للظن بأن الرسل قد ابتدعوا هذه العقيدة كما يقول المعترضون.

(ج) أخيرا نقول، إن الرسل كانوا من اليهود، الذين تعلموا منذ نعومة أظافرهم أنه لا يوجد إلا إله واحد، وأن من يشرك به يُرجم في الحال بواسطة أهله وعشيرته (تثنية 10:13). لكن لما اتصلوا بالسيد المسيح، وشاهدوا كماله المطلق، وسلطانه الذي لا حد له على الموت والطبيعة، وسمعوا شهادته عن نفسه (يوحنا 35:8)، وشهادة السماء أيضا عنه أنه ابن الله، مرة عند المعمودية، وأخرى عند التجلي (متى 17:3، 5:17)، ثم رأوه في أواخر خدمته على الأرض قد غلب الموت الذي غلب الناس قاطبة، فقام من بين الأموات في اليوم الثالث، كما سبق وقال، وصعد بعد ذلك بجسده حيا الى السماء (أعمال 9:1)، مخالفا بذلك نواميس الطبيعة جميعا، واختبروا بعد صعوده عنهم حضوره بالروح معهم، وشفاءه للمرضى وإقامته للموتى على أيديهم، عندما كانوا يذكرون اسمه (أعمال 6:3، 10:4)، أيقنوا كل اليقين أنه "الإبن" أو "الكلمة" أو "الحكمة" الذي سبق وشهد الأنبياء عنه.

أما من جهة "الآب"، فقد سمعوا من السيد المسيح عنه، وعن علاقته به ووحدته معه في اللاهوت بكل صفاته وخصائصه، وعن محبته أيضا لهم واهتمامه بأمرهم (يوحنا 27:16). كما سمعوا صوت الآب، مرة عند المعمودية وأخرى عند التجلي (متى 16:3، 5:17) ولذلك أدركوا كل الإدراك أنه "تعين" آخر اللاهوت.

وكذلك "الروح القدس". فقد سمعوا من المسيح عنه وعن علاقته به ووحدته معه في كل شيء، وعن وجوب طاعتهم لإرشاده وتعليمه، كما سمعوا منه الوعد بمجيئه إليهم أو ظهوره لهم، ليكون فيهم يعلمهم ويرشدهم ويقدرهم على القيام برسالتهم (يوحنا 13:16- 16). وبعد صعود المسيح بعشرة أيام، اختبروا فعلا ظهور الروح القدس وحلوله عليهم، كما اختبروا بعد ذلك مواهبه وقوته، وتوجيهه لهم في دعوة الناس وهدايتهم (أعمال 2:13)، فأدركوا عمليا أنه عين ثالث للاهوت. ولذلك لم يشيروا إليه في حديثهم عنه بالكلمة المقابلة لـ"it" الإنجليزية، التي تُستعمل (فيما تُستعمل لأجله) للشيء العام أو المبهم، والتي كانت تُستعمل في أيامهم للروح عامة، بل أشاروا إليه بالكلمة المقابلة لـ"he" الإنجليزية، التي لا تُستعمل إلا للمذكر العاقل، على اعتبار أن الضمير المستعمل مع لفظ الجلالة "الله"، هو ضمير المذكر العاقل (إقرأ يوحنا 16:14، 17، 26، 26:15، 7:16، 8، في الأصل اليوناني في الترجمة الإنجليزية مثلا).

مما تقدم يتضح لنا أن الرسل فضلا عن أنهم لن يبتدعوا عقيدة التثليث، فإنه لم يكن أيضا يدور بخلدهم عندما بشروا وكتبوا عن "الآب والإبن والروح القدس" أنهم يثيرون معضلة فكرية، لأنهم كانوا يؤمنون بإله أو لاهوت واحد، كما يؤمن سائر اليهود المؤمنين. ومن الناحية الأخرى كانوا مقتنعين كل الإقتناع، بناء على اختبارهم الشخصي، أن هذا الإله الواحد أو اللاهوت الواحد، هو بعينه "الآب والإبن والروح القدس" كما سبق المسيح وأعلن لهم، ولذلك نادوا بالتثليث دون تردد ـ فالمسيح لم يفرض هذه العقيدة على الرسل فرضا، ولا هم آمنوا بها إيمانا أعمى (كما يُقال)، ولا هم ابتدعوها من عندياتهم كما يقول المعترضون، بل عرفوها من المسيح، واختبروا حقيقتها بأنفسهم مرات متعددة، وهذا دليل قاطع على صدقها.

اعتراض (26): " كيف يكون الآب إلها، والإبن إلها، والروح القدس إلها، ولا يكونون ثلاثة آلهة!"

الرد: إننا لا نؤمن أن الآب إله، والإبن إله، والروح القدس إله، حتى يصح الإعتراض بأننا نؤمن بثلاثة آلهة، بل نؤمن أن الآب هو الله والإبن هو الله والروح القدس هو الله. ولا مجال للإعتراض على ذلك إطلاقا، لأنه بما أن جوهر الآب (وهو اللاهوت) هو نفسه جوهر الإبن، وهو نفس جوهر الروح القدس، وبما أن اللاهوت أو الله واحد ووحيد ولا يتجزأ أو يتفكك على الإطلاق ـ إذن فلا غبار على القول إن كلا منهم هو الله، وإنهم معا هم الله. هذه حقيقة منطقية لا شك فيها، وإن كانت لا تتحقق في أي كائن من الكائنات المنظورة، وذلك بسبب تكونها من عناصر وأجزاء، إلا أنها تتحقق في ذات الله وتتوافق مع كماله كل التوافق، لأنه واحد ووحيد، وأقانيمه ليسوا أجزاء أو عناصر فيه، بل هم تعينه الخاص، أو بتعبير آخرهم عين ذاته.

اعتراض (27):" إذا كان جوهر الأقانيم واحدا، فلماذا يكونون ثلاثة؟".

الرد: هذا الإعتراض سبق الرد عليه في البداية، فقد قلنا إنهم واحد من ناحية الجوهر أو الذاتية، وثلاثة من ناحية التعين أو الأقنومية، ولا تناقض في ذلك على الإطلاق. أما لماذا كان الله ثلاثة أقانيم مع أنه جوهر واحد، فهذا سؤال لا يسأله عاقل، لأننا لا نعرف علل الأشياء جميعا، لا سيما ما كان منها فوق الطبيعة، لكن نعلم علم اليقين، إنه لولا أن الله أقانيم، لما كانت صفاته بالفعل، بل ولما كانت له صفات إيجابية إطلاقا، ولما كانت له تبعا لذلك أية علاقة مع خلائقه. هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى، لكان قيامه بالخلق (لوفرضنا جواز قيامه به، وهو على هذه الحال) أمرا ضروريا له، لجأ إليه ليبرز به صفاته، ولكان أيضا قد تعرض بسببه للتطور والتغير، كما قلنا في بداية الكتاب. فكون الله ثلاثة أقانيم هو من مستلزمات الكمال الذي يتصف به، لأنه على أساسه (إن جاز هذا التعبير) تكون صفاته بالفعل منذ الأزل، ويكون مستغنيا بذاته عن كل شيء سواها، ويكون ثابتا لا يتعرض للتغير أو التطور، عند قيامه بأي عمل من الأعمال.

اعتراض (28):" إن التثليث يجعل الله جنسا من الأجناس، أو نوعا من الأنواع، مع أنه لا شريك له".

الرد: الجنس، كما يقول رجال المنطق، هو كُلي ذاتي تندرج تحته أفراد (أو أصناف) مختلفة من جنسه. فالنبات جنس يشمل القطن والقمح والذرة وغير ذلك. والنوع هو كُلي ذاتي تندرج تحته أفراد (أو أصناف) متشابهة من نوعه. فالقمح مثلا نوع من أنواع النبات، يشمل أصنافا كثيرة مثل القمح الهندي والصعيدي والبحيري. وعلى ضوء هذه الحقيقة نقول: بما أن الله في ثالوثه ليس واحدا من أفراد متشابهة أو مختلفة، لأن ثالوثه ليس شيئا سوى ذاته عينها، لذلك لا يعتبر في ثالوثه جنسا من الأجناس أو نوعا من الأنواع.

اعتراض (29):" وكيف يكون الثلاثة أقانيم واحدا، مع أن لكل منهم عملا خاصا"!.

الرد: بما أن قيام أي أقنوم بعمل من أعمال اللاهوت لا يكون بالإستقلال عن الأقنومين الآخرين، بل بالإتحاد معهما، وذلك لوحدة جوهرهم، كما ذكرنا مرارا وتكرارا، لذلك ليس هناك أي تناقض بين قيام كل منهم بعمل خاص، وكونهم معا الله الواحد.

الصليـب

الدعوى بوجود آيات تنكر صلب المسيح، والرد عليها

يقول الذين يعتقدون أن المسيح لم يمُت أو يُصلب إن هناك آياتٍ في سفر المزامير وغيره من أسفار التوراة والإنجيل، تدل على أن المسيح لن يُصلب. فنبحث فيما يلي هذه الدعوى، لتتجلى لنا الحقيقة.

الآيات المساء فهمها في سفر المزامير ومعناها الحقيقي

قبل عرض هذه الآيات نقول:

أولا: إن المزامير ليست كلها نبوات عن المسيح (كما يقول صاحب الدعوى التي نحن بصددها) حتى يُقال إن كل آية فيها هي عن شخصه. بل إن المزامير بجانب احتوائها على نبوات عن المسيح تحتوي أيضا على أعمال الله في الخليقة كمزمور 19و 104 مثلا، وعن معجزاته التي عملها مع بني إسرائيل كمزمور 66و 68، وعلى ترانيم وصلوات لأشخاص مختلفين كمزمور 72، 140، 147و 150، وعلى حوادث تاريخية للأمم القديمة كمزمور 31و 78، وعلى وعظ وتعليم لكل الناس في كل العصور كمزمور 12و 119.

ثانيا: بعض الآيات الواردة في سفر المزامير عن الظروف التي اجتاز المسيح فيها، سُجلت عندما كان قائلوها يجتازون في ظروف مشابهة من بعض الوجوه للظروف التي اجتاز فيها له المجد. ولذلك فهذه الآيات يُراد بها التعبير إما عن أمور حدثت فعلا لقائليها، أو أمور تنبأوا بها عن المسيح نفسه. والقرينة هي التي تحدد من هو المراد بها.

ثالثا: كل آية من الآيات، سواء في المزامير أو غير المزامير، لا يمكن فهم معناها إلا بالإرتباط مع الآيات السابقة واللاحقة لها، ولذلك يجب أن لا ندرس آية بالإستقلال عن هذه أو تلك.

ونورد في ما يلي الآيات المُساء فهمها، ونشرحها بما يتفق مع القرائن الخاصة بها:

1 - "الآن عرفتُ أن الرب مُخلصُ مسيحهِ" (6:20). و"الربُ..حصنُ خلاص مسيحِهِ هُو" (8:28). و"لا ترُد وجه مسيحِك"(10:132).

الشرح: الإصطلاح "مسيح الرب" لا يُراد به المسيح يسوع وحده حتى كان يجوز القول إن أي آية ورد بها هذا الإصطلاح يُقصد به فيها شخصه، بل يراد به كل إنسان مُسح (أي عين تعيينا رسميا) في إحدى الوظائف الرئيسية. فداود النبي (مثلا) الذي كتب الشطر الأكبر من المزامير كان يُدعى "مسيح الرب" (2صموئيل 1:23). فلا يجوز اتخاذ الآيات التي نحن بصددها نبوة عن المسيح يسوع وحده، أو دليلا على أنه لم يمُت، لأن داود الذي دُعى "مسيح الرب" مات.

وإذا كان الأمر كذلك، فإننا إذا طبقنا هذه الآيات على داود النبي، نرى أن الله خلصه حقا من ضيقات كثيرة (2صموئيل22). وإذا طبقناها على المسيح نرى أن الله أقامه من الأموات، وبدد آمال اليهود ونواياهم السيئة من جهة القضاء عليه وعلى رسالته في العالم.

غير أن هناك فرقا شاسعا بين "المسيح" كإسم شخص، وبين "المسيح" كمجرد لقب، وهذا الفرق يتضح تماما في اللغات الأجنبية، ففي الإنجليزية (مثلا) ترد الكلمة الأولى بدون أداة تعريف أي Christ فقط، أما الكلمة الثانية فترد مسبوقة بأدات تعريف أي The Christ. والكلمة الأولى يُراد بها "يسوع المسيح" وحده لأن هذا هو اسمه الشخصي. لكن الكلمة الثانية يراد بها كل شخص عينه الله (أي مسحه) لتأدية مهمة خاصة.

2 - " لأنكَ لن تتركَ نفسي في الهاوية. لن تدع تقيكَ يرى فسادا" (مزمور 10:16).

الشرح: بالرجوع الى الكتاب المقدس يتضح لنا أن المراد بالهاوية ليس السجن أو البئر (كما يُستنتج من أقوال صاحب هذه الدعوى)، بل مقر الأرواح بعد خروجها من أجسادها. وأن المراد بالفساد ليس العار أو الآلام (كما يُستنتج من أقواله) بل العطب الذي يصيب الأجساد بعد موتها. وإذا كان الأمر كذلك، فإن الآية التي أمامنا لا تدل على أن المسيح لم يمُت، بل بالعكس تدل على أنه قد مات. لكن لإختلافه عن كل الناس من جهة ذاته والغرض من موته الذي هو الفداء، لم يترك الله نفس المسيح في الهاوية الى يوم القيامة (مثل نفوس الذين يموتون)، ولم يسمح أيضا بأن يرى جسده فسادا في القبر مثل أجسادهم. بل أعاد نفسه من الهاوية الى جسده في اليوم الثالث، فقام من الموت، وصعد به بعد ذلك الى السموات.

وقد أعلن لنا العهد الجديد أن المكان الذي كان يُطلق عليه في العهد القديم "الهاوية" (أو مقر الأرواح)، ينقسم الى قسمين: الأول خاص بأرواح الأبرار، ويُسمى الفردوس أو السماء الثالثة (2كورنثوس 2:12، لوقا 43:23)؛ والثاني خاص بأرواح الأشرار ويُسمى السجن (1بطرس 19:3). ومن ثم فإن نفس المسيح البشرية قد انتقلت بعد موته الى الفردوس (لوقا 42:23). لكن لأن داود النبي الذي كتب النبوة التي نحن بصددها عاش في العهد القديم، كان من البديهي أن يستعمل الإصطلاح الذي كان معروفا في هذا العهد، وهو الهاوية، أي مقر الأرواح عامة. و" الهاوية" بالعبرية "شيئول" أي "سؤال". وكان اليهود يطلقون عليها هذا الإسم لأنهم كانوا لا يعرفون شيئا عنها، فكانوا يقفون إزاءها موقف التساؤل.

3 - " أيضا رجُلُ سلامتي الذي وثقتُ به، آكِلُ خُبزي رفع عليَّ عقبهُ! أما أنت يا ربُ فارحمني وأقمني فأجازيهُمْ" (9:41، 10). و" يجعلون في طعامي علقما، وفي عطشي يسقُونني خلا.. خلاصُك يا اللهُ فيرفعني" (21:69، 29). و" من الضيقِ دعوتُ الرب فأجابني من الرحب.. كل الأمم أحاطوا بي.. باسم الرب أبيدُهُم.. الحجر الذي رفضهُ البناؤون قد صارَ رأسَ الزاوية" (5:118, 22,10).

الشرح: الآية الأولى تتنبأ عن خيانة يهودا الإسخريوطي للمسيح، والثانية عن تقديم الأعداء للمسيح خلا ومرا، والثالثة عن جعل الله إياه بعد قيامته من الأموات "الملك العام" على العالم و"الديان الوحيد " له. وجعله أيضا الرأس الروحي للمؤمنين الحقيقيين، والواسطة التي تربط بعضهم بالبعض الآخر بوصفهم هيكل الله وبناءه الروحي (1كورنثوس19:6). وقد أشار بطرس الرسول الى مقام المسيح الذي ذكرناه، فقال لكهنة اليهود عنه:" هَذا هُو الحجرُ الذي احتقَرتُمُوهُ أيها البناؤونَ الذي صار رأسَ الزاوية" (أعمال 11:4). ومن ثم فإن قول المسيح في الآية الأولى "ارحمني وأقمني فأجازيهم"، وقوله في الثالثة "باسم الرب أبيدهم" سيتحققان عندما يقيمه الله ملكا على العالم وديانا لكل الساكنين فيه في الأيام الأخيرة.

أما ما جاء في الآية الثانية " خلاصك يا اللهُ فليرفعني" فيمكن أن ينطبق على المسيح كما ينطبق على كاتب المزمور. فإذا طبقناه على كاتب المزمور وهو داود نرى أن الله خلصه من أعدائه ورفعه فوقهم مرات متعددة (2صموئيل2). وإذا طبقناه على المسيح لا يكون المراد به أنه لم يمُت، بل أنه قام من بين الأموات، لأن تناوله للعلقم والخل، ورفض البنائين (أي رجال الدين اليهود) إياه، كما هو وارد في الآيتين الأخيرتين، دليلان واضحان على احتماله للآلام الخاصة بالصلب.

4 - " لماذا ارتجتِ الأممُ وتفكرَ الشعُوبُ في الباطل؟ قام مُلوكُ الأرض وتآمر الرؤساءُ معا على الرب وعلى مسيحه قائلين:" لنقطع قُيودهُما، ولنطرح عنا رُبُطهما".. الرب يستهزئُ بهم. أما أنا فقد مسحتُ ملكي على صهيون جبل قُدسي" (2:1- 6). و"أرسل من العُلى فأخذني. نشلني من مياهِ كثيرة. أنقذني من عدُوى القوىُ.. تجعلني رأسا للأمم. شعب لم أعرفهُ يتعبدُ لي" (16:18، 17، 43).

الشرح: (أ) إذا نظرنا الى الآية الأولى في ضوء ما سجله الكتاب المقدس عن تصرفات الأشرار إزاء الله، نرى أنهم ثاروا ضده وضد المسيح معا، إذ أهانوا المسيح وقتلوه. لكن هذه الثورة لم تكن إلا مثالا لثورة أخرى سيقومون بها في الأزمنة الأخيرة، عندما ينتشر الكفر والإلحاد في العالم (2تسالونيكي 2:1- 9). غير أن موقف الله إزاء الأشرار في هذه المرة سوف لا يكون مثل المرة السابقة، إذ أنه سوف يقضى عليهم قضاء تاما بواسطة المسيح الذي سيقيمه ملكا عليهم وعلى العالم بأسره.

(ب) أما من جهة الآية الثانية، فإنها تنطبق على المسيح وتنطبق على داود النبي ايضا، فداود انتشله الله من ضيقات كثيرة وأنقذه من عدوه جليات الجبار، كما أنقذه من شاول العاتي (1صموئيل17و31) وأخيرا جعله ملكا عظيما خضع له أهل بلاده والبلاد الأخرى معا. والمسيح أقامه الله من بين الأموات ونصره على اليهود، وعلى الشيطان الذي كان يسيطر عليهم (كولوسي 15:2). كما أن الله عتيد أن يقيم المسيح ملكا على العالم حتى يتعهد له ليس الذين يعرفونه فحسب، بل والذين لا يعرفونه أيضا. فهاتان الآيتان لا تدلان على أن المسيح لم يُصلب.

5 - "يا بني البشر حتى متى يكونُ مجدي عارا! حتى متى تُحبون الباطل وتبتغُون الكذب!. فاعلمُوا أن الرب قد ميز تقيهُ. الرب يسمعُ عند ما أدعُوه" (2:4، 3) و"ارحمني يا ربُ. انظر مذلتي من مُبغضيَّ، يا رافعي من أبواب الموتِ" (9:13) و" فإني فقيرٌ ومسكينٌ أنا، وقلبي مجرُوحٌ في داخلي.. وأنا صرتُ عارا عندهُم.. لأنهُ يقومُ عن يمين المسكين ليُخلصهُ من القاضين على نفسهِ" (22:109، 25، 31).

الشرح: هذه آيات عامة، تنطبق على داود وعلى المسيح كما تنطبق على كل شخص يتواضع أمام الله ويرفع عينيه إليه طالبا العون منه. فإذا طبقناها على داود نرى أنه عندما طُرد من عرشه واحتقره الناس وأحاطوا به ليقتلوه، تذلل أمام الله وبكى كثيرا، فسمع الله صراخه وأعاده الى مُلكه (2صموئيل 20:15). وإذا طبقناها على المسيح من جهة ناسوته، يكون المراد بها أن الله رفعه من القبر الذي هو باب الموت، وصعد به بعد ذلك الى السماء معطيا إياه اسما فوق كل اسم (فيلبي9:2). فهذه الآيات لا تدل أيضا على أن المسيح لم يُصلب.

6 - " معرُوفٌ هُو الرب. قضاء أمضى. الشريرُ يعلقُ بعمل يديهِ" (16:9). و"مع الأعوج تكونُ (يا الله) مُلتويا" (26:18). و"كرا جبا. حفرهُ فسقط في الهُوة التي صنع. يرجعُ تعبُهُ على رأسهِ، وعلى هامتِهِ يهبطُ ظلمُهُ" (15:7، 16).

و"الشرير فديةُ الصديق" (أمثال 18:21).

الشرح: الآيات الثلاث الأولى يمكن أن تنطبق على كل شرير في العالم، لكن ليست بها أية إشارة تدل على أن يهوذا صُلب عوضا عن المسيح. بل إذا طبقناها على يهوذا نرى أنها تحققت في عدم انتفاعه بالفضة التي أخذها من الكهنة، وفي خنقه لنفسه وانسكاب أحشائه بعد ذلك (أعمال 18:1).

أما عن الآية الأخيرة فنقول: حقا إن حياة الصديق غالية عند الله، وهو ينجيه من كل شر يتعرض له في العالم. ولكن هذه الحقيقة لا تنطبق على المسيح لأنه كان قد عقد النية على أن يقدم نفسه كفارة عن الخطاة، لكي لا يهلك كل من يؤمن منهم به إيمانا حقيقيا، بل تكون له الحياة الأبدية (يوحنا 16:3). فإذا رجعنا الى تاريخ المسيح نرى أنه كان من الميسور لديه أن يتجنب الصلب بطرق متعددة، إما الإختفاء عن اليهود كما فعل مرة قبل الصلب عندما وجد أن ساعة انطلاقه من العالم لم تكن قد جاءت بعد (يوحنا 59:8)، أو باستدعاء جيش من الملائكة لتقضى على أعدائه جميعا (متى 23:26)، أو بالكف عن المناداة بأنه ابن الله، أو بعدم توبيخ رجال الدين على شرورهم وآثامهم، أو بالإنطلاق الى السماء مباشرة دون أن يذوق الموت - والسماء كانت ترحب به في أي وقت أراد، لأنها موطنه الذي هبط منه.. ومع ذلك تقدم الى الصليب بخطوات راسخة ثابته، بالرغم من المحاولات الكثيرة التي كان تلاميذه يقومون بها لمنعه من الذهاب إليه (يوحنا 8:11).

7 - " فأقم أنت عليهِ شريرا، وليقف شيطانٌ عن يمينهِ. إذا حُوكِم فيخرُج مُذنبا، وصلاتهُ فلتكنْ خطية. لتكن أيامُهُ قليلة، ووظيفتُهُ ليأخُذها آخرُ. ليكن بنوهُ أيتاما، وامرأتهُ أرملة" (6:1109 - 9).

الشرح: هذه النبوة تنطبق على يهوذا وحده، فقد مات في ريعان الشباب، وأخذ وظيفته آخر (أعمال 25:1)، لكنها لا تدل على أنه صُلب عوضا عن المسيح.

8 - " أما أنا فَدُودةٌ لا إنسانٌ. عارٌ عند البشر ومُحتقرُ الشعب. ثقبُوا يديَّ ورجلي" (6:22، 16).

الشرح: هذه الآية ليست عن يهوذا بل عن المسيح، لأنه وإن كان عظيما في ذاته، لكنه كان في نظر الأشرار الذين لم يستطيعوا إدراك شيء عن شخصيته، فكان محتقرا ومرذولا وكدودة لا إنسان. ولا غرابة في ذلك، فإن هؤلاء يحتقرون الحكمة (كما قال الحكيم في أمثال 7:1) فرفضوا المسيح وفضلوا عليه باراباس المجرم (لوقا 18:23). وأصحاب هذه الدعوى أنفسهم اقتبسوا الآيات الواردة في (مزمور 13:9و 23:109- 31)، والتي يسند فيها قائلها الى نفسه المذلة

والفقر والعار، وقالوا إنها نبوة عن المسيح. فإذا رجعنا الى المزمور المقتبسة منه الآية التي نحن بصددها، نرى أن هذا الشخص كان الله قد جعله في طفولته مطمئنا على ثديي أمه، وفي رجولته كان يخبر إخوته باسم الرب، ويسبحه في وسط الجماعة العظيمة (أي المؤمنين في كل العالم). وأعمال مثل هذه لا تُسند الى يهوذا بل الى المسيح بوصفه الإنسان الكامل الذي تمم مشيئة الله بعمل الخلاص من عقوبة الخطية وسلطانها لكل الناس. فيكون هو الذي صُلب وليس يهوذا.

9 - إن كل ما جاء في مزمور 22 هو نبوة صحيحة عن الصلب، وإن كل ما كتبه البشيرون الأربعة عن المصلوب مستشهدين بالآيات الواردة في هذا المزمور، هو صحيح أيضا. ولكن المصلوب لم يكن المسيح بل كان يهوذا.

الشرح: فضلا عن أن الآيات الواردة في المزمور المشار إليه لا تنطبق على يهوذا بل على المسيح، كما اتضح لنا في البند السابق، نقول إن هذا المزمور ينتهي بالقول:" أخبر باسمك (يا لله) إخوتي. في وسط الجماعة أسبحُكَ.. يأ كلُ الودعاءُ ويشبعُون.. وتسجدُ قُدامك كلُ قبائل الأمم.. يأتُونَ ويُخبرون ببره". وهذا يدل على قيامة هذا الشخص بعد موته، وإعلانه لإخوته (أي للمؤمنين الحقيقيين به) عن مقاصد الله الصالحة من نحوهم، وقيادتهم بعد ذلك لتقديم الحمد والشكر لله. كما يدل على إفادة (أو شبع) هؤلاء المؤمنين بنتائج كفارته وتقديمهم السجود لله من أجلها. ثم مناداتهم بعد ذلك ببره الذي آل إليهم بفضل هذه الكفارة، مما يدل على أن الشخص المذكور هو المسيح وليس يهوذا.

10 - إن مزمور 69 الذي تحدث عن الصلب يفيض بروح اليأس مما يدل على أن المصلوب كان يهوذا وليس المسيح.

الشرح: هذا المزمور لا يفيض بروح اليأس، كما يقول، بل يفيض بروح الفداء والتضحية لأجل مجد الله، فقد جاء به

" حينئذٍ رددتُ الذي لم أخطفهُ". و" لأني من أجلك احتملتُ العار.. لأن غيرة بيتك أكلتني وتعييرات مُعيريك وقعت عليَّ". كما يفيض مزمور 69 بروح الرجاء، فقد جاء به:"لا يبتلِعني العُمق ولا تُطبق الهاويةُ على فاها" و"خلاصك يا اللهُ فليرفعني". ويفيض بروح الفرح أيضا فقد جاء به "خلاصُك يا اللهُ فليرفعني". اسبحُ اسم الله بتسبيح وأعظمهُ بحمدٍ.. تُسبحهُ السماواتُ والأرضُ البحار وكل ما يدبُ فيها". وهذه العبارات لا تصدر من يهوذا، بل من المسيح دون سواه، فهو وحده الذي لم يخطف شيئا (أي لم يتعد على حق من حقوق الله)، ومع ذلك بموته الكفاري وفي عدالة الله كل حقوقها. وهو وحده الذي كان يُهان من أجل حق الله. وهو وحده الذي كان يغار على مجده تعالى. وهو وحده الذي خرجت روحه من الهاوية بعد ما مات، وعادت الى جسده الكريم، فقام من الأموات ظافرا منتصرا.

الآيات المُساء فهمها في الأسفار الأخرى، ومعناها الحقيقي

1 - قال المعترض إن بولس الرسول قال عن المسيح:" الذي، في أيام جسدهِ، إذ قدم بصُراخ شديد ودُمُوع طلباتٍ وتضرُعاتٍ للقادر أن يُخلصهُ من الموت، وسُمع لهُ من اجل تقواهُ" (عبرانيين 7:5).

الشرح: حرف الجر المترجم "من" في هذه الآية، يرد في اللغة اليونانية (اللغة الأصلية التي كُتب بها العهد الجديد Ex. وهذه الكلمة لا يراد بها النقل من موضع في الخارج الى آخر في الخارج، بل من موضع في الداخل الى آخر في الخارج. وهذا المقطع لا يزال يستعمل في كثير من اللغات الأوربية بهذا المعنى بعينه، ولذلك يرد في الترجمة الإنجليزية (مثلا) للآية التي نحن بصددها out of وليس from أو away from. ومن ثم فإن الآية التي نحن بصددها لا تدل على أن الله أبعد الموت عن المسيح عندما كان حيا على الأرض، بل تدل على أنه بعدما مات ودفن أخرجه الله من القبر حيا كما كان. فإذا أضفنا الى ذلك أن بولس الرسول سجل بعد هذه العبارة مباشرة أن المسيح " مع كونهِ ابنا تعلم الطاعة مما تألم بهِ.." كما سجل في الرسالة الواردة بها العبارة المذكورة، وفي غيرها من الرسائل عشرات الآيات عن صلب المسيح لا يبقى هناك مجال للإعتراض بالآية التي نحن بصددها.

2 - وقال المعترض إن إشعياء النبي قال:" من صدق خبرنا، ولِمن استُعلنت ذراعُ الرب؟ لا صُورة لهُ ولا جمال فننظر

إليه، ولا منظر فنشتهيه. مُحتقرٌ ومخذولٌ من الناس. رجلُ أوجاع ومُختبر الحُزن" (إشعياء 53:1- 7). وهذا دليل على أن يهوذا الإسخريوطي رأى ذراع الرب وهي ترفع المسيح الى السماء. وأما أعلن للناس ما رآه، لم يصدقه واحد منهم، أما هو فقد تاب عن سعيه لقتل المسيح، وكفر عن سعيه هذا بتقديم نفسه لليهود لكي يصلبوه عوضا عن المسيح.

الشرح: سنبحث هذه الدعوى بالتفصيل في الباب التالي، فنكتفي بالقول:

(أ) هذه الآيات ليست عن يهوذا الإسخريوطي، بل عن المسيح نفسه، لأن الأصحاح المقتبسة منه الآيات المذكورة يعلن لنا أن الشخص الوارد ذكره فيها " يعقل ويتعالى ويرتقي ويتسامى جدا، وأنه يبرر كثيرين ويحمل آثامهم، كما يشفع في المذنبين أيضا. ثم إنه لم يفعل ظلما ولم يكن في فمه غش، وأن مسرة الرب بيده تنجح، وأنه من تعب نفسه يرى ويشبع. وأخيرا فإنه من أجل اسمه يسد ملوك أفواههم "(إشعياء 52، 53). وهذه الصفات والأعمال لا تُسند الى يهوذا بل الى المسيح.

أما وصفه بأنه " لا صورة له ولا جمال" فليس من وجهة نظر الله إليه، بل من وجهة نظر الأشرار، لأنهم لم يعرفوا حقيقة المسيح أو الغرض من موته، بل ظنوا أنه شخص مجدف، ففضلوا بارباس القاتل عليه.

(ب) وهكذا الحال مع عبارة " من صدق خبرنا؟" فلا يمكن أن تكون لسان حال يهوذا الإسخريوطي (كما يقول المعترض) لأنه لم يكن ليتكلم عن نفسه بصيغة الجمع، أو كان له شرف التحدث بإسمه وبإسم الله معا. بل إن العبارة المذكورة هي لسان حال إشعياء النبي (كاتب الآيات التي نحن بصددها) حال كونه متوافقا مع الله في موقفه إزاء الناس الذين لم يؤمنوا بأقواله، لأنهم رفضوا المسيح الذي أرسله إليهم على الرغم من معجزاته التي تثبت حقيقة شخصيته. كما أن العبارة " ولمن استُعلنت ذراع الرب" لا يراد بها أن الله أعلن ذراعا له (كما يقولون) لأن الله ليست له ذراع بالمعنى المادي، بل يراد بها أن الله أعلن لنا قوته المخلصة من الخطية بواسطة المسيح. لكن لم يدرك هذه الحقيقة إلا القليلون.

3 ـ قال المعترض:" ذكر الإنجيل أن الجنود سقطوا أمام المسيح" (يوحنا 7:18)، وأن المسيح لم يُلقِ أحد عليه الأيدي (يوحنا 44:7) وأنه غلب العالم (يوحنا 33:16) وأنه في أواخر حياته ذهب الى الآب (يوحنا 5:16 و28). فيكون تلاميذه قد شُبه لهم أن المسيح صُلب ومات. ومما يثبت ذلك أنه قال لهم من قبل " إن كلكُم تشُكون فيَّ في هذه الليلة" (مرقس 27:14).

الشرح: فضلا عن أن حادثة صلب المسيح صادقة كل الصدق كما اتضح لنا مما سلف، الأمر الذي لا يدع مجالا للإعتراض الذي نحن بصدده، نوجه نظر القراء الى أنه لا يجوز في البحث أن نقتبس آية ونغض الطرف عن آية بعدها، أو نفهم آية بغض النظر عن القرينة الخاصة بها. وإذا كان الأمر كذلك نقول:

حقا إن الجنود سقطوا أمام المسيح متأثرين بهيبته، لكن بعد ما قاموا سلم نفسه لهم بإرادته (يوحنا 8:18). وعدم إلقاء أحد الأيدي على المسيح لم يكن في خاتمة حياته على الأرض، بل كان في أولها (يوحنا 44:7). لكن لما علم المسيح أن ساعته أتت لينطلق من العالم سلم نفسه للصلب بإرادته كما ذكرنا سابقا. فضلا عن ذلك فإن انتصاره على العالم لم يكن الإنتصار المادي، بل الإنتصار الروحي، لأن أسلحته لم تكن مادية بل روحية، الأمر الذي لا يتصف به سواه. وأن ذهابه الى الآب قد تم فعلا (أعمال 9:1- 11)، ولكن بعد ما مات كفارة عن الخطية كما أراد، وقام بعد ذلك من بين الأموات. وإن قوله لتلاميذه " كلكم تشكون فيَّ هذه الليلة" لا يراد به (كما يتضح من القرينة) أنهم يشكون في كونه يسوع المسيح، بل في كونه المسيا المرسل من الله، لأنهم كانوا يتوقعون أن يكون المسيا شخصا جبارا يخلصهم بقوته من سلطة الرومان التي كانوا يرزحون تحتها (لوقا 18:24 ـ 20). لكن خاب أملهم لأنه جاء وقتئذ ليس للمُلك بل للفداء. ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك، إذ أنه لا مجال للأول إلا بعد إتمام الثاني.

4 ـ قال المعترض:" ليس من المعقول أن المصلوب كان هو المسيح، لأن المصلوب ملعون (تثنية 23:21)، والمسيح لا يلعن. كما أن المصلوب صرخ قائلا:" إلهي إلهي، لماذا تركتني؟" (متى 46:27)، والله لا يترك المسيح لأنه بار. فضلا عن ذلك فإن بطرس الرسول حلف أنه لا يعرف الشخص الذي كان يُحاكم أمام رؤساء الكهنة (لوقا 56:22)، وبطرس الرسول بوصفه أعظم تلاميذ المسيح لا بد أنه كان صادقا في ما قاله. كما أن قيافا كان نبيا (يوحنا 51:11)، فلا يمكن أن يكون قد حكم على المسيح بالصلب، وأخيرا إن يهوذا الإسخريوطي كان تلميذا للمسيح، كما أنه كان أمينا لصندوقه (يوحنا 29:13) فلا يمكن أن يكون قد سلمه لليهود، بل لا بد أنه ضحى بحياته من أجله. أضف الى ذلك أن المسيح المشهور بالمحبة والعطف على تلاميذه، لم يكن ليسمح ليهوذا بأن يرتكب جريمة تسليمه لليهود، التي يذكرها الكتاب المقدس".

الشرح: (أ) حقا إن المسيح لا يُلعن بل هو مبارك الى الأبد (رومية 5:9)، كما أن الله لا يتركه على الإطلاق لكماله الذي ليس بعده كمال. بل نحن الذين نستحق اللعنة بسبب مخالفتنا لشريعة الله، كما نستحق أن يتركنا الله الى الأبد لهذا السبب أيضا (غلاطية 10:3). لكن نظرا لأن المسيح رضى في نعمته الغنية أن يحمل على نفسه خطايانا بكل نتائجها عوضا عنا، لذلك صار على الصليب لعنة لأجلنا (غلاطية 13:3) ليرفع عنا هذه اللعنة. كما أن الله تركه لنتمتع نحن بالقبول أمامه تعالى الى الأبد.

(ب) أما من جهة ما قيل عن بطرس وقيافا وغيرهما، فإن البشر مهما سمت حياتهم الروحية أو علت مراكزهم الدينية، ليسوا معصومين من الخطأ، بل معرضين للسقوط فيه في أي وقت، فبطرس أنكر معرفته بالمسيح خشية أن يقتل معه. وقيافا لم يكن يؤمن مع أتباعه أن يسوع هو المسيا بعينه (يوحنا22:9) لأنه وإياهم رأوه وديعا سخيا وليس جبارا عتيا، حسب اعتقادهم في المسيا. كما أننا إذا رجعنا الى نبوة قيافا، نرى أنها لا تنبئ عن عدم موت المسيح، بل بالعكس تنبئ عن موته عن الأمة ليجمع أبناء الله المتفرقين الى واحد (يوحنا 52:11).

كما أن نبوته هذه لا تقوم دليلا على أنه كان رجلا صالحا في نظر الله، كلا! بل لأنه بحكم مركزه فقط، كان رئيسا للكهنة. ورئيس الكهنة هو الشخص الذي كان الله يعلن له مقاصده، وكان بدوره يعلنها للناس لكي يفيد منها المستعدون للإستفادة. فمثل قيافا مثل الوعاظ الأشرار الذين بحكم وظائفهم يحثون البشر على التوبة، فيتوب منهم من يتأثر قلبه بالوعظ ويتمتع برضى الله. أما هؤلاء الوعاظ فسيهلكون الى الأبد.

(ج) كما أن المسيح لم يمنع يهوذا من أن يسلمه لليهود لأن الله خلق الناس بإرادة حرة، لكي يُكافأوا عن خيرهم وأن يُعاقبوا عن شرهم، إذ لو كان يرغمهم على عمل الخير والإمتناع عن الشر لما استحقوا ثوابا أو عقابا، ولكانوا أقرب الى الآلات منهم الى الخلائق العاقلة. فضلا عن ذلك فإن المسيح عامل يهوذا هذا بكل شفقة وعطف، فأعطاه أمانة الصندوق ليضع حدا لجموحه وأطماعه، كما غسل رجليه مثلما فعل مع باقي التلاميذ (يوحنا 13) ليعلن له أنه يحبه كما يحبهم تماما. ولما لم تُجدِ فيه هذه المعاملة الطيبة، تركه وشأنه ليحصد نتائج عمله الشنيع. وهذه هي المعاملة التي يعامل الله بها البشر جميعا.

5 - قال المعترض: تغيرت هيئة المسيح في أواخر حياته على الأرض فلم تستطع مريم المجدلية (يوحنا 13:20، 14) أو تلميذا عمواس (لوقا 31:24) أو نفر من تلاميذه (يوحنا 5:21) أن يعرفوه. فلا يكون هناك دليل قاطع على أنه هو الذي صلب.

الشرح: إن المعترضين، كعادتهم المعروفة، يقتبسون الآيات بغض النظر عن قرائنها، لكي يؤيدوا دعواهم، وبالرجوع الى الكتاب المقدس نرى أن الآيات المذكورة في الإعتراض لا تعبر عن أمور حدثت عند الصلب أو قبله حتى كان يجوز القول بصدق هذه الدعوى، بل تعبر عن أمور حدثت بعد قيامة المسيح من بين الأموات. والمسيح فضلا عن أنه قام من بينهم بجسد القيامة الذي لم يعهد أحد مثله من قبل، فإن الأشخاص المذكورين في الإعتراض كانوا في حالة لا تسمح لهم بمعرفة المسيح لأول وهلة. فمريم المجدلية كانت عيناها مغرورقتين بالدموع، وتلميذا عمواس كان يسود عليهما الحزن بسبب موت المسيح وعدم تصديقهما وقتئذ أنه قام من بين الأموات، والتلاميذ المذكورون كانوا مضطربين وسط البحر لعدم اصطيادهم شيئا من السمك بالرغم من بقائهم ساعات طويلة هناك .. أضف الى ذلك أنهم بسبب عدم رؤيتهم للمسيح مدة طويلة بعد قيامته من الأموات، اعتقدوا أنه صعد الى السماء ولا يمكن أن يظهر لهم بعد ويتحدث معهم كما كان يتحدث من قبل.

ومع كل فإن مريم عرفته عندما ناداها بإسمها كما كان يفعل من قبل؛ وتلميذا عمواس عرفاه عندما شرح لهما الكتاب بدقته المعهودة، وأبصرا بعد ذلك آثار الجروح في يديه عندما رفعهما بالشكر قبل تقديم الخبز لهما؛ وباقي التلاميذ عرفوه عندما وجدوا في المكان الذي حدده لهم قدرا من السمك لم يكن يخطر لهم ببال؛ كما عرفوه من قبل في العلية عندما أبصروا آثار الجروح في يديه وجنبه، وسمعوا صوته الذي ألفوه وتعليمه الذي اعتادوا عليه (لوقا 36:24- 38 ويوحنا 19:20- 29). فهذا الإعتراض لا مجال له على الإطلاق.

6 - قال المعترض إن إسحاق كان رمزا الى المسيح. وبما أن إسحاق لم يُذبح فعلا (كما ورد في تكوين 12:22)، لا يكون المسيح قد صُلب فعلا. وهكذا الحال من جهة إبراهيم، فبما أن تقديمه ابنه على المذبح كان مجرد امتحان (تكوين 1:22) لكي تظهر طاعته لله، لذلك فإن تعريض المسيح للصلب كان مجرد امتحان أيضا له، حتى تتجلى طاعته هو كذلك لله. غير أن الله لم يعلن للمسيح أنه سيمتحنه، كما أخفى عن ذاكرته ما تنبأت به المزامير من جهة رفعه الى

السماء، دون أن يذوق موت الصليب، لكن يكون الإمتحان قانونيا.

الشرح: (أ) فضلا عن أن صاحب هذا الإعتراض جعل إسحاق رمزا للمسيح، ثم بعد ذلك جعل إبراهيم رمزا له، الأمر الذي يدل على خلطه للأمور في سبيل تأييد آرائه، نقول: وإن كان إسحاق رمزا للمسيح، لكن يجب أن لا يفوتنا ان الرمز لا يكون مثل المرموز إليه من كل الوجوه، وإلا لكان الأول هو نفسه الثاني. ولذلك نرى أنه بينما وُلد المسيح من عذراء، ولم يتخذ لنفسه زوجة عندما كبر، فإن إسحاق وُلد من أب وأم واتخذ له زوجة وأنجب منها بنين. وبينما كان المسيح يناقش رجال الدين وهو لا يزال في الثانية عشرة من عمره، وكانت له رسالة خاصة أذاعها بين معاصريه أيدها بالمعجزات، فإن إسحاق لم تكن له رسالة مثل هذه، ولا قام بمعجزة من المعجزات. فمن الخطأ أن يقال " نظرا لأن إسحاق الذي كان رمزا للمسيح لم يذبح، لا يكون المسيح قد صُلب". طالما أن هناك أدلة متعددة تثبت أنه صُلب فعلا.

فإذا رجعنا الى الكتاب المقدس، نرى أن الرمز الواحد كثيرا ما كان يعجز عن تكوين صورة كاملة للمرموز إليه. وفي هذه الحالة كان يُضاف إليه رمز آخر، حتى يكونا معا هذه الصورة. لذلك نرى في الحادثة التي أمامنا، أنه بعد ما توقف إبراهيم عن ذبح إسحاق، ذبح كبشا عوضا عنه، فيكون إسحاق والكبش معا رمزين يكمل أحدهما الآخر عن حقيقة صلب المسيح وقيامته، لأن الكبش مات، أما إسحاق فعاش.

(ب) وإذا كان الأمر كذلك اتضح لنا أن الشبه بين إسحاق وبين المسيح ينحصر في أمرين: (الأول) إظهار الطاعة المطلقة، فإن إسحاق أطاع أباه الى النهاية. والمسيح (من ناحية كونه إنسانا) أطاع الله الى النهاية أيضا، وإن كان إسحاق لم يذق في سبيل طاعته الموت فعلا كما فعل المسيح، بل ذاق شرعا فحسب، وذلك بسبب قبوله الذبح بيد أبيه. (ثاني) العودة الى عالم الأحياء بعد الموت الشرعي لإسحاق والموت الحقيقي للمسيح، فإسحاق عاد الى أهله حيا، والمسيح عاد الى تلاميذه. ومما يثبت أن الوحي قال عن إسحاق إن أباه أخذه من الأموات في مثال (عبرانيين 19:11)، أي أنه لم يمت فعلا، بل حُسب فقط أنه مات (لأنه مات شرعا كما ذكرنا فيما سلف) ليكون رمزا الى حد ما الى المسيح الذي بعد أن مات فعلا قام من بين الأموات، الأمر الذي لم يكن لإسحاق أو غير إسحاق أن يفعله.

(ج) وبالإضافة الى ما تقدم، فإننا إذا جعلنا إبراهيم رمزا الى المسيح من ناحية الإمتحان (كما قال صاحب الإعتراض)، نرى فرقا في تعبير الوحي عن موقف الله إزاء كل منهما. فبينما يسجل أن الله امتحن إبراهيم بتقديم ابنه ذبيحة (تكوين 1:2)، لا يذكر مطلقا أن الله امتحن المسيح بتقديم نفسه للصلب.

أما القول إن الله أخفى عن ذاكرة المسيح ما تنبأت به المزامير عنه، من جهة رفعه الى السماء دون أن يذوق الموت، حتى يكون إمتحانه امتحانا قانونيا.. ففضلا عن أنه قول مُختلق، لأن الكتاب المقدس سجل أن المسيح كان على علم تام بكل ما هو مكتوب عنه في الأنبياء والمزامير (اقرأ لوقا 16:4 - 22، 44:22، متى 24:26، 10:12)، فإن الله نور، والنور لا يعرف المغالطة أو المداراة. لذلك لا يمكن أن يكون قد قال للمسيح إنه سيصلب، وجعله يتنبأ عن صلبه بعبارات مبدوئة بكلمات تدل على اليقين الكامل من جهته مثل:" الحق أقول لكم" و" ينبغي" و"لا بد" (متى 18:5، 21:16، لوقا 9:21). وتكون هذه النبوات كلها خطأ في خطأ. ويكون السبب الوحيد في ذلك أن الله كان يقصد عكس المفهوم منها تماما!

1
الدعوى بأن المصلوب شخصا أخر غير المسيح

الرواية الأولى القائلة بصلب يهوذا عوضا المسيح والرد عليها

أولا: ملخص الرواية:

1 ـ لم يكن الجنود والكهنة الذين ذهبوا للقبض على المسيح على بينة من هيئته، فستعانوا بيهوذا الإسخريوطي ليرشدهم إليه، فأعطاهم علامة أن الشخص الذي يقبله هو المسيح. كما أنهم لم يكونوا على بينة من هيئة يهوذا أيضا، لأنهم التقوا به فى المعبد وساروا وراءه الى المسيح فى الليل على ضوء المشاعل وضوء المعبد يكون دائما خافتا، وضوء المشاعل لا تتبين فيه الأمور على حقيقتها. فلم يكن في وسعهم أن يفرقوا بين المسيح وبين يهوذا. فضلا عما تقدم، فإن يهوذا عندما أتى بهم الى المكان الذي كان المسيح موجودا فيه هرب التلاميذ جميعا، وبذلك ضاعت كل الوسائط التي كان من الممكن للكهنة والجنود أن يستعينوا بها فى الكشف عن المسيح.وفي هذا الجو الملبد بالغموض ظهرت ذراع الله ورفعت المسيح الى السماء، فسقط الجميع على وجوههم الى الأرض. ولما قاموا لم يجدوا أمامهم سوى يهوذا الإسخريوطي فقبضوا عليه ظنا منهم أنه المسيح. وعندما رأى يهوذا ذراع الله ترفع المسيح الى السماء ندم على جريمته التي كان يريد اقترافها ضد المسيح، وقرر أن يكفر عن جريمته هذه بتسليم نفسه لليهود ليصلبوه عوضا عنه، فأخذوه وصلبوه. وشاع بين الناس أن المسيح هو الذي صُلب.

2 ـ ويقول صاحب هذه الرواية إن ما يثبت صدق ما تقدم أنه عندما سأل رئيس الكهنة يهوذا عن شخصيته صمت. ولما استحلفه أن يخبره أن كان هو المسيح، أجابه:" أنت قلت"، أي: أنت قلت ولستُ أنا. كما أن يهوذا لم يقل للكهنة:" إنكم ستبصرونني جالسا عن يمين القوة بعد أربعين يوما (وهي المدة التي يقول المسيحيون إن المسيح صعد بعدها الى السماء) وآتيا على السحاب" كما جاء في الكتاب المقدس، بل قال لهم " من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على السحاب". الأمر الذي يدل على أن المسيح (الملقب بإبن الإنسان) كان قد صعد من قبل الى السماء، وأن الذي كان يُحاكم وقتئذ هو يهوذا بعينه.

ثانيا: الرد على الرواية:

(أ) الرد على الفقرة الأولى منها:

1 ـ لو فرضنا جدلا أن الجنود الذين أتوا مع يهوذا الإسخريوطي لم يكونوا على معرفة تامة بالمسيح، فالمسيح كان معروفا لدى الكهنة الذين أتوا معهم، كما كان معروفا لدى سكان أورشليم جميعا بما فيهم الكهنة الذين حكموا عليه بالصلب وعاينوا بأنفسهم تنفيذ هذا الحكم فيه. لأنه لم يكن يعيش في كهف أو مغارة، بل كان يعيش حيث يعيش الناس، يسير معهم في الشوارع والحقول، وعلى شاطئ البحر وبجوار النهر. كما كان يذهب معهم الى الهيكل والمجامع ويتكلم بأقوال ويقوم بأعمال جذبت أنظارهم جميعا إليه، فمثلا كان يقول لهم:" من قال (لأخيه): يا أحمقُ يكونُ مُستوجب نار جهنم.. إن كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه.. من طلق امرأتهُ إلا لعلة الزنى يجعلها تزني، ومن يتزوج مُطلقة فإنه يزني.. لا تحلفوا البتة.. أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنُوا الى مُبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يُسيئون إليكم ويطردونكم فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكمُ الذي في السماواتِ هو كامل" (متى 5) ـ وعبارات مثل هذه لم يأت بمثلها نبي أو معلم أو فيلسوف. كما كان بواسطة كلمة واحدة من فمه يُحيي الموت ويهدئ العواصف ويشفي المرضى (يوحنا 43:11، مرقس 29:4، مرقس 9:2).

فضلا عن ذلك فإن الكهنة المذكورين كانوا يلتفون حوله من وقت الى آخر ليجادلوه في أمور الدنيا والدين، فكان يفحمهم يرد كيدهم في نحورهم (متى -23 : 17- 20)ويوبخهم توبيخا صارما على شرورهم (متى 17:15، 13:16، لوقا 44:11). أما اتفاق هؤلاء الكهنة مع يهوذا على تسليم المسيح إليهم فلا يرجع الى عدم معرفتهم به (كما قال صاحب

الرواية التي نحن بصددها)، بل يرجع الى سببين: (الأول) إنهم أرادوا أن يقبضوا على المسيح في الليل بكل سرعة لئلا يثور الناس ضدهم إذا رأوهم يقبضون عليه في النهار (لوقا 48:19، 19:20). (الثاني) إنهم لم يكونوا على علم بالمكان الذي كان المسيح موجودا فيه وقتئذ حتى يمكنهم العثور عليه قبل ضوء الصباح. أما يهوذا فكان يعلم هذا المكان، لأنه كان من أتباع المسيح الذين يعرفون تحركاته.

2 - أما من جهة شخصية يهوذا، فلو أنه التقى مرة واحدة في الليل بكاهن واحد، وأخذ معه وقتئذ الى المسيح جنديا واحدا، لكان من الجائز أن يُقال إنه لم تكن للكاهن والجندي المذكورين الفرصة الكافية للتفرقة بين ملامحه وملامح يهوذا، فصلبا يهوذا (إن كان هما اللذان نفذا حكم الصلب) باعتبار أنه المسيح. لكن ما حدث هو أن يهوذا التقى برئيس الكهنة وكهنته، وهم كثيرون. كما من الراجح أنه التقى بهم مرات متعددة، وكان يمكث معهم في كل مرة مدة طويلة، لأنه كان يساومهم على المبلغ الذي يريد أن يتقاضاه منهم عن تسليم المسيح إليهم (متى 5:26). فضلا عن ذلك فقد أخذ معه الى المسيح ليس جنديا واحدا بل ثلة من الجنود، يرافقها بعض الكهنة والشيوخ والخدم. وليس من المعقول أن هؤلاء جميعا كانوا مصابين بالعمي، بل لا بد أن بينهم أفراد لهم عيون تبصر جيدا. ثم سار بهم ليس مسافة قصيرة بل مسافة طويلة، لأنه قادهم من داخل المدينة الى خارجها حيث يقع البستان الذي كان المسيح يمكث فيه وقتئذ مما يدل على أن جل هؤلاء الأشخاص (أن لم يكن كلهم) لا بد أنهم عرفوا على الأقل شيئا عن قامة يهوذا وملامحه العامة وطريقة حديثه ومشيته، وغير ذلك من الخواص البارزة له.

أما القول إن يهوذا التقي بالكهنة في معبد حيث يكون الضوء خافتا، وإنهم لم يكونوا على معرفة تامة بملامح وجهه، فليس على شئ من الصواب، إذ فضلا عن أن يهوذا التقى بهم قبل تسليم المسيح إليهم أكثر من مرة كما ذكرنا، الأمر الذي جعلهم يعرفونه جيدا، فالراجح أنه لم يلتق بهم في معبد، لأن المهمة التي كان يتحدث معهم عنها كانت مهمة سرية خطيرة. ومهمة مثل هذه لا تُبحث في معبد يهودي، حيث الناس يخرجون ويدخلون عادة في الليل والنهار على السواء، فقد كان أتقياء اليهود يصلون سبع مرات في اليوم (مزمور 164:119) من بينها صلاة الفجر (مزمور 8:57، 2:108). فضلا عن ذلك كان الكهنة يوقدون النار على المذبح ليلا ونهارا (لاويين 12:6و 13) لكي يظلوا محتفظين برضى الله الرمزي عليهم، بل التقى بهم في حجرة خاصة في بيت رئيس الكهنة. والدليل على ذلك أن الجنود عندما قبضوا على المسيح ذهبوا به فورا الى هذا البيت (يوحنا 13:8). كما أن الجنود لم يأخذوا معهم مسارج أو شموعا يمكن أن تتراقص أضواؤها في الهواء بدرجة لا تسمح بالرؤية الواضحة في الليل، بل أخذوا معهم مصابيح ومشاعل (يوحنا 3:18). والمصابيح لا تلعب بأضوائها الرياح، والمشاعل نورها قوي وهاج، وكانت تستعمل في الميادين وساحات السباق والمعسكرات. وأخذ الجنود معهم مصابيح ومشاعل معا، مع أن صنفا واحدا منهما كان يكفي، لأن المهمة التي كانوا بصددها كانت خطيرة ودقيقة، إذ كانت تهدف الى القبض على شخص معين كانوا يعتبرونه ألد أعداء اليهودية. كما أن القمر وقتئذ كان بدرا، إذ أن عيد الفصح الذي قبضوا فيه على المسيح يقع دائما في اليوم الرابع عشر من الشهر القمري (خروج 6:12)، فلا مجال للظن بأن اليهود قبضوا على يهوذا ظنا منهم أنه المسيح، لو فرضنا جدلا أنهم لم يكونوا على بينة من شخصيته أو شخصية المسيح من قبل.

3 - إن هروب تلاميذ المسيح لم يكن يخفي شخصية المسيح عن الجنود أو الكهنة، إذ فضلا عن أنه كان معروفا كل المعرفة لدى هؤلاء وأولئك، ولدى معظم سكان أورشليم، فإنه عندما أقبل الكهنة والجند على المسيح ليقبضوا عليه استل بطرس الرسول سيفه وهوى به على عبد لرئيس الكهنة كان يرافقهم، فقطع أذنه. فتقدم المسيح إليه وأعاد أذنه الى مكانها (لوقا 51:22 و 52)، ولا بد أن هذا التصرف لفت أنظار الجميع الى المسيح فعرفوه، إن كانوا غير متيقنين من شخصيته.

كما أن العذراء مريم نفسها وبعض النساء من قريباتها ونساء أخريات كان المسيح قد مد إليهن يد الشفاء، كن جميعا مع يوحنا الرسول بجوار الصليب حتى أنزل الشخص الذي كان معلقا عليه ودُفن في القبر. كما أن يوسف الرامي ونيقوديموس اللذين كانا من أكثر الناس إخلاصا للمسيح، هما اللذان كفنا الشخص المذكور بأعلى الأطياب ووضعاه في القبر بكل تجلة واحترام (38:19 و 39) مما يدل على أن هذا الشخص كان هو المسيح بعينه. لأنه لولا ذلك لكانا قد تركاه لليهود والرومان ليتولوا دفنه كالمعتاد.

4 - قول المعترض:" وفي هذا الجو الملبد بالغموض ظهرت ذراع الله ورفعت المسيح الى السماء" لا يتفق مع تصرفات الله على الإطلاق إذ فضلا عن أنه ليست له ذراع مادية لأنه روح في روح، فهو تعالى نور، والنور يقوم بأعماله علنا وليس في خفاء أو غموض، إذ لا يعمل في هذا الجو إلا السحرة والحواة الذين لا يريدون أن يكشف الناس الطريقة التي

يستخدمونها في تأدية أعمالهم. أما سقوط الجنود والكهنة على وجوههم فيرجع الى أحد الأسباب الآتية:

(الأول) وقوع هيبة المسيح عليهم، لأنه لم يكن يدور بخلدهم مطلقا أن يواجههم بالسؤال:" من تطلبون؟" وهو فرد أعزل وهم كثيرون بعددهم وعتادهم؛ (الثاني) قوله لهم عن نفسه " إني أنا هو" وهي الترجمة العربية للكلمة العبرية " يهوه". ومعناها "الكائن بذاته" أو " واجب الوجود" وهي لا تُطلق إلا على الله تعالى. فهو بهذا القول أعلن لهم أنه من حيث جوهره هو " المُعلن لله" أو "الله مُعلنا"؛ (الثالث) تأثرهم بقداسته أو تذكرهم شيئا من الإحسان الذي نالوه أو ناله بعضهم منه من قبل، لأن للقداسة هيبة ووقارا، وللإحسان تأثيرا وسلطانا.

5 - إن الشخص الذي قبض عليه الجنود والكهنة لم يُصلب في ظلام الليل بمجرد القبض عليه، ولا حوكم مرة واحدة فقط أمام الكهنة حتى كان يجوز الظن أنه لم تكن لديهم فرصة كافية للتحقق من شخصيته. بل حوكم ثلاث مرات أمامهم، فالمحاكمة الأولى كانت في الليل في بيت حنان بوصفه رئيس الكهنة الشرعى لليهود والثانية كانت في الفجر في بيت قيافا رئيس الكهنة الرسمي لدى الرومان (يوحنا 13:18 - 24)، والضوء في هذين البيتين إن لم يكن قويا، فإنه على الأقل كان عاديا. والمحاكمة الثالثة كانت في الصباح أمام السنهدريم، محكمة اليهود العليا. وعدا ذلك حوكم أمام بيلاطس في سبعة مواقف، أولها كان خارج دار الولاية الرومانية، حيث طلب اليهود من بيلاطس قتل يسوع دون توجيه تهمة معينة إليه؛ والثاني كان داخل دار الولاية حيث أعلن المسيح لبيلاطس أنه ملك؛ والثالث كان خارج دار الولاية، حيث نادى بيلاطس ببراءة المسيح؛ والرابع كان داخل دار الولاية، حيث أمر بيلاطس بجلده؛ والخامس كان خارج دار الولاية، حيث نادى رؤساء الكهنة بصلب المسيح؛ والسادس كان داخل دار الولاية، حيث استفسر بيلاطس من المسيح عما إذا كان هو ابن الله؛ والسابع كان خارج دار الولاية، حيث أذعن بيلاطس لليهود وأسلم المسيح إليهم ليصلبوه

(يوحنا 28:18 - 16:19). كما حوكم أيضا أمام هيرودس ملك الجليل. فهذا الشخص عُرض على عدد كبير الناس مرات متعددة وفي أماكن مختلفة، كما سار بينهم مسافات طويلة في وضح النهار، فكان من الممكن أن تتجلى حقيقته تماما للكهنة إن كانوا في شك أو ريب من جهته.

6 - فإذا أضفنا الى ما تقدم أن الشخص المذكور قال قبيل صلبه للكهنة الذين أتوا مع الجند للقبض عليه:" كأنه على لص خرجتُم بسيُوف وعصي لتأخذوني! كل يوم كُنتُ أجلس معكم أعلمُ في الهيكل ولم تمسكوني .. ولكن هذه ساعتكم وسلطانُ الظلمة". كما قال للنسوة اللائي كن يبكين عليه:" يا بناتِ أورشليم لا تبكين عليَّ بل ابكين على أنفُسِكن وعلى أولادكن، لأنهُ هُو ذا أيام تأتي يقولون فيها: طوبى للعواقر والبطون التي لم تلد والثدى التي لم تُرضع". وقال لبيلاطس الذي كان يحاكمه:" مملكتي ليست من هذا العالم.. لذلك الذي أسلمني إليك لهُ خطية أعظم". وعلى الصليب غض النظر عن قسوة صالبيه وشرهم وصلى لأجلهم قائلا:" يا أبتاهُ، اغفر لهُم لأنهُم لا يعلمون ماذا يفعلون". كما قال للص الذي ندم على خطاياه والتجأ إليه بالإيمان لكي يذكره في الملكوت:" الحق أقولُ لك: إنك اليوم تكونُ معي في الفردوس". وبعد ذلك قال للعذراء مريم عن يوحنا الرسول:" يا امرأة، هوذا ابنك" وقال ليوحنا عنها:" هُوذا أمك" ليعتني بها ويرعاها. وكل هذا يؤكد لنا أن القول إن اليهود لم يستطيعوا التفرقة بين المسيح وبين يهوذا، فصلبوا هذا دون ذاك قول باطل.

(ب) الرد الى الفقرة الثانية:

1 - إن صمت الشخص الذي كان يُحاكم أمام رئيس الكهنة عندما سأله عن شخصيته في أول الأمر، وإجابته بعد ذلك بالقول " أنت قلت" عندما استحلفه بالله أن يخبره إن كان هو المسيح، لا يدلان على أن الشخص هو يهوذا الإسخريوطي (كما قال المعترض)، بل يدلان على أنه هو المسيح بعينه. كل ما في الأمر أنه رفض الرد على سؤال رئيس الكهنة وكهنته في أول الأمر، لأنهم (أولا) لم يكن لهم الحق في الجلوس على كرسي القضاء بسبب مخالفتهم لشريعة الله؛ (ثانيا) محاكمتهم للمسيح لم تكن محاكمة قانونية لأن القانون اليهودي كان ينص على أن القضايا التي يُحكم فيها بالقتل يجب أن لا تُفحص في الليل، بل في النهار فقط؛ وأن لا يصدر الحكم بشأنها في اليوم الذي تجري فيه المحاكمة، بل في اليوم التالي له. كما أن هذا الحكم يجب أن لا يكون بناء على رأي بعض أعضاء السنهدريم، بل بناء على رأى الأغلبية الساحقة منهم؛ وأن لا يعتمد الحكم على الإشاعات بل على الحقائق الواقعة، وذلك بعد دراستها في جو بعيد عن روح التحزب؛ وأن تُعطى للمتهم، حتى وهو في طريقه الى الموت بعد صدور الحكم ضده، أربع أو خمس فرص لتقديم احتجاجات جديدة عن نفسه، وأن يفحص السنهدريم في الحال كل احتجاج منها بكل دقة؛ وأخيرا يجب أن يتقدم المتهم وهو في طريقه الى الموت شخص ينادي في الشوارع بأعلى صوته: إذا كان لدى إنسان حجة تبرئ المتهم فيقدمها الى السنهدريم. فإذا تقدم أحد بحجة تبرئ المتهم فليقدمها الى السنهدريم. فإذا تقدم أحد بحجة ما، يجب على السنهدريم أن ينعقد في الحال أيضا ليفحصها.

ولكن اليهود لم يتبعوا شيئا من القواعد في محاكمة المسيح؛ (ثالثا) إنهم استدعوا شهودا لم يلتقوا به عن قرب، فلم يستطيعوا أن يذكروا ذات الأقوال التي خرجت من فمه، فقالوا إنهم سمعوه يقول " إني أقدر أن أنقض هيكل الله وفي ثلاثة أيام أقيمه" (متى 61:26). مع أنه كان قد قال " انقضوا (أنتم) هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمُهُ" (يوحنا 19:2) قاصدا بالهيكل هيكل جسده؛ (رابعا) إن أسئلتهم للمسيح كانت أسئلة تهكمية وليست استفسارية، والمسيح أرفع من أن يجيب عن أسئلة مثل هذه.

2 - ولكن عندما قال له رئيس الكهنة:" أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا: هل أنت المسيح؟" تقدم الى المسيح باسم الله العظيم، ولذلك خرج المسيح عن صمته، لأن الإستجواب أصبح في حضرة الله نفسه. وأجاب رئيس الكهنة معلنا بكل حزم عن حقيقة ذاته، فقال له:" أنت قلت" وهو أسلوب الحكيم الذي قل ودل، والذي لا يصدر إلا من نفس راسخة مطمئنة، وفي الوقت نفسه هو تقريع لاذع للرئيس المذكور يدعوه للتفكير والإنتباه، لأن حقيقة كون المسيح هو " ابن الله" كانت قد بلغت أذني هذا الرجل وآذان الكهنة معا، وذلك بعد أن أيدها المسيح بالأدلة المعجزية، وأثبتها أيضا من التوراة التي كانت بين أيديهم (متى 41:22 - 46) فلم يكن من الواجب أن تُعاد هذه الحقيقة أمامه وأمامهم مرة أخرى. ومما يثبت أن المسيح نفسه هو الذي قال " أنت قلت" أنه كان يستعملها في أقواله كثيرا. فلما سأله يهوذا الإسخريوطي في الليلة السابقة للصلب " هل أنا هو (الذي سيسلمك) يا سيدي؟" أجابه المسيح " أنت قلت". ولما سأله بيلاطس الوالي في أثناء المحاكمة " فأنت إذا ملك؟" أجابه:" أنت قلت" (يوحنا 37:18).

أما لو كان يهوذا هو الذي حوكم أمام رئيس الكهنة، لكان قد أجابه على السؤال " هل أنت هو المسيح؟" بالقول نعم أنا هو المسيح" دون أن يخطر بباله أن يستخدم أسلوب الحكمة المختصر، أو أسلوب التقريع اللاذع، لأنه (كما يقول المعترض) كان قد عزم على أن يسلم نفسه للصلب في الحال، كفارة عن خطيته.

3 - كما أن كلمة " الآن" التي وردت في القول " وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القدرة وآتيا على سحاب السماء" لا تدل هنا على اللحظة التي كان يتكلم فيها الشخص الذي كان يُحاكم أمام الكهنة، حتى كان يجوز الظن أنه يهوذا، لأن الكهنة لم يروا المسيح وقتئذ جالسا عن يمين الله أو آتيا على سحاب السماء. وإذا كان الأمر كذلك أدركنا أن كلمة " الآن" يراد بها هنا فترة انتشار الإنجيل التي بدأت بقيامة المسيح من الأموات، وستظل حتى مجيئه في مجده على سحاب السماء.

ومما يثبت هذه الحقيقة دليلان: (الأول) في الأيام الأخيرة (كما أعلن الوحي) سيرى اليهود السيد المسيح آتيا على السحاب (رؤيا 7:1) تحقيقا لنبوة دانيال النبي التي قيلت سنة 550 ق.م (دانيال 25:9 -27). وحينئذ سينوحون بسبب الجريمة التي ارتكبها آباءهم ضده وموافقتهم هم عليها؛ (الثاني) إن الفعل " تبصرون" لا يرد في اللغة اليونانية (التي هي اللغة الأصلية للإنجيل) في صيغة المضارع بل في صيغة المستقبل، وترجمته الحرفية "ستبصرون". وترجم الى اللغة العربية "تبصرون" في صيغة المضارع، لأن الفعل المضارع في العربية إذا لم يسبقه حرف " لم" فإنه يدل على الحاضر والمستقبل معا.

4 - أخيرا نقول: إن القول " تبصرون ابن الإنسان" وليس " تبصرونني" لا يدل على أن المسيح لم يكن هو المتكلم، بل بالعكس، يدل على أنه هو بعينه، لأنه هو الذي كان يستعمل هذا اللقب عن نفسه، فقد قال لليهود عن نفسه:" وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه" ولم يقل:" ليس لي أين أسند رأسي" (متى 20:8). كما قال لهم " إن لإبن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا" ولم يقل:" إن لي سلطانا أن أغفر الخطايا" (مرقس 10:8) مما يدل على أن الشخص الذي كان يُحاكم أمام الكهنة هو المسيح بعينه.

2

الرواية الثانية القائلة بصلب يهوذا عوضا عن المسيح والرد عليها

أولا: ملخص الرواية:

لما أتى الجند ليقبضوا على المسيح خفق قلب يهوذا في جوفه، وخشى أن ينقضى مُلك المسيح. ولكن عندما رآهم يسقطون أمامه انقشع خوفه الذي كان قد تجمع في نفسه من جهته. والتفت الى أنصاره فوجدهم أضعف من أن يحموه، ووجد أنه لو قبض اليهود على المسيح لقتل الشك يهوذا. غير أنه سرعان ما تخلص من هذا الشك عندما أبصر المسيح يسير وسط الجنود دون أن يمسكوه. ولما لم ير الجنود أمامهم سوى يهوذا، أمسكوه معتقدين أنه المسيح، فاستسلم يهوذا لهم قابلا أن يتحمل عذاب الصلب عوضا عن المسيح، جزاء للشك الذي اجتاز في نفسه من جهته، وذلك لكي يجلس معه في عرشه.

ثانيا: الرد الى الرواية:

تختلف هذه الرواية عن الرواية السابقة، فبينما الأولى تصور لنا يهوذا عدوا لدودا للمسيح، رضى في النهاية بالصلب جزاء لمحاولته الأثيمة في تسليم المسيح الى اليهود، تصور لنا الرواية الثانية يهوذا صديقا ودودا للمسيح، خفق قلبه بالعطف عليه عندما رأى الجند يلتفون حوله. وقد رضى بالصلب تأديبا لنفسه، ليس بسبب جريمة كان عتيدا أن يرتكبها، بل بسبب اجتيازه في فترة من الشك في شخصية المسيح لم تستمر إلا دقائق معدودات!

واختلاف هاتين الروايتين إحداهما عن الأخرى يدل على أن القائلين بهما لم يعتمدا على حقائق تاريخية، بل على تصوراتهما الشخصية. ولذلك فإن هذه الرواية باطلة مثل الرواية السابقة، كما يتضح مما يلي:

1 - ليس من المعقول أن يكون يهوذا قد التفت الى أنصار المسيح (إن كان قد أشفق عليه، كما يُقال) لكي يجد فيهم من يستطيع أن يكون حمى أو ملاذا له، طالما أن يهوذا رأى بعينه الجند يسقطون صرعى عند قدمى المسيح.

2 - أن يهوذا مثل غيره من الناس، كان يعلم وقتئذ (أولا) أن المسيح، بسبب ما لديه من قوى معجزية، لم يكن لليهود أو غير اليهود أن يقبضوا عليه رغما عنه؛ (ثانيا) أن المسيح لم يكن في حاجة الى شفقة أو تضحية من أحد ما؛ (ثالثا) أن السبيل الى المجد (أو الى العرش السماوي) ليس هو القيام بالأعمال الصالحة أو التضحيات الجسيمة، بل إنه الحصول على حياة روحية من الله تؤهل الحاصل عليها للتوافق معه في صفاته الأدبية السامية، كما ذكرنا فيما سلف. ولذلك لا يُعقل أن يهوذا تطوع للصلب عوضا عن المسيح (إن كان قد أشفق عليه كما يقال) لكي يجلس معه في عرشه.

3 - أن المسيح كان يعلن بين الفينة والفينة عطفه على الخطاة واستعداده التام لمنح المغفرة للذين يتوبون منهم (متى 2:9، لوقا 47:7، يوحنا 11:8). فلا يعقل أيضا أن يكون يهوذا (إذا كان قد ندم على شكه، كما يقال) قد عمد الى تسليم نفسه للصلب عوضا عن المسيح ليحصل على المغفرة، إذ كان في وسعه أن يقتدى ببطرس الرسول الذي بسبب خوفه من اليهود أنكر علاقته بالمسيح ثلاث مرات، فإن كل ما فعله أنه بكى على خطيته، فصفح المسيح عنه. وليس هذا فحسب، بل ورد له اعتباره أيضا (لوقا 62:22، يوحنا 15:21- 17).

4 - أن مُلك المسيح هو ملك روحي على القلوب (يوحنا 48:16، 36:18)، وأساس هذا الملك هو محبة المسيح المطلقة للبشر، وتقديم نفسه كفارة نيابة عنهم لكي لا يهلك كل من يؤمن به إيمانا حقيقيا، بل تكون له الحياة الأبدية (يوحنا 16:3). فليس من المعقول أن يكون يهوذا قد خشى أن ينقضى مُلك المسيح بقتل اليهود إياه.

5 - أخيرا نقول إن صاحب هذه الرواية يقدم لنا يهوذا، ليس كشخص حقيقي بل كشخص خرافي.لأن هذا الشخص كما تصوره لنا الرواية تتنازعه الشكوك من جهة أمور معروفة لديه كل المعرفة، ويعمل حسابا كثيرا لأمور يعلم كل العلم أنها لا يمكن أن تحدث. وإذا كان الأمر كذلك، فإن هذه الرواية مثل سابقتها، ليس لها نصيب من الصواب.

3

الدعوى بعدم صدق حادثة الصلب الواردة في الكتاب المقدس من الناحية التاريخية، والرد عليها

يقول بعض النقاد إن حادثة صلب المسيح ليست صادقة من الناحية التاريخية، لأن هناك (كما يقولون) اختلافا بين كتبة الإنجيل في وقائعها. فقالوا إن هؤلاء الكتبة قد ألفوها من عندهم، أو لفقوها من نبوات يهودية أو أساطير وثنية. فنبحث فيما يلي هذه الإتهامات لكي تتبين لنا الحقيقة.

الدعوى بوجود اختلاف في وقائع حادثة الصلب والرد عليها

1 - قال المعترض: ذكر مرقس أن المسيح عمل الفصح مع تلاميذه قبل القبض عليه (12:14). بينما ذكر يوحنا أنه عند محاكمة المسيح أمام بيلاطس، كان اليهود يستعدون لعمل الفصح (14:19).

الشرح: الشهور العبرية شهور قمرية، وعيد الفصح يقع في الرابع عشر من شهر نسان (خروج 12)، فكان يحدث اختلاف في بعض الأحيان من جهة أول يوم منها، كما يحدث لغاية الآن عند الجماعات التي تعتمد على التقويم القمري في حساب الشهور لديها. وقد وجد العلامة بليربك Billerbeck أن فرق اليهود اختلفوا فيما بينهم من جهة اليوم الأول من شهر نيسان، الخاص بعيد الفصح الذي صُلب المسيح فيه. فعمل فريق منهم الفصح في يوم الخميس (كما فعل المسيح)، وعمله فريق آخر في يوم الجمعة التالي له، فذكر مرقس يوم الفصح الذي اعتمده فريق من اليهود، وذكر يوحنا يوم الفصح الذي اعتمده فريق آخر منهم.

فضلا عن ذلك، فإن " الفصح" لم يكن يُطلق فقط على اليوم الذي كان يُذبح فيه خروف الفصح، بل كان يطلق أيضا على كل يوم من أيام الأسبوع التالي لليوم المذكور، والذي كان يُعرف أيضا بأسبوع الفطير أو الفصح (كما يتضح من لوقا 1:22و 7). لأن اليهود كانوا يأكلون فطيرا فقط في عيد الفصح وفي الأيام السبعة التالية له (خروج 12، العدد 28) وكان ذلك يرمز الى أن الذين افتدوا بدم المسيح الكريم (أي آمنوا به إيمانا حقيقيا)، يجب أن تكون حياتهم كلها حياة النقاوة والطهارة، لأن الخمير كان يرمز الى الشر (1كورنثوس 8:5). والفطير الخالي منه يرمز الى الحياة النقية.

فلو فرضنا جدلا أنه لم يحدث اختلاف بين الفرق اليهودية من جهة أول الشهر الخاص بالفصح الذي صُلب المسيح فيه، يكون من المحتمل جدا أن مرقس قصد بعيد الفصح الذي ذكره اليوم الذي ذُبح فيه خروف الفصح، وهو يوم الخميس الذي سبق الصلب. وأن يوحنا قصد بالفصح، اليوم الأول من أيام الفطير السبعة التي كان يُطلق عليها أيضا اسم الفصح، فلا يكون هناك اختلاف بينهما.

2 - قال المعترض: ذكر متى أن المسيح قال إن بطرس سينكره ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك (34:26). بينما ذكر مرقس أن المسيح قال إنه سينكره ثلاث مرات، قبل أن يصيح الديك مرتين (30:14).

الشرح: إن مرقس سجل (مثل متى) أن المسيح قال لبطرس إنه سينكره ثلاث مرات، فليس هناك اختلاف بينهما من هذه الناحية. أما من جهة صياح الديك فهو كما نعلم لا يكون في أوقات محددة. لكن المعتاد أنه بعد مرور المساء، يصيح الديك في منتصف الليل وفي الفجر تقريبا. ونظرا لأن الصياح الأول غير معروف لدى الكثيرين، يكون متى قد أشار الى الصياح الثاني المعروف لديهم. فإذا وضعنا أمامنا أن بطرس لم ينكر المسيح مرة واحدة بل ثلاث مرات، وأنه كان يمضي بين كل مرة ينكر فيها المسيح فترة من الزمن (كما يعلن لنا الكتاب المقدس)، اتضح لنا أنه إذا كان بطرس قد أنكر المسيح اول مرة عند صياح الديك في نصف الليل، يكون قد أنكره في المرتين الثانية والثالثة قبل الفجر، قبل أن يصيح الديك مرتين، فلا يكون هناك مجال للإعتراض.

3 ـ قال المعترض: ذكر يوحنا أن المسيح عندما قال لتلاميذه إن واحدا منهم سيسلمه، أخذوا ينظرون بعضهم الى بعض متحيرين. فأومأ بطرس الى يوحنا أن يسأل المسيح عن هذا الشخص، فاتكأ يوحنا على صدر المسيح وسأله عنه. فأجابه أنه هو الشخص الذي يغمس المسيح اللقمة ويعطيها له (22:13- 26). بينما ذكر متى أن المسيح عندما قال لتلاميذه هذه العبارة، ابتدأ كل واحد منهم يقول له: هل أنا يا رب؟ فقال لهم المسيح إنه الشخص الذي يغمس يده في الصفحة معه،

وكان هذا الشخص هو يهوذا الإسخريوطي. فسأله هذا قائلا: هل أنا يا سيدي؟ فقال له المسيح: أنت قلت (20:24- 33).

الشرح: ليس هناك تناقض بين العبارتين لأن الحديث الوارد في العبارة الأولى جرى قبل الحديث الوارد في العبارة الثانية. فيوحنا عندما اتكأ على صدر المسيح وسأله عن الشخص الذي سيسلمه أعطاه المسيح وحده (كما يتضح من سياق الحديث) علامة خاصة عنه. لكن لما أخذ كل تلميذ يسأله عن هذا الشخص، أعطاهم جميعا علنا علامة أخرى تدلهم عليه. بل ولم يتردد في التصريح ليهوذا، بأنه هو الذي سيسلمه، وذلك عندما تجاهل حقيقة نفسه وسأل كما سأل غيره عن الشخص المذكور.

4 ـ قال المعترض: ذكر متى أن يهوذا قبل المسيح لكي يعرفه كهنة اليهود ويقبضوا عليه (49:26). بينما ذكر يوحنا أن الجنود لما رأوا المسيح، سقطوا على وجوههم (6:18) دون أن يشير متى الى سقوط الجنود، أو يوحنا الى قُبلة يهوذا.

الشرح: لو أن متى قال إن الجنود لم يسقطوا على وجوههم عندما رأوا المسيح، وأن يوحنا قال إن يهوذا لم يقبل المسيح، لكان هناك تناقض. لكن عدم تسجيل متى سقوط الجنود على وجوههم، وعدم تسجيل يوحنا قبلة يهوذا للمسيح، لا يدل على وجود تناقض بينهما، بل يدل على أن كليهما قد سجلا من حادثة صلب المسيح ما أراد الله أن يوجه إليه بصفة خاصة نظر الأشخاص الذين كان يكتب إليهم كل واحد من هذين التلميذين، تبعا لمفاهيمهما الخاصة. فمتى، كما يتضح من الإنجيل الذي كتبه كان يتحدث لليهود عن المسيح بوصفه الملك العتيد للعالم، والمسيح من هذه الناحية يمكن الإقتراب منه وتقبيله. أما يوحنا، كما يتضح من الإنجيل الذي كتبه، كان يتحدث للمسيحيين عامة عن المسيح بوصفه "الكلمة الأزلي" أو "الله معلنا". والمسيح من هذه الناحية لا يمكن للبشر تقبيله، بل يجب عليهم السجود عند قدميه. وقول المسيح في هذا الإنجيل للجنود المذكورين: " إني أنا هو" دليل واضح على أن يوحنا كان يتحدث عن المسيح بوصفه " كلمة الله"، وبهذه المناسبة نقول إن مرقس كتب عن المسيح بوصفه الذي خصص كل دقيقة من حياته لأجل خدمة الله؛ ولوقا كتب عنه بوصفه ابن الإنسان الذي تجلى فيه الكمال الإنساني الذي يريده الله.

أما من جهة حادثة الصلب، التي هي النقطة الرئيسية في الموضوع، فقد ذكرها كل واحد من كتبة الإنجيل بالتفصيل، الأمر الذي لا يدع مجالا للإعتراض.

5 ـ قال المعترض: ذكر متى أن يهوذا أعاد الى رؤساء الكهنة المبلغ الذي تقاضاه منهم عن تسليم المسيح إليهم، قبيل تنفيذ الصلب فيه (3:27- 14) مع أن هؤلاء كانوا وقتئذ في دار الولاية أمام بيلاطس البنطي.

الشرح: ليس هناك دليل على أن رؤساء الكهنة والكهنة جميعا كانوا في دار الولاية عند صلب المسيح، بل من المؤكد أن بعضهم كان موجودا وقتئذ في الهيكل لتقديم ذبائح العيد المتعددة. فقد ذكر المؤرخون أنه كان يقوم بالخدمة الدينية في الهيكل وقتئذ، خمسون كاهنا، يساعدهم في تأدية هذه الخدمة أضعاف هذا العدد من اللآويين. وأن بعضا آخر كان موجودا هناك لاستقبال النذور والهدايا التي كان يأتي بها اليهود القادمون من بلاد بعيدة. ولو فرضنا جدلا أنهم كانوا جميعا في دار الولاية، فإن هذا لم يكن ليحُول بين يهوذا وبين إعادة المبلغ الذي أخذه من رؤساء الكهنة الى خزانة الهيكل مباشرة، لأن هذه كانت مفتوحة في كل وقت من النهار. وكان القائمون عليها لا يفارقونها، لأن المسائل المالية كانت ولا تزال، أثمن الأمور لديهم.

6 ـ قال المعترض: ذكر متى أن رؤساء الكهنة اشتروا حقل الفخاري بالمبلغ الذي أعاده يهوذا إليهم (7:27)، بينما ذكر لوقا أن يهوذا هو الذي اقتنى هذا الحقل بالمبلغ الذي تقاضاه منهم (أعمال 18:1).

الشرح: معروف لدينا أنه من الجائز إسناد عمل الى إنسان، بينما يكون إنسان آخر هو الذي قام به لأجله. فنحن نقول (مثلا) إن الثرى بنى قصرا، بينما الذي بناه هم البناؤون وحدهم. وعلى هذا النسق نقول: وإن كان رؤساء الكهنة هم الذين اشتروا الحقل، لكن بشرائهم إياه بالمبلغ الذي أعاده يهوذا إليهم، يُعتبر يهوذا هو مشترى هذا الحقل، فيكون هو الذي اقتناه.

7 ـ قال المعترض: قال متى إن يهوذا خنق نفسه (5:27). بينما قال لوقا إن يهوذا سقط على وجهه وانسكبت أحشاؤه (أعمال 18:1).

الشرح: لو كان متى قد قال إن يهوذا خنق نفسه، وقال آخر إنه غرق في اليم، أو مات موتا طبيعيا (مثلا)، لكان هناك

تناقض بين القولين. لكن قول الواحد إن يهوذا خنق نفسه، وقول الآخر إنه سقط على وجهه وانسكبت أحشاؤه، لا يدل

على أن هناك تناقضا بينهما، بل يدل على أن يهوذا بعد ما خنق نفسه، سقط على الأرض وانسكبت أحشاؤه، وهذا ما يحدث إذا كان قد سقط على شئ به نتوء. فذكر أحد كتبة الإنجيل الطريقة التي مات بها يهوذا، وذكر الثاني ما ترتب على هذه الطريقة من نتائج شنيعة.

وجاء في كتاب " على هامش السيرة" للعلامة ألفرد إدرشيم اليهودي، وكتاب " ساعة بساعة ـ اليوم الذي مات فيه المسيح، للصحافي جيم بيشوب، أن يهوذا الإسخريوطي ذهب الى وادي هنوم وقد كانت به وقتئذ قطع من الصخور المختلفة من أعمال بناء سور أورشليم. فربط رقبته بحزام وعلقه على غصن شجرة، فانقصف الغصن، وسقط هو فوق الصخور المذكورة.

8 ـ قال المعترض: ذكر لوقا أن اليهود لما مضوا بالمسيح الى الجلجثة، أمسكوا سمعان القيرواني ووضعوا عليه الصليب (26:23). بينما ذكر يوحنا أنهم أخذوا يسوع ومضوا به، فخرج وهو يحمل الصليب الى المكان المذكور (17:19).

الشرح: حمل المسيح صليبه بناء على القانون الذي حوكم به، وبذلك يكون قد خرج الى الجلجثة وهو يحمله، كما قال يوحنا. لكن بعد ما سار به مدة من الزمن أحس بالتعب. فقد كان وزن الصليب (كما يقول المؤرخون) نحو خمسين كيلو جراما، وكانت الجروح الموجودة في ظهر المسيح وكتفيه تسبب له آلاما مبرحة، تحول بينه وبين الإستمرار في حمل الصليب، فوضعوا الصليب على سمعان القيرواني، فحمله عوضا عن المسيح الى مكان الصلب، كما قال لوقا. فليس هناك تناقض بين القولين.

9 ـ قال المعترض: ذكر متى أن المسيح كان على الصليب في الساعة السادسة من النهار (45:27)، بينما ذكر يوحنا أن المسيح كان في الصباح (أي في نفس الساعة السادسة تقريبا) يُحاكم أمام بيلاطس البنطي (28:18).

الشرح: تفسير الصباح الوارد ذكره في يوحنا 28:18 بأنه الساعة السادسة تقريبا، بناء على التوقيت المعروف لدينا في الوقت الحاضر، ليس صوابا، لأنه بالرجوع الى التاريخ نرى أن كتبة الإنجيل استعملوا التوقيت المعروف عند اليهود وغيرهم من الشرقيين. وبناء على هذا التقويم كان يحسب وقت شروق الشمس (الذي يقع غالبا نحو الساعة السادسة صباحا بالتوقيت المعروف لدينا) الساعة الأولى من النهار. فتكون الساعة السادسة من النهار لديهم، والتي حددها كتبة الإنجيل لوجود المسيح على الصليب، توافق الساعة الثانية عشرة ظهرا بالتوقيت المعروف لدينا الآن. فليس هناك اختلاف بين ما سجله يوحنا وبين ما سجله غيره من كتبة الإنجيل، عن وقت محاكمة المسيح أو صلبه.

10 ـ قال المعترض: ذكر مرقس أن اللصين اللذين صُلبا مع المسيح، كانا يعيرانه (44:27). بينما ذكر لوقا أن أحد اللصين قال للمسيح "اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك" (42:23).

الشرح: ليس هناك تناقض بين القولين، لأن القرينة تدل على أن اللصين كانا في أول الأمر يعيران المسيح. لكن في أثناء تعييرهما له، أدرك أحدهما أن المسيح لم يكن شخصا عاديا، وذلك بسبب هدوئه التام وصلاته الخالصة لأجل صالبيه. فكف عن تعييره، وعاد بذاكرته الى ما كان قد رآه في المسيح أو سمعه عنه، من جهة قداسته، وقدرته على عمل المعجزات الباهرة، وشهادته عن نفسه وشهادة التوراة عنه، فأيقن أنه صاحب الملكوت العتيد، وندم عن تعييره وقدم للمسيح الإلتماس المذكور.

11 ـ قال المعترض: ذكر متى أن المسيح رفض أن يشرب من الخل الممزوج بالمر (34:27) بينما ذكر يوحنا أن المسيح شرب من هذا الخل (29:19).

الشرح: لم يقل يوحنا إن المسيح شرب من الخل الممزوج بالمر، بل قال إنه شرب (أي ذاق) الخل (فقط). وهناك فرق كبير بين الخل وبين الخل الممزوج بالمر. فالثاني كان يُقدم للعتيدين أن يُصلبوا، حتى لا يشعروا بآلام الصلب التي سيتعرضون لها. وقد رفض المسيح تناوله (كما جاء في متى 27)، لأنه أراد أن يتحمل آلام الصلب كما هي، لتكون

كفارته عن الخطية كفارة قانونية. لكن لما سال منه دم غزير وهو على الصليب، وذلك في حر الظهيرة، شعر بالعطش الشديد. ونظرا لأنه لم يكن يتظاهر بغير الحقيقة، قال " أنا عطشان" فملأ أحد الجنود إسفنجة بالخل الخاص به وقدمها له. فليس هناك تناقض بين ما ذكره يوحنا وما ذكره متى. فإن متى ومرقس سجلا أن المسيح رفض شرب الخل الآخر، وهو معلق على الصليب.

ويقول بعض المؤرخين إن الشراب الذي كان يُقدم للمحكوم عليهم بالصلب قبل تنفيذه فيهم، كانت تعده بعض النساء الفضليات من مالهن الخاص، تنفيذا لوصية الحكيم " أعطوا مُسكرا لهالِكٍ وخمرا لِمُرى النفس" (أمثال 6:31). وكان هذا الشراب يتكون من الخل والمر والزعفران، وغير ذلك من المواد المخدرة، التي تخدر الأعصاب وتسكن الآلام وتعطل عمل الذاكرة. أما الخل الذي قدمه أحد الجنود للمسيح وهو على الصليب، فكان يسمى " البوسكا" وكان فقراء الرومان يشربونه قديما (عوضا عن الخمور الغالية الثمن)، وكانوا يضعونه في إناء كبير عليه قطعة من الإسفنج، يستخدمونها في ترشيح هذا الشراب أو تنقيته.

مما تقدم يتضح لنا أن ما يُقال إنه اختلاف بين كتبة الإنجيل هو اختلاف لفظي فحسب، سببه أن كلا منهم كتب لشعب خاص له مفاهيم لا يشترك معه فيها غيره. فمتى كتب للعبرانيين، ومرقس للرومانيين، ولوقا لليونانيين، ويوحنا للمسيحيين عامة، وبصفة خاصة للفلاسفة الذين كانوا يتحدثون عن اللوغوس (أو الكلمة)، دون أن يعرفوا شخصيته. كما كتب كل منهم عن ناحية من وقائع الصلب، رأى بإرشاد الله ضرورة توجيه الذين كتب لهم إليها بصفة خاصة.

فإذا أضفنا الى ذلك:

أولا: أن وجود أربعة كتب عن سيرة المسيح، لأشخاص يختلف أحدهم عن الآخر من جهة السن والثقافة والطباع والمركز الإجتماعي، أفضل جدا لدى الباحثين عن الحقيقة، مما لو كان هناك كتاب واحد عن سيرته.

أما السؤال:" لماذا لم يكتب المسيح الإنجيل بيده أو يمليه على تلاميذه بنفسه؟" فلا مجال له، لأن المسيح هو بذاته الإنجيل، فالإنجيل هو البشارة. والمسيح هو هذه البشارة، إذ هو الذي كفر عن خطايانا، حتى تكون لنا الحياة الأبدية. فمن البديهي أن لا يعطينا كتابا من حروف على ورق، بل أن يعطينا شخصه كتابا.

والمسيحية لا تقوم على عقائد أو فرائض، بقدر ما تقوم على الصلة الروحية العملية بالمسيح، وهذا ما يطبع النفس بطباعه، ويجعلها في حالة التوافق مع الله في صفاته الأخلاقية السامية. ولا غرابة في ذلك، فإنه هو نفسه كلمة الله (يوحنا 1:1، 2). وكلمة الله الحية المتجسدة أكثر وقعا على النفس من الكلمة المكتوبة بحبر على ورق. ولكن لما دعت الحاجة الى نشر رسالته بين الناس الذين لم يعرفوه، استخدم الله تلاميذه للكتابة عنه، وعن فدائه الكريم.

ثانيا: أن اتفاق الشهود في حادثة ما من جهة كل لفظ فيها، مدعاة للطعن في شهادتهم بالتواطؤ، بينما اختلافهم في اللفظ دون المعنى، مع استقلال كل منهم عن الآخر في التحدث عنها دليل صدقها، فلا مجال للإعتراضات السابق ذكرها.

وقد أشار أحد الباحثين (عباس محمود العقاد) الى هذه الحقيقة فقال:" إذا اختلطت الروايات في أخبار المسيح، فليس في الإختلاط بدع، ولا دليل قاطع على الإنكار، لأن الأناجيل تضمنت أقوالا في مناسباتها لا يسهل القول باختلاقها، لأن مواطن الإختلاف بينها معقولة مع استقصاء أسبابها والمقارنة بينها وبين آثارها. كما أن مواضع الإتفاق بينها تدل على أنها رسالة واحدة من وحي واحد".

4

الدعوى بتأليف حادثة صلب المسيح
أو تلفيقها والرد عليها

1 ـ قال المعترض: إن المسيح هرب قبل حادثة الصلب، فقد ذكر يوحنا أن المسيح لما علم أن اليهود سيقتلونه، لم يكن يمشي علانية بل انطلق الى ناحية بالقرب من البرية مع تلاميذه (يوحنا 54:11). ومن ثم فإن تلاميذه هم الذين ألفوا قصة صلبه من عندهم، ليكرم الناس ذكراه، ويعتنقوا المبادئ التي نادى بها في حياته، لأن الناس يجلون الشهداء ويشيدون بأعمالهم، كما يحفظون ذكراهم من عام الى عام.

وللرد (أ) إذا رجعنا الى سيرة المسيح، نرى أنه لم يكن هناك ما يدعوه الى الهرب على الإطلاق، بسبب كماله المطلق وشجاعته الكاملة، فقد كان لسان حاله في كل حين " إن نزل عليَّ جيشٌ لا يخافُ قلبي, إن قامت عليَّ حربٌ ففي ذلك أنا مُطمئن" (مزمور 3:27). ولما كان هذا شأنه في كل المواقف، تراجع من أمامه الأشخاص الذين أرسلهم الكهنة مرة للقبض عليه، وهو لا يزال في أوائل خدمته، ثم عادوا من حيث أتوا (يوحنا 42:7، 44، 45). كما سبق وانسحب من حضرته رجال الدين وهم يجرون أذيال الخيبة والفشل، لعدم استطاعتهم أن يمسكوا عليه كلمة واحدة (متى16:22ـ 29). فضلا عن ذلك فإن الجنود الذين أتوا لإلقاء القبض عليه في البستان سقطوا على وجوههم عندما أعلن لهم عن شخصيته.

(ب) نعم إن المسيح كان يعتزل الناس أحيانا، ولكن ليس خوفا منهم، بل إما ليتجنب الإصطدام بهم حتى لا يقضي عليهم بسبب عصيانهم، كما سيفعل مع أمثالهم في يوم الدينونة الرهيب (مزمور 12:2 ، إشعياء 4:11، 2تسالونيكي 28:2). أو لإفساح المجال أمام أكبر عدد من المُخلصين لمعرفة شخصه حتى يفيدوا من كفارته عنهم وعن غيرهم من الناس في الوقت المعين لديه. فمثلا لما أراد أهل أورشليم أن يقتلوه وهو في أوائل خدمته بسبب شهادته أنه نزل من السماء، انصرف عنهم الى حين ليعلن لهم ولليهود (الذين كانوا مزمعين أن يأتوا من كل بلاد العالم، الى العيد) عن شخصيته، حتى يؤمن به كل المهيئين للإيمان (يوحنا 1:7- 40). ولما أرادوا أن يقتلوه لأنه أقام لعازر من الموت، وتعظيم الناس له تبعا لذلك، انصرف عنهم أيضا، ليفتح المجال أمام الكثيرين للإيمان به في فرصة أخرى (يوحنا 10:12- 42).

وهكذا الحال من جهة الآية المعترض بها، فالمسيح ذهب الى بلاد قريبة من البرية، ومكث هناك مع تلاميذه حتى جاء عيد الفصح، الذي يحضره اليهود في أورشليم من بلاد متعددة، ليعطي هؤلاء أيضا فرصة ليعرفوه ويؤمنوا به، كما يتضح من يوحنا ص 12.

لكن عندما علم أن ساعة انطلاقه من العالم قد دنت، ثبت وجهه للذهاب الى أورشليم (مرقس 22:10، لوقا 15:6)، بالرغم من المجهودات التي كان يبذلها تلاميذه لتحوله عنها (يوحنا 7:11)، الأمر الذي يدل على أنه كان سيد مصيره، وصاحب التصرف المطلق في حياته.

(ج) أما من جهة الدعوى بتلفيق تلاميذ المسيح لحادثة صلبه ليكرم الناس ذكراه ويعتنقوا المبادئ التي نادى بها في حياته، فنقول: إن هؤلاء التلامبذ لم يكونوا من رجال الفلسفة والسياسة، أو من المصلحين الذين يهمهم نشر المبادئ السامية، حتى كان يجوز الظن بأن أفكارهم اتجهت الى تأليف حادثة الصلب للغرض الذي ذهب إليه المعترضون، أو لأي غرض غيره. بل كان معظمهم من صيادي السمك البسطاء، الذين لا يفكرون إلا في كيفية الحصول على قوتهم. كما أنهم كانوا متباينين من جهة النشأة والثقافة والسن والطباع والمركز الإجتماعي، الأمر الذي لا يدع مجالا أمامهم للإتفاق على تأليف قصة الصلب لغرض ما، إذا كانت لديهم النية للتلفيق أو التزوير.

(د) فإذا أضفنا الى ما تقدم أن الصلب كان عنوان المذلة والعار، وأن المصلوب كان يُعتبر ملعونا في نظر البشر بصفة عامة، ونظر اليهود بصفة خاصة (تثنية 22:21)، الأمر الذي لا يدع مجالا أمام التلاميذ لتأليف حادثة صلب المسيح (إن كانت لديهم نية التلفيق أو التزوير)، لا يبقى لدينا شك في أن أصحاب هذا الإعتراض مخطئون، لا لغرض سوى تأييد فكرتهم أو أكذوبتهم.

2 ـ قال المعترض: إن تلاميذ المسيح جمعوا النبوات التي قيلت في التوراة عن موت شخص كفارة عن العالم، وصاغوا منها قصة صلب المسيح، حتى يثبتوا أنه هو الشخص الذي تنبأت التوراة عنه من قبل.

والرد نقول: (أ) فضلا عن أن تلاميذ المسيح كان يختلف بعضهم عن بعض كما ذكرنا، الأمر الذي لا يدع أمامهم مجالا للاتفاق على المهمة المزعومة، فإن فكرة صلب المسيح كانت بعيدة كل البعد عن أذهانهم وعن أذهان اليهود الذين كانوا يسيرون معهم، لأنهم كانوا يعتقدون جميعا أن المسيح أتى وقتئذ لكي يملك الى الأبد. والدليل على ذلك أنه عندما تحدث في أوائل خدمته عن تعرضه للصلب، قال له بطرس" حاشاك يا رب، لا يكون لك هذا" (متى 16:21- 54).

أما السبب في اعتقاد اليهود وقتئذ أن المسيح لا يتعرض للموت، هو أن النبوات الواردة في التوراة عن صلبه كفارة عن الخطية كانت بعيدة كل البعد عن أذهانهم، لأنهم كانوا يذكرون فقط النبوات الخاصة بمُلكه، لأنها كانت تتناسب مع مطامعهم وأهوائهم الدنيوية. لكن المسيح كان ينبغي أن يموت أولا كفارة عن الخطية قبل أن يملك على قلوب البشر.

بالإضافة الى ذلك، فإن تلاميذه جميعا كانوا حتى بعد قيامته من بين الأموات متحيرين من جهة صلبه. فقال اثنان منهم قبل أن يتأكدا بنفسيهما من قيامته إن " يسُوع الناصري الذي كان إنسانا نبيا مُقتدرا في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب.. (ومع ذلك) أسلمهُ رُؤساءُ الكهنة وحُكامنا لقضاء الموت وصلبوهُ. ونحن كُنا نرجو أنهُ هُو المُزمع أن يفدي (بني) إسرائيل" (لوقا 19:24، 20)، أي يخلصهم من سلطة الرومان، لأن هذا هو ما كانوا يفهمونه من كلمة الفداء وقتئذ!

(ب) ولو فرضنا جدلا أن تلاميذ المسيح استطاعوا أن يتفقوا معا تحت تأثير بعض العوامل، على تلفيق حادثة صلبه من نبوات العهد القديم الخاصة بالمخلص العتيد أن يظهر في العالم (كما يُقال)، لإحتاجوا في سبيل القيام بهذا العمل الى وقت طويل من الهدوء والإستقرار بعد صعود المسيح عنهم حتى يتمكنوا، على الرغم من الإختلافات التي كانت بينهم، من حّبك التلفيق المزعوم. ولكن بالرجوع الى التاريخ نرى:

(أولا) أنهم نادوا في كل مكان بصلب المسيح وقيامته من الأموات، بعد صعوده عنهم بما لا يزيد عن عشرة أيام.

(ثانيا) أنهم لم يحيوا مطلقا حياة الهدوء والإستقرار، لأن كهنة اليهود كانوا يضطهدونهم ويشتتونهم في طول البلاد وعرضها وذلك لتحميل التلاميذ إياهم جريمة صلب المسيح دون ذنب جناه. وأيضا لأن شهادتهم عن قيامته من بين الأموات، كانت تحول كثيرين من اليهودية الى المسيحية، فلا بد أن صلب المسيح وقيامته حادثتان حقيقيتان.

(ج) وإذا كان الأمر كذلك، اتضح لنا أن المعقول، ليس أن تلاميذ المسيح جمعوا النبوات الواردة في التوراة عن موت المخلص كفارة وألفوا منها قصة صلب المسيح، بل المعقول أنهم تتبعوا حياة المسيح على الأرض من أولها الى آخرها، فوجدوا أنها تنطبق على ما جاء في التوراة عن المخلص المذكور، من جهة ولادته وصفاته وأعماله وكيفية موته. (اقرأ مثلا: إشعياء 14:7، ميخا 2:5، إشعياء 2:42، مزمور 22و 69). ولذلك قاموا بواسطة الروح القدس الذي حل عليهم بعد صعود المسيح عنهم بعشرة أيام (أعمال 1:2- 4) بتدوين حياة المسيح كما هي، ثم أشاروا الى ما ورد في التوراة عنها، لكي يرجع اليهود إليها، ويؤمنوا أن المسيح يسوع هو الذي تنبأت التوراة من قبل بأنه الفادي والمخلص.

وقد أشار أحد الباحثين (عباس محمود العقاد) الى هذه الحقيقة فقال:" كانت الدعوة المسيحية كما روتها الأناجيل، دون أن يتعمد كُتابها تطبيق أحوال التطور أو تلتفت أذهانهم الى معنى تلك الأحوال.. إن هذه الدعوى لم تكن أجزاء مقتبسة من هنا وهناك، بل كانت كلاما متجانسا من وحي واحد وطبيعة واحدة".

3 ـ قال المعترض: إن تلاميذ المسيح نقلوا موضوع صلبه أو موته لأجل خلاص العالم من الأساطير الوثنية، لأن الوثنيين كانوا يعتقدون أن آلهتهم مثل كريشنا وبوذا وتاموز وأوزيريس وبروميتيه تألموا بالآم متنوعة من بينها الصلب، لكي يخلصوا الناس من خطاياهم ويمنحوهم حياة أبدية.

وللرد نقول: **(أولا)** أن النبوات التي قيلت عن صلب المسيح مسجلة في التوراة قبل الميلاد بمدة تتراوح بين سبعمائة سنة وألف سنة، أي قبل ظهور شيء عن آلهة الوثنيين المذكورة بمائتي سنة على الأقل.

(ثانيا) إن تلاميذ المسيح كانوا مختلفين عن بعضهم، من جهة النشأة والطباع والثقافة والسن والمركز الإجتماعي.

(ثالثا) إنهم لم يكونوا من رجال الفلسفة والسياسة الذين لهم إلمام بأساطير الأقدمين، أو من التجار الذين يجوبون البلاد ويعرفون شيئا عن عادات أهلها وأديانهم.

(رابعا) إنهم كيهود كانوا يعتقدون أن الوثنيين نجسون، وإن من يعتنق عقيدة من عقائدهم، يجب أن يقتل في الحال (تثنية 9:13 - 14). فالإعتراض الذي نحن بصدده لا مجال له على الإطلاق.

ومع ذلك نقول: إن الأساطير الوثنية ليست بها رواية تشبه حادثة صلب المسيح من أي ناحية من النواحي، كما يتضح مما يلي:

1 - كان كريشنا يرتكب معاص لم يرتكب غيره مثلها، حتى أطلق عليه الوثنيون اسم، "إله الشهوة" كما أطلقوا عليه أيضا اسم " المخلص" لأن الخلاص في نظرهم لم يكن تحررا من عقوبة الخطية وسلطانها على النفس، حتى يستطيع المرء أن ينعم بالوجود مع الله والتوافق معه في قداسته، كما هو الحال في المسيحية، بل كان هو الإنغماس الكلي في الدنس والشر، إذ أن هذا الإنغماس (كما زعموا) يطفيء نار الشهوة المتقدة فيهم. فاستخدم المعترضون هذا المعنى النجس للخلاص، ودون أن يشيروا الى التناقض بين المعنى المذكور وبين معنى الخلاص من الخطية في المسيحية، فقالوا إن وثنيي الهند كانوا يعتقدون أن كريشنا يخلص من الخطية كما يقول المسيحيون عن المسيح، ليُدخلوا في روع المسيحيين أن معتقداتهم مقتبسة من الوثنية.

أما الطريقة التي مات بها كريشنا فهي أنه بينما كان يسير في غابة، أخطأ أحد الصيادين فيها مرماه، فنفذت حصاته

(كما يقول بعض الرواة) أو سهمه (كما يقول البعض الآخر)، الى مقتل من كريشنا، فسقط لساعته على الأرض ومات. ولكن المعترضين أضافوا الى ذلك من عندهم أنه " عندما طُعن جنب كريشنا بالحربة، قال وهو مصلوب للصياد الذي رماه بالنبلة: اذهب أيها الصياد محفوفا برحمتي الى السماء مسكن الآلهة". وهذه الإضافة، فضلا عن أنها لا تنسجم مطلقا مع حادثة موت كريشنا، فإنها تدل على أن المعترضين اقتبسوا من الإنجيل قول المسيح للص الذي تاب:" اليوم تكون معي في الفردوس". ثم زجوا به في ر وايتهم بعد ما صاغوا هذا القول بما يلائم هذه الرواية في نظرهم. كما حشروا عبارة "وهو مصلوب" حشرا لا يقره عقل، لكي يتقنوا إخراج روايتهم المذكورة. لكن خانهم التوفيق كما يخون جميع المزورين، لأن الصلب لم يكن معروفا عند الهنود كما يقول المؤرخون، بل عند الفينيقيين والمصريين والرومان واليهود فحسب. فالرومان كانوا يصلبون قطاع الطرق والثوار. واليهود كانوا بعد السبي، يصلبون الذين يجدفون على الله أو يعبدون الأوثان. ومن المأثور عنهم أنهم كانوا يصلبون المرأة ووجهها نحو الصليب، أما الرجل فيصلبونه وظهره نحو الصليب.

2 - كان بوذا يرفض الذبائح الكفارية رفضا باتا، كما كان يعتقد أنه لا يستطيع كائن ما أن يخلص غيره من الخطية، فكان ينادي بأنه يجب على كل إنسان أن يرتقي بنفسه فوق شهواته وأهوائه حتى يصل الى الطور الرابع، الذي يسميه "النرفانا" والذي يتجرد فيه الإنسان (كما يُقال) من هذه الأهواء والشهوات تجردا تاما. ولذلك كانت كلماته الأخيرة لأتباعه:" كونوا لأنفسكم نورا وملجأ حصينا، ولا تلوذوا بغير أنفسكم .. واصلوا جهادكم حتى تبلغوا سبيل الخلاص". ولذلك كان البوذيون (كما يقول المؤرخون) يقوّمون أنفسهم بأنفسهم. وقد أشارت جريدة الأهرام القاهرية الصادرة في 1971/5/7 الى هذه الحقيقة، فذكرت في مقال عن الهند أن بوذا كان مُعلما لا مخِلّصا، وأنه لم يعِد إنسانا بمعونة في الضراء، خلا المعونة التي يتلقاها هو من ذاته. ولكن المعترضين تعاموا عن هذه الحقيقة، وادّعوا أنه قال " دعوا الآثام التي ارتُكبت في هذا العالم تقع عليّ لكي يخلُص العالم من قصاصها"، حتى يوهموا المسيحيين أن اعتقادهم بخلاص المسيح من الخطية ليس أصليا في المسيحية.

أما الطريقة التي مات بها بوذا، فهي أنه عندما كان في بلدة يافا، أراد حداد اسمه تشوندا أن يكرمه، فقدم له لحما مشويا، فلما أكله أحس بألم شديد في أمعائه، وأيقن أن ساعة موته قد دنت، فشكر الحداد لأنه (كما تقول الأسطورة) عجل بانطلاقه الى العالم الآخر. ولم يمض وقت طويل على شعوره بالألم المذكور حتى فارق الحياة. فأخذ أتباعه جسده لكي

يحرقوه كعادتهم. لكن النار (كما تقول الأسطورة) لم تؤثر فيه إلا في اليوم السابع. ولذلك فالقول إن بعض الوثنيين يعتقدون أن بوذا مات كفارة عن الخطاة هو محض افتراء واختلاق.

3 - كان الأشوريون والفينيقيون يعتبرون تاموز إله الزراعة والربيع، فكانوا يعتقدون أنه يحيا بظهور النباتات ويموت بذبولها. فهو (بناء على عقيدتهم) كان يحيا ويموت مرة كل عام. وعند موته (أي عند ذبول النباتات) كان معظم النساء يبكين عليه كثيرا. وعند ظهوره (أي عند ظهور النباتات) كن يفرحن فرحا عظيما، ويستسلمن للأهواء الجنسية دون قيد أو شرط، وكن يعتبرن هذا خلاص، ليس من نجاسة الخطية (كما هو الحال في المسيحية)، بل خلاصا من قانون الطهارة والعفاف. فالقول إن بعض الوثنيين كانوا يعتقدون أن تاموز تألم من أجل الناس، وأنه كان يُدعى المخلص والفادي، هو مجرد إدعاء، كما أنه جريمة أخلاقية شنيعة، لأنه يهدف الى تشويه الحقائق الثابته، وتشكيك البسطاء من المسيحيين في عقائدهم.

4 - إن أوزيريس، كما تقول الأسطورة، أحب أخته إيزيس وتزوجها. وكان من عادته أن يسعى لأجل خير الناس وهنائهم، فكان يطوف كل البلاد لينشر الرخاء والحضارة فيها. لكن أخاه "ست" الذي كان ألد أعدائه في الوجود، قتله

وقطع جسده الى أجزاء كثيرة، ثم قذف بكل جزء منها في مكان ما. فلما علمت إيزيس بذلك، أخذت تبحث عن أجزاء جثة زوجها حتى عثرت عليها وجمعتها معا وأعادته الى الحياة. وفي أسطورة أخرى أنه عندما مات أوزيريس، نزلت دموعها على جسده فقام من الأموات في الحال، وعاش كما كان يعيش من قبل. وفي أسطورة غيرها أن أوزيريس كان يغرق في وقت الفيضان، وكانت إيزيس تنزل الى نهر النيل لتنشله، فكان يموت ويحيا كل عام. وفي أسطورة غيرها أن أخاه الشرير "ست" عمل صندوقا من ذهب، ووعد أن يعطيه لمن يستطيع أن يرقد فيه، فرقد فيه أوزيريس. وفي الحال أغلق ست باب الصندوق وأرسله الى بلاد بعيدة، وبذلك مات أوزيريس. فالأساطير التي قِيلت عن موت أوزيريس تختلف كل الإختلاف عما ذكره الكتاب المقدس عن موت المسيح، الأمر الذي يدل على أن المعترضين لا عمل لهم إلا تشكيك البسطاء من المسيحيين في عقائدهم. وفي سبيل هذا الغاية لا يتورعون عن الإلتجاء الى الكذب والتزوير.

5 - أخيرا إن بروميتيه، كما تقول روايته، كان يقاوم الأرستقراطية (أي السلطة المطلقة) التي كانت في بلاد اليونان كما كان يحب الناس ويساعدهم في كل أمورهم وشؤونهم. فحقد عليه جوبيتر (رب الآلهة هناك) وصلبه على أحد جبال القوقاز. فضلا عن ذلك أمر بتعذيبه بأقسى صنوف العذاب، فأخذوا يغرسون حديدا محمي بالنار في جسمه حتى احترقت أجزاء كثيرة منه. وبعد ذلك أهاجوا عليه النسور لكي تمزقه وتأكل منه ما تشاء.. وظل بروميتيه على هذه الحال من البؤس والشقاء، حتى أنقذه هرقل وأعاده الى مكانته.

فرواية بروميتيه تختلف تماما عن حادثة صلب المسيح، الأمر الذي يقضي على كل ظن بأن هذه الحادثة مقتبسة أيضا من الرواية المذكورة فالمسيح قدم نفسه بإختياره للموت، أما بروميتيه فسيق للموت رغما عنه. المسيح قبِل الموت كفارة عن خطايا البشر، أما بروميتيه فلم يمُت عن خطية أحد. أما قول المعترضين أن بروميتيه " جُرح بسبب ذنوب الناس، وأنه سُحق بسبب عصيانهم" فليس له وجود في رواية بروميتيه، بل هو مسروق من نبوة إشعياء النبي التي قيلت عن صلب المسيح قبل بروميتيه بمئات السنين (إشعياء 53). وكان من الواجب على المعترضين إذا أرادوا أن يستعيروا أسلوب الكتاب المقدس في هذا الصدد، أن يقولوا إن بروميتيه جُرح بسبب دفاعه عن الديمقراطية، وإنه سُحق بسبب إخلاصه لها. لكنهم شاؤوا أن زوروا الحقائق الثابتة، فأخذوا الآيات التي قيلت عن المسيح أشاروا بها الى بروميتيه، ليوهموا بسطاء المسيحيين أن أجدادهم سرقوا العقائد المسيحية من الأساطير الوثنية، مع أن المعترضين هم السارقون.

مما تقدم يتضح لنا أن تلاميذ المسيح لا يمكن أن يكونوا قد نقلوا حادثة صلبه، أو غيرها من الحوادث الخاصة بشخصه الكريم من الأساطير الوثنية. وكل اتهام يُوجه إليهم من هذه الناحية هو إتهام باطل. وقد أشار أحد الباحثين (عباس محمود العقاد) الى هذه الحقيقة فقال:" إن المعترضين السابق ذكرهم تحاملوا على كتبة الإنجيل دون مبرر، واتهموهم بما هم أبرياء منه كل البراءة.. ويبدو لي أن علم مقارنة الأديان الذي ظهر في القرن الثامن عشر، هو الذي دفع المعترضين الى تحميل بعض المشابهات الظاهرية بين الأديان فوق طاقتها، إذ الحقيقة التي لا ريب فيها أن الأناجيل هي العُمدة الوحيدة في كتابة تاريخ السيد المسيح. وسواء رجعت هذه الأناجيل الى مصدر واحد أو أكثر من مصدر واحد، فمن الواجب أن يدخل في الحسبان أنها هي العمدة التي اعتمد عليها قوم هم أقرب الناس الى عصر المسيح، وليس لدينا نحن بعد قرابة ألفي عام أحق منها بالإعتماد".

وقد أشار الى هذه الحقيقة أيضا سير جيمز فريزر ودكتور إدوار ماير المؤرخان المشهوران، فقال الأول في كتابه "The Golden Bough,V.6, Pg412 إن الشكوك التي تُثار ضد حقيقة تاريخ المسيح لا يقام لها وزن، إنها سخافة لا تقل في بطلانها عن محاولة جعل نابليون (مثلا) أسطورة، لا شخصا حقيقيا، وقال الثاني في كتابه The Origin of Christianity P120 ," ليس هناك شيء ما يحملنا على رفض تاريخ المسيح المدون في الإنجيل". والعالمان المذكوران، كما يتضح من حياة كل منهما، لم يكونا من المتدينين الذين يهمهم تأييد الموضوعات لمسيحية الواردة في الإنجيل، بل كانا من علماء التاريخ الذين لا ينظرون الى هذه الموضوعات إلا من الناحية التاريخية وحدها. ولذلك فشهادتهما، لا يجوز الطعن فيها.

فالمسيحيون لم ينادوا بعقيد " صلب المسيح" تعجلا أو اعتباطا، بل بعد دراسة واسعة لها، من النواحي التاريخية والأثرية والعقلية. وقبل كل شيء لأن الكتاب المقدس الذي يتمسكون به، والذي ثبت لهم صدقه بكافة الأدلة، أعلن على صفحاته بكل وضوح وجلاء أن المسيح قد صُلب، فلا مفر لهم من قبول هذه الحقيقة والتمسك بها.